

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
و الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية
شعبة الأنثروبولوجيا

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان

رسالة لنيل شهادة الماجستير

القرابة عند طوارق الهقار دراسة سوسيو أنثروبولوجية

إشراف : أ. الدكتور
مجاود محمد

إعداد الطالبة :
شهاب سامية

أعضاء لجنة المناقشة :

أ. شايغ عكاشة :	رئيسة :	استاذ التعليم العالي
أ. د. مجاود محمد :	مشرفا :	استاذ التعليم العالي
أ. د. سعدي محمد :	عضوا :	استاذ التعليم العالي
أ. د. أوشاطر مصطفى :	عضوا :	استاذ محاضر
أ. د. العربي بوحسون :	عضوا :	استاذ محاضر
جامعة تلمسان -	جامعة تلمسان -	جامعة تلمسان -

السنة الجامعية : 2006-2007 الموافق لـ: 1427-1428

الأهداء

إلى اللذين قال فيهما الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الإسراء: ٢٣

إلى والدي ووالدتي.

إلى زوجي رفيق حياتي.

إلى الأخوة والأخوات كل واحد باسمه صغيرا

وكبيراً.

إلى كل الأصدقاء دون استثناء.

إلى أبناء العملاق الشامخ أبناء العقار رمز التمديد والثبات

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة هذا العمل.

كلمة شكر

أشكر الله تبارك وتعالى على توفيقى لإتمام هذا البحث، كما أتوجه بجزيل الشكر إلى كل الأساتذة الذين ساهموا بنصائحهم وأفص بالفكر الدكتور مجاود محمد إلى كل الذين لم يغفلوا بمساعدتهم المادية والمعنوية بما فيهم مدير متحف باردو بالعاصمة ومدير ديوان حظيرة الأهفار الوطنية بتمنراست الذي وفر لنا وسيلة نقل إلى بلدية أبا ليسه والحاج موسى أخموك كبير أعيان المنطقة الذي تكرم باستقبالنا بتغمده الله برحمته، دون أن أنسى كل الزملاء الذين قدموا إلى يد العون من قريب أو بعيد، ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى رئيس أمانة الضبط بمهكمة تمنراست لإنجاح هذا العمل.

المقدمة

لقد ظلت الأساطير والآراء المسبقة بمختلف صورها تخفي عن العالم لزمان طويل

التاريخ الحقيقي لإفريقيا .

فقد اعتبرت المجتمعات الإفريقية مجتمعات لا يمكن أن يكون لها تاريخ ولا

موضوعا للدراسة العلمية، مستندين في قولهم هذا بصفة خاصة إلى نقص المصادر و

الوثائق المكتوبة، و بصفة عامة شعوب بدائية من الدرجة الدنيا من الحضارة فنقول

لهم: « البدائيون هم أجدادنا المعاصرون أليس مفهوم الثقافة بالمنظور الأنثروبولوجي

يكفي أن يكون الإنسان إنسانا فهو مثقف .

وإذا كان من الممكن أن تعتبر الإلياذة و الأوديسا بحق مصادر أساسية لتاريخ

اليونان القديمة ،فغن ذلك يقابله إنكار كل قيمة للتراث الإفريقي المنقول الذي يعتبر بمثابة

ذاكرة تنتظم في نسيجها الكثير من الأحداث التي تميزت بها حياة شعوب أفريقيا.

وقد اقتصر الاهتمام عند كتابة تاريخ جزء من إفريقيا على مصادر خارجة عن

إفريقيا ،فانتهى ذلك إلى رؤية لا تكشف عن المسار المرجح عن هذه القارة ومنها

الصحراء الكبرى التي صورت على أنها فضاء منيع يحول دون امتزاج الإثنيات

والشعوب وتبادل السلع والمعتقدات والتقاليد والعادات والأفكار بين المجتمعات التي تقوم

على الجوانب المختلفة من تلك الصحراء.

فإن الدراسات الاجتماعية التي قام بها جمع من المستشرقين حول موضوع القرابة

ماضيا وحاضرا لا تزال في حاجة إلى تعديل، إضافة، حذف، نقد.

لا شك أن الطوارق من القبائل البربرية التي استوطنت منذ القدم بالجزائر كسكان أصليين يكفيهم فخرا، أهم أنشأوا أول حضارة عبر التاريخ للتقديم على ضفاف بحيرات الصحراء الكبرى .

وفي عام 1945 كان الطوارق يسيطرون على الصحراء الكبرى سيطرة مطلقة لكن بعد اكتشاف النفط والمعادن توزعوا على أربع جمهوريات افريقية وقد ترك اغلب الطوارق عاداتهم وتقاليدهم وانصهروا في المجتمعات الجديدة التي وجدوا أنفسهم يعيشون فيها ماعدا طوارق الهقار الذين ظلوا متعصبين بشدة لعاداتهم القديمة .

فأغلب الدراسات انصبت على ما يحدث في شمال البلاد متجاهلين جنوبه الكبير واقتار الساحة النقدية تجاه ما يكتب باللغة الفرنسية خاصة منها القديمة إلى دراسات جادة.

بعد اهتمامنا بهذا الموضوع مسؤولية كبيرة ووعي منا بأهمية التراث الجزائري الذي لايزال قيد النسيان والذي لم تعطى له أهمية كبيرة على المستوى الوطني، كما أننا ندافع بكل قوة عن هذا التراث الحافل بالأمجاد مع عدم إتاحة الفرصة للغير بتشويه هذه الحقائق التي تعد تراثا عالميا، ولم يعد بوسعنا الاستمرار في الأوهام التي أنتجتها فلسفات التاريخ، من هيغل إلى ما أسماه ميشال فوكو بـ: القدر التاريخي المتعالي الذي خص به الغرب.

فالخطاب الأنثروبولوجي انطلق من الحدث الأساسي الذي شكله الاستعمار ليستريحوا ويطول بهم المقام.

لذا حان الأوان لضد الروايات المغرضة في حق الطوارق ينسجون من حولها الأساطير مستهدفين إحداث الشقاق بين أبناء البلد الواحد.

وبالرغم من رجوعنا إلى عدد كبير من الوثائق إلا أن النقص كان واضحا في موضوع القرابة. فقد وجدنا أنه من واجبنا القيام بجزء من أعباء هذه المهمة الصعبة وهي لا تزال مادة خام تحتاج إلى التقيب ونزع عليها غبار الإهمال والنسيان.

والملاحظ أن معظم ما كتب عن الطوارق اتسم بتضارب نتائجه وإحصاءاته وغلب عليه الطابع الذاتي التي نسج حولها الرحالة والمغامرون قصصا أبعد ما تكون عن واقع سكان الطوارق كانت دراسات مونوجرافية يرتكز على الطابع الأسطوري في ثقافة الآخر وإضفاء عليها عنصر الطرائف والغرائب .

وأمام هذا التناقض والصعوبات التي واجهتنا لا يمكن أن نجد خيار سوى الرجوع إلى "الدراسة الميدانية" التي اعتمدت على المحادثات الشفوية مع عدد من الأشخاص الذين يشتغلوا في مراكز أساسية في مختلف البناء الاجتماعي بعدما تحصلت على موافقة جهات الاختصاص بإجراء الدراسة حيث انتقلنا إلى مدينة تمراست وقمنا بإجراء مقابلات مع بعض الإخباريين بتنظيم جلسات الملاحظة خلال الأسبوع وتكوين علاقات مع أعضاء مجتمع البحث .

وتناولنا معهم الحديث عن حيثيات موضوع الدراسة إضافة إلى أننا قمنا بتصوير فوتوغرافي لضريح تين هينان بمنطقة أباليسه وهيكلا بمتحف باردو بالعاصمة .

وعيه قسمت الموضوع إلى مدخل وثلاثة فصول ففي المدخل تناولنا لمحة قصيرة

عن أهم دوافع اهتمام الفرنسيين بطوارق الهقار .

أما الفصل الأول : فعنوانه "الدراسة التاريخية والثقافية للطوارق" وقسمته كذلك

إلى مبحثين ففي الأول تعرضت إلى الجانب التاريخي وما قبل التاريخ حيث لا يمكن التحدث عن القرابة دون معرفة ماهية الطوارق .

أما المبحث الثاني: فتناولت فيه الجانب الثقافي (كلغتهم الأصلية).

أما الفصل الثاني : فقد خصصته للدراسة السوسيو أنثروبولوجية حيث قسمته هو

كذلك إلى مبحثين ففي الأول تعرضت إلى النسق القرابي الأمومي المرتبط بقصة تين هيئان كحقيقة أم أسطورة وأثرها في المجتمع .

وفي المبحث الثاني: خصصته لنظام القرابة والعلاقات الاجتماعية في أقصى

الجنوب كظاهرة الزواج أو كظاهرة تنظيم الأسرة.

أما الفصل الثالث: فقد خصصته للدراسة العقلية حيث قمت بتسجيل نماذج و

الملاحظات ومناقشة وتحليل نتائج البحث.

وفي ختام البحث جمعت فيها النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة ، وأرفقتها

بوصية "الحاج موسى أحموك" كبير أعيان المنطقة

"والله الموفق للصواب والمعين عليه"

المصفل

يظن البعض أن المبشرين يأتون إلى العالم الثالث (العربي) لنشر الدين على أن هدفهم الأسمى، والحق أن نشر الدين أمر ثانوي في جميع الحركات التبشيرية، أننا إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالما ملحدا لا يؤمن بدين وعالما ماديا لا يعرف للروح معنى إن أمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول كما يقول أمين الريحاني قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني بينما نرى فرنسا دولة علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج.

إن اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصومها في الداخل وأصدقائها الحميمون في مستعمراتها.

وكذلك إيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداوة وحزرت البابا في الفاتيكان كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين.

إن السياسة الاستعمارية مبنية على محاربة الركائز الوطنية الجزائرية من تراث وعادات وتقاليد وقيم، ودين، ولغة.

مدعية أن الجزائر بلد وجد ليكون مستعمرا تابعا. وشارل أندري جوليان قد قبل هذه النظرية خصوصا في كتابه تاريخ إفريقيا

الشمالية¹.

¹ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1978 ص 62.

أما الإدعاء الثاني أن البربر وحدهم أصحاب المدنية في شمالي إفريقيا والأندلس ولقد تولى الأستاذ "محمد كرد علي" رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق الرد على هذا القول في مجلة لاروس الباريزية فضلا عن العالم العربي نقطف منه ما يلي : «إن البربر لم يقيموا وحدهم مدنية المغرب والأندلس بل شاركهم العرب أيضا وعلى كل فإن البربر كالعرب مسلمون والمدنية التي خلقوها مدنية عربية»¹.

ويختتم الأستاذ "محمد كرد علي" مقاله بهذا الحكم الصائب: «ولذلك نرى من واجبا أن يشك كل عربي وكل مسلم في أكثر ما يصدر من الأحكام من الفرنسيين على الإسلام ولمسلمين ذلك لأنه ثبت أن من الفرنسيين من لا ينظرون إلى كل أمر إلا بمنظار الاستعمار.»

في حين كان الإدعاء الثالث إدخال هذه الشعوب إلى حظيرة الدين المسيحي فقد كان "دافيد ليفنغستون (1873/1813) رحالة بريطانيا اخترق أواسط إفريقيا فلم تكن رحلته في تاريخ الاستكشافات الجغرافية إلا تمهيدا للبعثات التبشيرية كما سجل الكاتب "إشعيا بومان" ISAHIAH BOWMAN (1) في مجلة العالم الإسلامي أن الصحراء كانت للمسلمين حصنا منيعا ذلك أن البدو نسبة مئوية كبيرة من المسلمين.²

¹ مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية المكتبة العصرية صيدا بيروت ط 5 سنة 1973 ص

² مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية المكتبة العصرية صيدا بيروت ط 5 سنة 1973

من أجل ذلك اقترح المبشرون على دولتهم أن يشلوا حياة المسلمين بإبعادهم عن الشواطئ ثم حصرهم في الداخل وفي الصحاري على الأكثر. فلا نستغرب عندما حرف تاريخ "كسيله والكاھنة" من طرف المؤرخين الفرنسيين وأن تلاميذ الآباء البيض مبشري الاستعمار ورواده من الجزائريين والمغاربة لا يزال لهم وجود فوهبت لهم أصوان من جميع المناطق حتى من الطوارق¹.

من هنا نلاحظ اختلاف أغراض المستكشفين والرواد في الصحراء الكبرى باختلاف جنسياتهم وهوياتهم فمنهم من اندفع وراء المغامرة بحثاً عن المجهول ومنهم من كان يعمل لحساب حكومة أجنبية ومنهم من كان هدفه جمع لمعلومات العلمية عن طبيعة الصحراء ومنهم من كان لغرض لتصوير الشعوب بحيث قال "الكاردينال لافيغري" Lavigéri أحد الآباء البيض صرح لدى وصوله إلى الجزائر: إن الجزائر باب مفتوح بيد العناية الإلهية على قارة متوحشة.²

فجاء "شارل دوفوكول"³ أكبر مستكشف ديني للصحراء وأخطر المبشرين قاطبة خريج "مدرسة سانسير" بدأ حياته الاستكشافية برحلة إلى المغرب الأقصى سنة (1883 و1884).

¹ مصطفى خالدي وعمر فروخ التبشير والاستعمار في البلاد العربية المكتبة العصرية صيدا بيروت ط 5 سنة 1973

² عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ S.N.E.D الجزائر 1982 م وك ص 31

³ إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها م وك الجزائر 1983 ص 110

وفي سنة 1903 التقى بزميله في الدراسة في مدرسة

سانسير (لابرين laperrine) الذي أقنعه بأن ينتقل إلى الهجّار.

فأقام في عزلة وتأمل بقمم الهقار بمنطقة تدعى أسكريم يبلغ ارتفاعها على مستوى

البحر 2700 متر .

أما طريقته في التبشير لمسلمين الطوارق إذ كتب يقول: "كنت أحاول أثناء جولاتي

دائما أن أقترّب من المخيمات السكنية وأن أدخل في علاقات مع الأطفال الصغار وذلك

بأن أقدم لهم السكر، ولكنني لم أسجل نجاحا في هذه المساعي"¹

بعد اغتياله في عام 1916، عثر في منزله في تمرّاست على مادة "موجز قاموس

فرنسي طوارقي" نشر في مجلدين ويبلغ صفحاته 1450 صفحة .

ويحتوي على أهم الأشعار الطارقية بحيث يقدر مجموعها بـ 215 بيت شعري².

كل هذا كان سببه "ليوبولد الثاني" ملك بلجيكا لذي اشترى أحد الرواد "ستانلي"

ليعمل على تجزئة إفريقيا كما أوحى بذلك مؤتمر بروكسل عام 1876.³

¹ إسماعيل العربي: نفس المرجع ص 113

² kraus reprint : revue africaine journal des travaux de la société

historique algérienne opu Alger vol 63 1922 p490

³ جيرار لكرك: الأنثروبولوجيا والاستعمار ترجمة د: جورج كنورة. مطابع شركة تكنوبرس لحديقة بيروت ط 1 1982

وما يمكن استنتاجه أن أغلب الدراسات الاجتماعية التي قام بها جمع من الباحثين الغربيين تنتظر من الأنثروبولوجيين العرب مراجعة كتاباتهم والتي ماهي إلا استشراق على الطبيعة أو أعراض خاصة .

والواقع أننا غير محقين كل الحق في نقدنا اللاذع والمطلوب هو كتابة تاريخنا بأقلام عربية جزائرية قبل أن نوجه التهم إلى علماء الغرب فنباشر نحن بالعمل قبل غيرنا.

وإن كان تحريف أية حقيقة تاريخية عن الطوارق كانتسابهم إلى السلف الأمومي المنحدر من ملكة الطوارق "تين هينان" وإدعاء أن القرابة أموسية ماهو إلا فضاء أنثروبولوجي فارغ ثم استغلاله بملء هذه الفجوات التاريخية بخيالاتهم وإبداعاتهم، تاركين لهم المجال لينسجوا من حولها الأساطير والروايات .

ومعلوم أن معظم تلك الاهتمامات التي كرسها علماء الغرب لهذه الوثائق التاريخية والحضارية الهامة قد انصببت على جانب الاستطراف والاستغراب و ما هو ملاحظ أن فيها من الشهرة السياحية تفوق بكثير فائدتها العلمية .

فهل نحن فعلا منصفون إزاء أنفسنا وإزاء تاريخنا ؟

هذا ما نحاول الإجابة عليه في الفصول اللاحقة.

فماهي أهم دوافع اهتمام الفرنسيين بطوارق الهوقار ؟

أخذ الفرنسيون يتطلعون إلى جنوب لجزائر وأقصى الصحراء مع نهاية الأمير عبد

القادر ، والحاج أحمد باي .

فقد تنوعت اهتماماتهم، فيرجع الاهتمام بالوحدات الصحراوية ومنطقة الهوقار إلى تحولها إلى معقل للنوار والمجاهدين الذين كانوا يفرون من الشمال إليها، للاعتصام بها، والاستعداد مرة ثانية للمقاومة .

وكان حادث مقتل الرجال التسعة لبعثة "Flatters" الثانية عام 1881 من طرف فرسان الطوارق بداية حقيقية لجهود الفرنسيين في التوسع بجد إلى منطقة الهوقار.¹

ومن أهم البعثات الاستكشافية التي مهدت للاستعمار الفرنسي لمنطقة الطوارق والهقار بعثات "هنري دوفيري" Henri Duveyrier وقد قام برحلة مبكرة إلى بلاد الطوارق الشماليين فدرس منطقتهم التي يسكنوها من حيث التضاريس ومصادر المياه واستعرض قبائلهم المختلفة ونتاجهم الفلاحي وتاريخهم السياسي وعاداتهم .

ودامت رحلته من (1859 إلى 1862) ومنحته الجمعية الجغرافية ميدالية ذهبية على أعماله.²

وعلى العموم كل أهدافهم من وراء حملاتهم وغزواتهم واستكشافهم هو تذليل الصعوبات لقواتهم الغازية لتفرض سيطرتها الاستعمارية وفتح المجال للمغامرين.

¹ مقال ديجي بوعزيز : مجلة الأصالة عن تاريخ منطقة الهوقار مطبعة البعث قسنطينة أوت 1979 ص 53

² مقال ديجي بوعزيز مجلة الأصالة ص 54

الفصل الأول

الدراسة التاريخية والثقافية

للطوارق

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ الصافات: ٧٧

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر)

أخرجه الترمذي

(1) الصحراء ما قبل التاريخ:

إن تاريخ إفريقيا في أقدم العصور يلفه الغموض ، وإن التنوع الكبير في الصفات البشرية الجنسية دفع كثيرا من علماء الأنثروبولوجيا للتساؤل والبحث عن "المهد الأول" للإنسان الذي نشأ وتطور به وخرج منه ليصبح له اليوم ألف وطن.

يحكى أن الملك إفريقيش عندما غلبه الأشوريون أو الإثيوبيون هرب إلى مصر، ولما وجد نفسه مطاردا عاجزا عن مقاومة العدو استشار قومه في أي سبيل يسلكونه للنجاة فأجابوه صارخين : "البربر"¹ أي الصحراء .

معبرين بذلك عن كونهم لا يعرفون أي حل سوى عبور النيل واللجوء إلى صحراء إفريقيا.

ويزعم الجغرافيون و المؤرخون أن إفريقيا في القديم كانت خالية من السكان باستثناء أرض السودان... ويعرف سكانها البيض بالبربر وكلمة مشتقة من الفعل لربي بربر بمعنى همس ويرى البعض أن البربر مكرو (بر) الذي هو الصحراء باللغة العربية². ما الذي تم العثور عليه في صحراءنا الكبرى ما قبل التاريخ؟ قد عثر حديثا على مخلوق قريب الشبه جدا من "شبيه إنسان جنوب إفريقيا" وعرف باسم زينجا نثروبوس

¹ الحسن بن محمد الوزان: وصف أفريقيا ترجمة حجي محمد محمد الأخضر الطبعة 2 الجزء الأول دار الغرب الإسلامي

بيروت 1983 ص 34

² الحسن بن محمد الوزان: وصف أفريقيا ترجمة حجي محمد محمد الأخضر الطبعة 2 الجزء الأول دار الغرب الإسلامي

بيروت 1983 ص 34

zinjanthropes استطاع أن يقوم بصناعة بعض الآلات الحجرية وتشكيلها بنظام

معين¹.

فيعتقد معظم المتخصصين* في الإنثربولوجيا أن الفترة الزمنية التي استغرقتها تطور البشرية من الإنسان البدائي australopithecus إلى إنسان العصر الحديث بلغت أربعة ملايين من السنين².

ومن المحتمل أن تكون الصحارى الإفريقية العربية على امتداد النطاق الأفروعربي هي التي شكلت أجداد المواطنين لتي سكنتها الأقوام البشرية الأولى ولعل ذلك منذ نهاية الزمن الجيولوجي الثالث وقبل حدوث أخدود البحر الأحمر.

ولقد أصبح أمرا مسلما لدى الجميع بأن الصحراء كانت في عصور ما قبل التاريخ تختلف اختلافا كبيرا على ما هي عليه اليوم ففي فترة البليوسين والبلابستوسيين كانت الشبكة المائية التي تغطي سطح الصحراء، بحيث جعلت منها المنطقة المثلى للمراعي الخصبة للحيوان³. والدليل العلمي لتلك المصبات للأودية والأنهار والتي اليوم هي أودية

¹ يسرى عبد الرزاق الجوهري: السلالات البشرية دار الطلبة العرب بيروت ط3 1969 ص 140

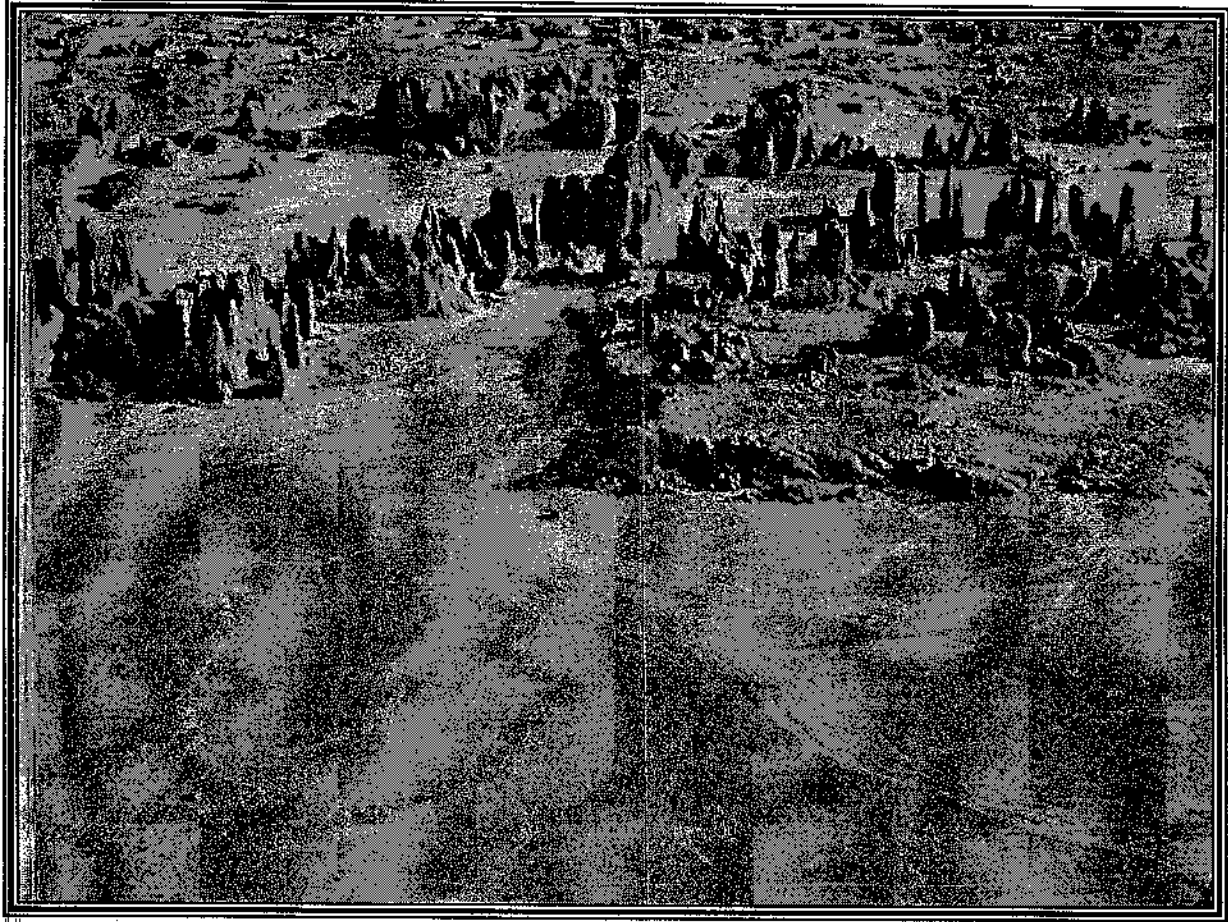
* هذه الدراسة قام بها الأستاذ وودو كانج باحث في معهد الحيوانات الفقارية الباشوجية وعلم السلالات القديمة عضو
بأكاديمية العلوم الصينية.

² محمود الشنيطي: الرحلة الدولية للعلوم الاجتماعية العدد 116 مايو 1988 مركز المطبوعات النييسكو القاهرة

ص76

³ محمد الطاهر العدواني كالجائر في التاريخ (م، و، ك) الجزائر 1984 ص 136

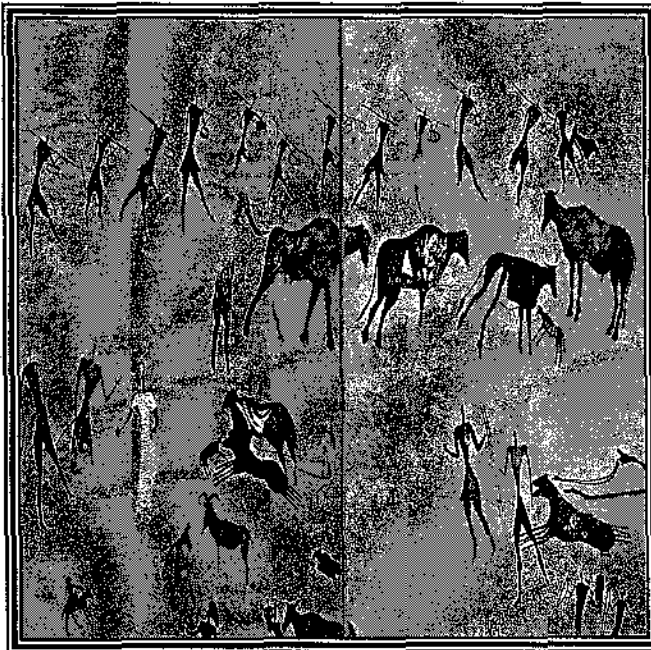
متحجرة كليا أو جزئيا أهمها (وادي التامنغست) والتافساست بحيث كانت الأقوام البشرية تحظى بمناخ جميل معتدل وكميات وفرة من النبات والحيوان (انظر الصورة رقم 01).



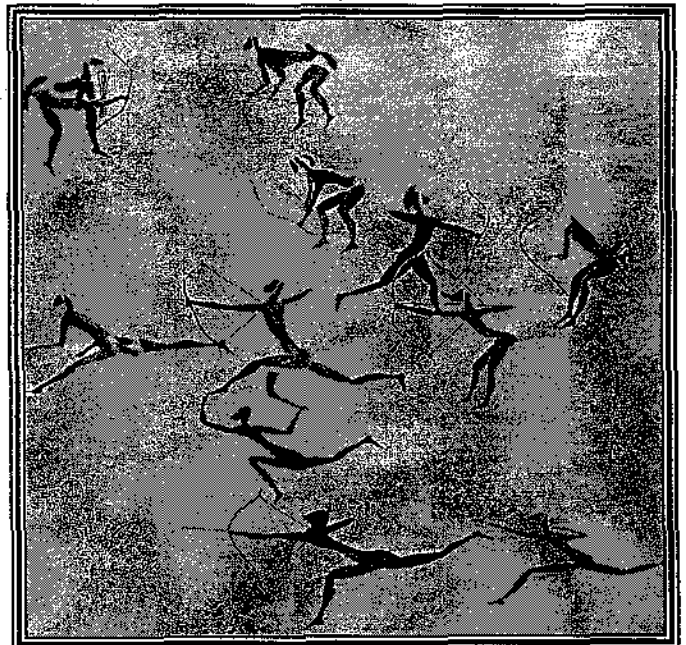
الصورة رقم 01

ومن المعلوم أن رسوم الصخور المنتشرة عبر جبال ومرتفعات وشعاب الصحراء الكبرى قد عرفت محاولات عديدة لقراءتها وتقديم تفسيرات تاريخية وحضارية لها من طرف العلماء الفرنسيين ولا نقول اكتشفوها كما ينسبون هم ذلك إلى أنفسهم فسكان المنطقة هم الذين أرشدوهم إليها.

ولعل الظاهرة الفنية الصخرية في المرحلة التي يسميها البعض مرحلة الخيول فقد سادت في أثناء هذه المرحلة الحضارة مشاهد الخيل ومشاهد العربات الحربية التي تبدو وكأنها طائرة في الجو (أنظر الصورة رقم 02).



الصورة رقم 03



الصورة رقم 02

وبداية هذه المرحلة بمنتصف الألف الثانية ق.م وهي فترة زمنية توافق دخول هذه العربات الحربة إلى مصر على يد ملوك الرعاة "الهكسوس" ومن المرجح ان تكون قد انتشرت منذ تلك الفترة 1750 ق.م في كامل أرجاء الصحراء الكبرى.¹

فسنابل القمح الأولى التي اكتشفت في موقع "أمكني" بالهوقار تعود ولا شك للألف السابعة وهي بالتأكيد أقدم سنابل اكتشفت في هذه المنطقة الإفريقية.² و يفهم من ذلك أن الزراعة قد اكتشفت هناك حوالي الألف الخامسة ق.م فوجود المحراث الخشبي لدليل على ذلك (أنظر الصورة رقم 03).

في حين بدأت الاكتشافات الأثرية لما قبل التاريخ في الصحراء الجزائرية تقريبا ابتداء من سنة 1861 وكان أول من وجه اهتمامه للحضارات ما قبل التاريخية بالصحراء "دوفريي" Henri Duveyrier الفرنسي الذي كان أول من التقط مجموعة من الأدوات الحجرية التي تعود في معظمها للعصر الحجري القديم الأسفل على مقربة من عرق تيحوضن قرب مرتفعات الهقار³

¹ محمد الطاهر العدواني نفس المرجع ص 249

² محمد الطاهر العدواني ص 196

³ محمد الطاهر العدواني نفس المرجع ص 159

وفي سنة 1930 قام أعضاء المعهد الدولي للإنثروبولوجيا بوضع أساس مهمة

تحمل عنوان "المهمة العلمية الصحراوية" أما في سنة 1934 قدم "هنري لهوت" دراسة

علمية¹.

حول مجموعة من الأدوات الشيلية من نواحي عرق أدمير².

وثبت أنه حتى الحياة الرعوية كانت حاضرة في العصر الحجري الحديث فوجدت

رسومات ملونة لمناظر غير متكلفة للرعي والحياة العائلية قام بها أقوام بدو يرعون

الماشية، قبيل فترة الجفاف الخيرة بالصحراء الكبرى³ (انظر الصورة رقم 04)

¹ Henri -j .Hugot : recherche préhistorique dans l'Ahaggar nord

occidental (1950/1957).tome 1 (mémoires du C. R.A.P.E) pages :09

² محمد الطاهر العدواني نفس المرجع ص 161

³ ليونارد كوتريل الموسوعة الأثرية العالمية تأليف 48 عالماً أثرياً الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1977 ص. 161.



مظاهر الرعي وقطيع من الأبقار
الصورة رقم 04

إلا أن انعدام النشرات المرجعية المنتظمة الخاصة بالبحث في ما قبل التاريخ بمجموع الصحراء لا ييسر وضع خريطة للأعمال التي تم إنجازها في هذا الشأن فوجدت بالنسبة للعهد الاستعماري نشرات مرجعية لكنها ناقصة ومبعثرة وأغلبها عبارة عن تقارير من الصعب الوصول إليها، فتقسيم الصحراء السياسي شنت تلك الدراسات التي اهتمت بما قبل التاريخ.

والملاحظ أن التوغل في الصحراء أمر حديث جدا. فإن أول دراسة جادة تتعلق بالصحراء قبل التاريخ التي نشرها "القس ريتشارد" سنة 1868 م فهي تهم الصحراء الجزائرية وكان منطلقها رسالة أستاذ ارسلان بتاريخ فيفري 1867 م.¹

فمنذ ذلك الوقت بدأت الدراسات تأخذ طابع جدي في المقارنات والاستنتاجات.

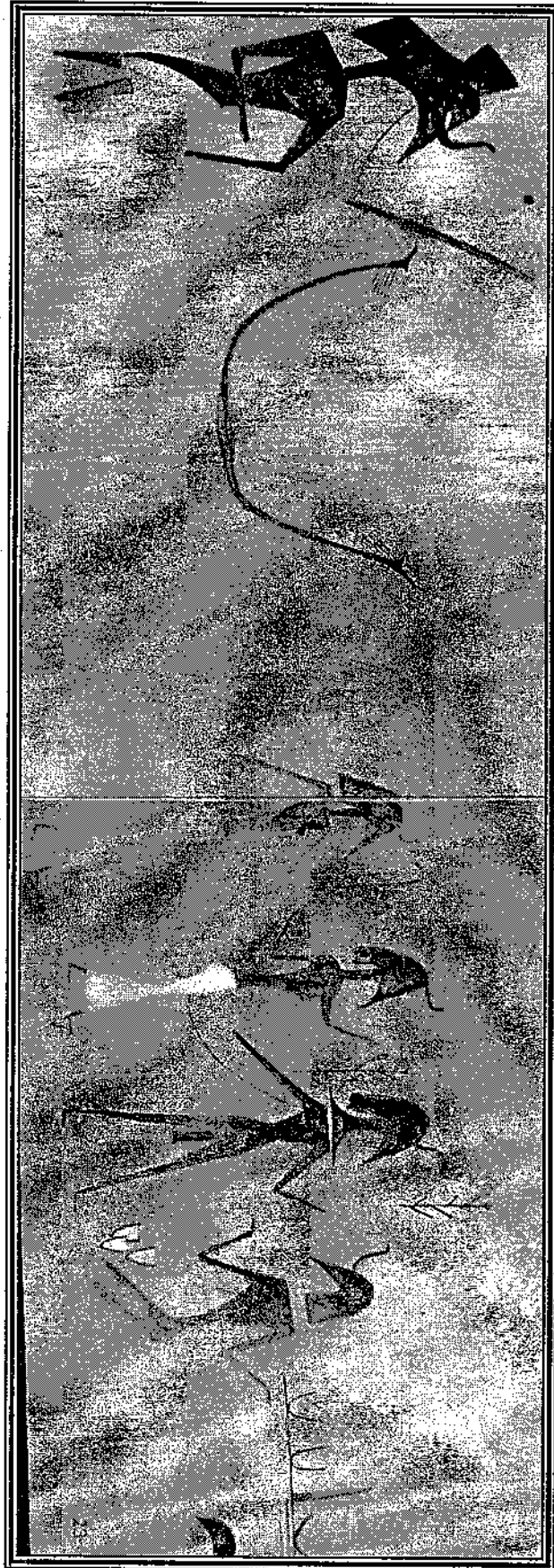
فأجمع الباحثون على أن النقوش الصخرية بالصحراء متطورة مع مثيلاتها المصرية القديمة. مما يبين أن المركز الحقيقي الذي انتشرت منه الحضارة قبل الميلاد هو مناطق المرتفعات بالصحراء الهقار والتاسيلي * (أنظر الصورة رقم 05)

¹ اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام اليونسكو 1980 ص 592

* تقع الحظيرة الوطنية للتاسيلي في الصحراء الوسطى بأقصى الجنوب الشرقي الجزائري على بعد 2000 كلم من سواحل البحر الأبيض المتوسط .

تعتبر أكبر حظيرة في العالم بحيث تزيد مساحتها عن 80.000 كلم² مقرها بمدينة جانت وتقع أراضي الحظيرة بولاية إليزي باستثناء الجهة الغربية منها فهي في أراضي تمراست

أصبحت الحظيرة تنتمي إلى التراث العالمي منذ 1982 لليونسكو وصنفت ضمن شبكة الإحياط الحيوي للإنسان منذ



نقوش صخرية متطورة مقارنة مع مثيلاتها
المصرية القديمة
الصورة رقم 05

وينبهر هنري لوط Henrie Lhote ويصف هذه الحظيرة ويقول: "وجدنا أنفسنا أمام أكبر متحف لفنون ما قبل التاريخ الموجودة في العالم، وأمام صور من بينها ما بلغ نوعية جد عالية من الجمال بطلاء ونحت طبيعي التي لا يمكن لأي مدرسة فنية في كل العصور أن تتجاهلها"¹

أما الباحث "جلود" Joleaud سنة 1933 مفاده أن معظم الرسوم الصخرية قد تكون معاصر لفترة النيولتيكي المتوغلّة في القدم والتي حددها بحوالي الألف التاسعة ق.م فيعدل "فوفري" Vaufrey فينزل إلى حوالي الألف الخامسة ق.م²

في حين قام "غرودن تشالد" (G.childe) بمقارنة سنة 1936 الفن الصحراوي بالفن المصري السابق لعصر الأسرات وأكد أن الفن النيولتيكي المصري كان أقل مهارة من نظيره الصحراوي المغربي والاسباني.

وشاركه في الرأي فيما بعد أ. بروي Abbé Breuil³.

فقد أكدت الباحثة الجزائرية "مليكة حشيد" مديرة المتحف الوطني للتاسيلي مختصة بدراسة السكان الأوائل في الأطلس الصحراوي أن: "الرسوم الطاسلية المنتمية للفن ما

¹ Henri Lhote A La Découverte Des Fresques Du Tassili B.Arthaud

Paris 1973 P. 14

² مقال محمد الصغير غانم: مجلة الصالة ص72

³ مقال محمد الصغير غانم نفس المرجع ص73.

قبل التاريخ الصحراوي له أصل وسمات مميزة وخاصة بها فالرموز الأولى للفنون الإنسانية ظهرت من خلال استعمال المواد الملونة وصناعة الحلي.¹

و إن الآثار والرسومات و النحوت الموجودة في الطاسيلي تمثل أرشيفا حقيقيا الذي يمكن من خلاله تكوين فكرة عن الشعوب القديمة التي استوطنت الصحراء ،إنها أكثر من ثمانى آلاف سنة من لتاريخ الإنساني².

وهكذا نستطيع القول من كل هذه المجادلات أن منطقة الصحراء الوسطى الجزائرية كانت تؤثر وتتأثر بالتيارات التي تحيط بها سواء تلك القادمة من آسيا عن طرق مصر أو من بلاد الإغريق عن طريق جنوب غرب أوروبا.

وكان للتاسليين شخصيتهم المميزة كما تتجلى من خلال الألواح الفنية المعبرة عن قصة أمجادهم .

وما يمكن أن نستنتجه انه من المحتمل جدا ان يكون سكان هذه المنطقة الواسعة من الصحراء قد هاجروا ضفاف بحيراتها ليستوطنوا بشبه الجزيرة العربية وبين النهرين وهم الذين عادوا إليها بعد عشرات القرون ليعمرونها.

فدراسة ماضي الصحراء الشيق ما زال في مراحلها الأولى فهي تتوفر للاختصاصيين ولذوي العزائم فرصة استثنائية لا بد من اغتنامها قبل أن يحرمننا استثمار

Malika Hachid : Les Pierres Ecrite De L'atlas Saharien :El Hadjra ¹

El Mektouba .Enag/Alger 1992 Tome 1

Henri Lhote : A La Découverte Des Fresques Du Tassili :B .Arthaud ²

Paris 1973 P15

المدخرات الطبيعية إلى الأبد من الإطلاع على الأسرار والمشاكل التي تهم ماضي الإنسان.

ونحن نعلم أن البحث في فترة ما قبل التاريخ قد تأثر بالصحراء أكثر من أي مكان آخر فالاهتمامات العاجلة أدى إلى سوء فهم مشاكله الحقيقية .
ومن المؤسف أن نلاحظ مثل هذه البحوث مهملة من الذين يملكون هذه الصحراء الكبرى أن يساهموا قبل غيرهم من الأجناس من انتزاع أغازها وأسرارها .وننتظر من العناصر التقدمية أي لتطور العلوم أن تساعدنا في ذلك.

2 - أصل الكلمة : (مسميات تداولها الزمن)

إن تاريخ هذه المنطقة كان محل عناية مؤرخي مختلف الأجناس، ولا زالت استمرارية تلك العناية إلى يومنا هذا، مع أن القليل منهم من خاطر بزيارة الطوارق في مواطنهم وعایشهم في قلب الصحراء. إذ نجد معظم من تعرض لتاريخ هذه النواحي من المتأخرين إلا واعتمد في كتاباته على المصادر الأجنبية.

وحل ما حل من الخلط بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الخيالية لذا وجب العودة إلى دراسة "علم الأنساب" الذي ازدهر في الحضارة الإسلامية ازدهارا كبيرا في زمن كانت العصبية القبلية تلعب فيه دورا سياسيا في حياة المجتمع الإسلامي.

وعليه أكد الإسلام الحنيف ضرورة قيام "علم الأنساب" ¹ فمن ذلك قول ابن حزم في مقدمة كتابه "النسب" قال: «فمن ذلك أن يعلم أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابن عبد الله الهاشمي فمن زعم أنه لم يكن هاشميا فهو كافر» ².

فقد كان للعرب من العناية في حفظ أنسابهم حتى كانوا يحتقرون من لم يكن مولودا من أبوين عربيين، فإذا كان أبوه عربي سموه المذرع وإن كانت أمه أعجمية سموه الهجين وإن كانت أمه أمة استعبدوه. ³ والحديث في أصل ونسب الطوارق بلغه الغموض من تضارب الأسماء والمسميات شأن جميع البربر فكلمة طارقي التي درج عليها عامة الناس هي مصطلحات عربية الأصل وهذا ما نحاول توضيحه فيما يلي: ⁴

فأماذا سموا بالطوارق؟

يسمى الأعراب في الجزائر منطقة ماوراء بلاد الطوارق باسم "بلاد الرعب والعطش" ⁵ لأن القوافل تسير وسط الرمال المحرقة نحو الثمانين كيلومتر في اليوم لتجد بئرا ترتوي منه وصعوبة الاتصال بهم وسموا طوارق نسبة إلى توارك أو "ترك" وهي

¹ علي بن محمد بن راشد المطروشي: المواهب اللطيفة في لأنساب الشريفة {ار الأفاق الإمارات العربية المتحدة ط01

1997 ص201

² أحمد الحشاش: التفكير الاجتماعي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1981 ص224.

³ جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي الجزء الثالث من المجلد الثاني منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1967

ص442

⁴ Claude Blanguernon : Le Hoggar Arthaud S.n.e.d Algerie 1971 p06

⁵ محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية. دار الفكر العربي نصر المجلد الأول ط1997/02 ص1007

كلمة مستقلة ومحرفة من الكلمة العربية "توارك" ويقال تركت الشيء تركا خليته¹ ويقال ويقال أيضا: الترك ودعك الشيء تركه يتركه تركا² ويقال أيضا: طرحة وخلاه³

فماذا ترك الطورق؟

حسب بعض الروايات أن لفعل - ترك - أي أولئك الذين تركوا العبادة وأعرضوا عن دينهم فسموا عندئذ "توارك" ⁴ تكتب أحيانا بحرف "ك" وأحيانا بحرف "ق" حتى يصبح أحيانا "ج" في اللهجة العامية ومفردها "تاركي" أو "طارقي" وجمعها "توارك" وقيل أنهم سموا بذلك لتركهم المسيحية إلى الإسلام⁵

في حين يرى البعض الآخر أنه من بين القبائل التي عمها الإسلام في تلك المنطقة الصحراوية، قبيلة "تاركة" أو "تريجة". بالجيم أو القاف معقودة كم ينطق بها أهل البادية ويأتي الانتساب إلى هذه القبيلة على صيغة "تاركي" والجمع "تواركة" و"توارك" على

¹ ابن منظور: لسان لعرب فصل لئاء المشاة فوقها دار الطباعة والنشر بيروت 1968 ص 405.

² محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس: فصل التاء من باب الكاف دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي 1966.

³ الشيخ أحمد رضا: مجم متن اللغة دار مكتبة الحياة بيروت المجلد الأول 1960 ص 364

⁴ عبد الجليل الطاهر دراسات اجتماعية و أنثروبولوجية منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1969 ص 89

⁵ عبدالرحمن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام الجزء الأول دار الثقافة بيروت ط 04 1980 ص 40

أنهم تركوا الوثنية إلى الإسلام¹ والاسم الأخير هو الذي حرفه بعض ترجمة المشرق فقالوا "طوارق".

ويذكر لنا عثمان سعدي ربما تسمية الطوارق تسمية عربية من طرف باب الصحراء المرعب يطرقه فهو طارق وهو طوارق أو طراق² إن الطريقي يعني غنية بهذا المعنى فيقول :

أنا الطريقي ولد الطريقية
قطاع إطريق و لصحراء ليّه

من خلال التعبير الشعبي نفهم أن الصحراء ملكا للطوارق بحيث كانوا يجوبون فيها بحثا عن القوت والكأ فكلما نكر اسم طارقي إلا وتبادر إلى أذهاننا "رجل الصحراء" فكل آت بالليل طارق وسمي الآتي بالليل طارقا لحاجته إلى دق الباب. ويشرح الوزان أن كلمة "طارقة" تعني الساقية أو القناة بالبربرية حيث سماوا بالطوارق كناية عن خبرتهم في ري بساتينهم بتقنية عالية³

أما عند المؤرخين "فقد ورد أول ذكر "للتوارق" بهذه الكلمة على لسان المؤلفين العرب في العصور الوسطى... ولكن في الواقع لم ير معظمهم بلاد الطوارق... وكان أول من أشار إليهم هو الكاتب العربي "ابن حوقل" في القرن العاشر و"البكري" في القرن

¹ مقال من مجلة الأصالة ص 20

² عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ S N E D الجزائر 1982 ص 31

³ الحسن الوزان: وصف إفريقيا ج 1 ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي ط 2 1983 ص 152.

الحادي عشر و"الإدريسي" في القرن الثاني عشر و"ابن بطوطة" في القرن الرابع عشر
و"ابن خلدون" في القرن الرابع عشر¹

ورغم ما قيل حول أصل هذه التسمية يبقى أنهم عرفوا عند جل المؤرخين
والرحالة باسم الملتمين نسبة لاستعمالهم اللثام.

إذ يذكر ابن خلدون عن الطوارق في قوله: "... الطبقة الثانية من صنهاجة وهم
الملتمون الموطنون بلقصر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك
مند دهور قبل الفتح، لايعرف أولها،... فنزلوا من ريف الحبشة وصاروا ما بين بلاد
البربر وبلاد السودان حجازا".²

بمعنى أن الطوارق من صنهاجة الجنوب حيث أن صنهاجة الشمال منهم بني حماد
الذين عرفوا بالقلعة .

ويضيف ابن خلدون ويقول: "ذكر ابن الكلبي والطبري أن بلادهم بالصحراء
مسيرة ستة أشهر، ومواطن مسونة لمتونة وكدالة وشرطة بالصحراء وهم أهل وبر"³ .
للعلم أن ابن خلدون يقول أن الملتمين كما هو معروف ينحدرون من "صنهاجة"
ومنهم "جيدالا" و"ليمتونة" و"اوتزل" و"زيجاوا" و"ليمتا" و"طارقة"

¹عبدالجليل الطاهر: المجتمع الليبي دراسات اجتماعية واثنوبولوجية منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1969

²عبدالرحمن ابن خلدون: كتاب العبر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1981 المجلد السادس 176

³عبد الرحمن ابن خلدون: نفس المرجع القسم الأول المجلد 6 منشورات دار الكتاب اللبناني سنة 1968 ص 311 .

ويفهم من هذا القول انه من الممكن اعتبار "ليمتا" و"ليمتونة" مترادفتين وجميعهم من "الملثمين" وذكره ايضا قبيلة "طارقة" يؤكد أصل تسميتهم بالطوارق المنحدرين من هذه القبيلة. ويضيف ابن خلدون ويقول: "منهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه افريقية"¹

واللمتونين يقطنون آنذاك أعماق الصحراء على أطراف السودان والسينغال ودخلوا على الإسلام في الوقت الذي كان فيه المسلمون يغزون ويفتحون بلاد الأندلس.²

وكانت تقطن تلك المنطقة قبائل من صنهاجة أهمها: لمتونة من قبائل من صنهاجة أهمها: لمتونة وكدالة ومسوفة³

ولمتونة من قبائل صنهاجة البربرية اللثامية بالصحراء لا يجمعها نظام، ولا يوحد مبدءاً أساسياً إلى أن نبغ فهم "محمد بن تيفاوت" المعروف "بتاسرت اللمتوني" فوحد شملهم وجمع كلمتهم وقادهم في حروبهم حتى استشهد عام 403 هـ⁴. ومن هنا نلاحظ أن التاريخ للدولة المرابطية هو التاريخ للجيل الثاني من قبائل صنهاجة المغربية وهم الملثمون من بربر الصحراء تاريخ لم يدون بشكل منتظم إلا بعد وقت من بداية

* ورد في ص 92/ج3 من كتاب إكمال تحفة الألباب في شرح الأنساب للشنقيطي: لمتونة الذي انتسب إليهم يوسف

بن تاشفين بن إبراهيم الحميري هي من قبيلة صنهاجة.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: نفس المرجع ص 286

² يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر المطبوعات الوطنية الجزائرية الطبعة 1 سنة 1965 ص 108

³ عبد الرحمن حاجيات ورشيد بوريبة وغيرهم (م. ر.ك) الجزائر 1984 ص 292

⁴ رابع بونار: المغرب العربي: تاريخه وثقافته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968 ص 235.

الحركة المرابطية واستقرار قواعد دولتها.¹ ويحدثنا ابن بطوطة الذي استغرقت أسفاره نحو خمس وعشرين سنة يقول :

"وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت إلى مدينة زيلع وهي مدينة البربرة وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وبلادهم صحراء مسيرة شهرين"² وتؤكد لنا الحقيقة التاريخية الآتية أن الطبري يلخص لنا كل ذلك ويربطهم بحام .

قال: « سمعت سعيد بن المسيب يقول: «ولد نوح ثلاثة وولد كل واحد ثلاثة سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم ، وفي كل هؤلاء خير وولد يافث الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وليس في واحد من هؤلاء خير وولد حام القبط والسودان والبربر»³

نفهم من الطبري إن البربر المنحدرين منهم الطوارق أخلط من كنعان والعماليق وغيرهم هاجروا على المغرب منذ أقدم العصور .

¹ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الجزء الرابع الطبعة الأولى 1995 مطبعة أطلس القاهرة ص 26

² ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار مطبعة مصطفى محمد بمصر الجزء الأول 1938 ص 159.

³ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري تاريخ الرسل والملوك مكتبة حياط بيروت لبنان المجلد الأول ص 223 بدون تاريخ

وفي الأخير نصل إلى هذه النتيجة أن البربر طائفتين هما:

1/ طائفة البربر الحضري : الذين يسكنون النواحي الشمالية والسفوح المزروعة.

2/ طائفة البربر الرحل : الذين يعمرّون الصحراء والواحات التي تلي ذلك جنوبا

وشرقا.

وننتقل الآن إلى زاوية أخرى من الطرح المتناقض بحيث أكد الكاتب "جيمس ويلارد" في كتابه *lost worlds of Africa* بأن أصل "الطوارق" يرجع إلى الجارامانت لأنه ما يتميز به الطوارق من خصائص أنثروبولوجية واجتماعية تختلف كل الاختلاف عن القبائل والأقوام التي تحيط بهم في الصحراء الكبرى.¹

فهم أطول قامة من العرب والبربر (انظر الصورة رقم 06) احتفظوا بلغتهم وبحروفهم الأبجدية حين كانوا أسيادا في الصحراء بحيث الشعر والموسيقى من مواهب النساء* فيصفهم "هنري باسي" *Henri Basset* ويقول: « إن الطوارق يظهرون كشعب طيب متفتح بمزاج منبسط مع أخلاق حميدة معبرة عن قيم اجتماعية جد عالية ومتماسكة بما فيها الكرم والعدل والأمانة و اللطافة »².

¹ عبد الجليل الطاهر نفس المرجع السابق ص 94 (تابع)

* نجد آثار الجارامانت في الشعر والأدب والأخلاق ومصطلحات الأسلحة واضحة كل الوضوح في الطوارق .

² *Henri basset : revue africaine: journal des travaux de la société*

historique (1) algérienne : o.p.u.a vol 63 Alger 1922 p 501



صورة رقم 06 * أحد سكان المنطقة بقامة طويلة*

وعلى العموم تسمى قبائل الطوارق نفسها ايمازيغن وهذا نسبة إلى جدّهم أمازيغ

بن حام بن نوح ونجدهم في غدامس مرزق، عات وتمنراست .

(إموهاغ) وأصلها (إموزاغ) جمع أمازيغ¹.

أما معظم المؤرخين أجمعوا أن أصل البربر يرجع إلى جذمين اثنين هما البرانس

والبتر.

ومن البرانس انحدرت قبيلة صنهاجة... وكان من أهم القبائل المنحدرة من الجذر

الصنهاجي قبيلة "لتمونة" في الشمال و"قدالة" في الجنوب و"مسوفة" في الوسط وهؤلاء

هم المثلثون² فعلى العموم عندما نتعرض إلى تاريخ الطوارق نتبادر إلى أذهاننا مباشرة

مشكلة أصل الطوارق الذي يتداخل مع أصل البربر في شمال إفريقيا فكل الطوارق بما

فيهم الأمراد من أصل بربري³ ويضيف المؤرخ "كارل بروكلمان" أن قبائل البربر من

اهل الصحراء الكبرى شرعت تدخل في الدين الإسلامي منذ القرن التاسع وما بعده.⁴

¹ les touareg de l'ahaggar : musée national des arts et tradition

populaires (M.N.A.T.P) éditions lohnic -Alger 1991 p :10

² مقال من مجلة الصالة ص18

³ boubou homa : recherche sur l'histoire des touareg sahariens et

soudanais presence africaine paris 1967 p 89

⁴ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه أمين منير البعلبكي دار الملايين ط 5 بيروت 1968 ص

في حين يرى "هنري لهوط" أن الطوارق اليوم مسلمين إلا أن إسلامهم سطحي
وحدث وذلك لتأثرهم بمعتقداتهم القديمة¹

نفهم من ذلك أن أجداد الطوارق الذين غزوا هذا البلد من المحتمل أن يكونوا أبناء
العم للتبو tibbous السود منعزلين منذ قرون في هذا المكان من العالم²
فورثوا منهم هذه العادات والمعتقدات الإفريقية .

ونبقى في نفس المجال بحيث أكدت الباحثة الجزائرية "مليكة حشيد" أن بربر
الطوارق الأوائل من أصل إفريقي خالص بالرؤوس المستديرة فوجودهم لا يقل عن 50
قرن قبل وجود الفراعنة (31) (أنظر الصورة رقم 07) les Têtes Rondes .



مرحلة الرؤوس المستديرة المتطورة
قد حدد تاريخ هذه المرحلة بالآلاف السادسة ق م *الصورة رقم 07*

Henri Lhote : les touareg du Hoggar Armand colin paris 1984 p 193 ¹

E.f Gautier le Sahara .Payot 1968 p 209 ²

تعقيب عام

نستخلص من كل هذه المجادلات والأطروحات تضارب الآراء حول أصل الطوارق إذ كيف وجدت هذه الأقوام منذ فجر التاريخ ثم وجودهم بعد الفتح الإسلامي هذا من جهة .

ومن جهة أخرى مهما قيل حول نسابة الطوارق ما هو كائن "اختلاط الأنساب" فالنسب العربي لم يكن خالصا إلا في الجاهلية وصدر الإسلام إلى أواسط الدولة الأموية وظل بعد ذلك محفوظا من حيث الآباء فقط، أما من حيث الأمهات فإنه اختلط اختلاطا عظيما بعد الإسلام .

ونحن نعلم الآن أن الولد يرث من أمه كما يرث من أبيه وربما كان من حيث الخلاق أقرب إلى أمه مما إلى أبيه. فالعرب بعد القرن الثاني للهجرة قل فيهم الدم العربي الخالص إلا في البادية حيث لم يكثر اختلاطهم بالأعاجم.

فما من منطق يقبل لنظرية العرق السيد فالأمة أو المجتمعات هي نتيجة امتزاج عدة عناصر تتصهر وتتداخل على مر العصور والأمة العربية كغيرها من الأمم تتألف من جماعات تنتسب إلى سلالات بشرية مختلطة وهكذا يتفق الباحثون إلى أن الطوارق قبائل بربرية من أقدم سكان الصحراء كما أشار إليه "ابن حوقل" إلا أن الباحثين في العصر الحديث يرجعونهم على أصل عربي أو عربي مختلط.

ولا عجب ان يكون هناك تفاعل بين قدماء المصريين والبربر في شرق إفريقيا فهم أبناء قرابة من أصل واحد فالحاميين بإفريقيا فراعنة من بلاد النوبة وبربر من أهالي طرابلس وتونس والجزائر.

ويدخل في نطاقهم قبائل الطوارق من سكان الصحراء الكبرى الذين استقروا بمصر .

إن بدو الصحراء هم البربر منذ حوالي ألف سنة لهم قرابة مع المصريين بالبشرة الفاتحة والحروف الرقيقة¹ (أنظر الرسومات المصرية شكل رقم 08) .
فهل من الممكن ان يكون الفراعنة توغلوا حتى الهوقار ؟.

وغوتبي يرى أن الصخور المكتوبة ورسومات الأطلس الصحراوية تعود إلى ما قبل التاريخ لمنطقة التاسيلي أقدم من التمدن المصري² .

ونتوجه إلى فكرة أخرى متناقضة تماما مع الروايات السابقة بحيث يرى "أوجان دوما" Eugène Doumas : «إن الطوارق يزعمون أنهم منحدرين من أصل تركي ذوي شوارب بالطريقة التركية ، وأنه من غير الممكن مناقشة هذا الرأي بحيث يقللون من قيمة العرب الذين يعتبرونهم شعوب مهزومة³ "يعترف ريبلي" "RIPLEY"

¹ François vergnand : Sahara petite planète 1960 p 32

² E.f Gautier : le passe de l'Afrique du nord petite bibliothèque
1964(2p 29 Payot paris

³ Eugène Doumas : Mœurs Et Coutumes De L'algerie Edition Sindbad
Paris 1988 P263

ANNÉES	ALPHABÈTES	A	E	L	O	OU	U	L	G	M	W	R	S	N	B	D	F	H
11000	PICTURE	⊙	∨	∪	∅	∅	∅	∅	∅	∅	∅	∅	∅	∅	∅	∅	∅	∅
4000	SUMÉRIEN MINIVITE	𐎶	𐎵	𐎴	𐎳	𐎲	𐎱	𐎰	𐎯	𐎮	𐎭	𐎬	𐎫	𐎪	𐎩	𐎨	𐎧	𐎦
3500	EGYPTIEN	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
2000	ARABEEN	ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن	هـ	س	ع
1800	PAIGOUR	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
1800	DOGARITHME	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
1400	HEBREU	א	ב	ג	ד	ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ
1200	PHENICIEEN ANCIEN	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
1000	GRIECQUE	Α	Β	Γ	Δ	Ε	Ζ	Η	Θ	Ι	Κ	Λ	Μ	Ν	Ξ	Ο	Π	Ρ
1000	EGYPTIEN MÉRIDIONAL	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
6000	SABEEN	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
600	HEBREU ANCIEN (Alphabet)	א	ב	ג	ד	ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ
600	ARABE	ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن	هـ	س	ع
600	CHALDEEN ANCIEN (Téral)	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
600	ETRUSQUE	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
700	AVESTIQUE	𐬀	𐬁	𐬂	𐬃	𐬄	𐬅	𐬆	𐬇	𐬈	𐬉	𐬊	𐬋	𐬌	𐬍	𐬎	𐬏	𐬐
600	PERSEPOLITAIN	𐎶	𐎵	𐎴	𐎳	𐎲	𐎱	𐎰	𐎯	𐎮	𐎭	𐎬	𐎫	𐎪	𐎩	𐎨	𐎧	𐎦
600	BRAHMI	अ	ब	ग	द	ध	न	प	च	ज	झ	ञ	ट	ड	ढ	ण	त	थ
600	IBODI	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
200	LIBYQUE	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
200	PHENICIEEN ANCIEN	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
200	TARTESSIEN	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
200	PERSEVI	𐎶	𐎵	𐎴	𐎳	𐎲	𐎱	𐎰	𐎯	𐎮	𐎭	𐎬	𐎫	𐎪	𐎩	𐎨	𐎧	𐎦
100	IBERIQUE	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
400	COREEN	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲋ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
800	JAPONAIS KATAKANA	カ	キ	ク	ケ	コ	サ	シ	ス	セ	ソ	タ	チ	ツ	テ	ト	ナ	ニ

الصورة رقم 08

(1) خط تيفيناغ القديم مع بقية الكتابات القديمة باللغة الأجنبية

من مجلة العلم والحياة
Science et vie

أن الجنس الذي سيعيش في شمال إفريقيا هو جنس أبيض والذي يتمثل في العرب والبربر وأضاف بارتون barton من أن جنوب أوربا قبل نهاية العصر الجليدي كان متصلا بشمال إفريقيا عن طريق جبل طارق أو عن طريق إيطاليا صقلية وتونس وان الصحراء الإفريقية على الأقل في جزء منها قد عمتها المياه فانفصل شمال إفريقيا عن جنوبها.¹ وهنا نطرح التساؤلات التالية هل نشأ الجنس العربي في شمال إفريقيا ثم هاجر إلى شبه جزيرة العرب وعاد إليها؟.

بحيث كانت موجة الفتح الإسلامي العربي فرصة التقى بها أبناء العمومة على أرض إفريقيا بعد ان كانوا قد التقوا على أرض الشام على بعض الروايات أو على أرض اليمن على بعض الروايات الأخرى.²

هذا ما ينبغي التأكد منه أن الدراسات جادة فمجال البحث مفتوح لذوي الاختصاص.

ويبقى الأصل الحقيقي لسكان هذه المنطقة جد معقد نظرا لتحركاتهم في شمال إفريقيا ففي سنة 740 ميلادي تم اختلاطهم مع البربر.³

¹ أحمد السعيد سليمان ك تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة الجزء الثاني دار المعارف بمصر ط 02 ص

² أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1978 ص 07

³ Hamid Mochtar DE Telemcen : Connaissance des tribus dans l'histoire

وليس من خلال الطوارق نستطيع الوصول إلى معلومات عن أصولهم كونهم لا يملكون أي اثر أو مخطوط مكتوب¹

ذلك أن تاريخ الصحراء الكبرى حسب غوثي يعود إلى ما قبل التاريخ فهناك تقطعات وحلقات وفجوات تاريخية مفقودة اندثرت في الظلام².

ويقول "ابن حوقل" : تلخص كل شيء عن التعداد المثير لقبائل الصحراء بقوله : «ولو قلت أنني لم أصل إلى علم كثير من قبائلهم لقلت حقاً³ بمعنى كناية عن كثرة التي لا تحيط بها الاستقصاء وهنا مكنم فعلا الصعوبة».

خـ لاصـ لة:

إنه من العسير جدا تتبع جميع هذه القبائل وما تفرع منها من بطون وأفخاذ مما لا يأتي عليه الحصر ولا عد، وإنما ذكرنا منها ما ارتبط من قريب أو بعيد بالطوارق التي سكنت الهوقار واتخذتها موطناً لها من قديم الزمن.

وهكذا تتأكد حقيقتان:

أولاهما: أن صنهاجة الذين نزحوا من جنوب الجزيرة العربية هم أجداد الطوارق

¹ espace et temps Arnaud colin Paris 1984 P.125 Henrie Lhote :

² E.f Gautier : le passe de l'Afrique du nord petite bibliothèque Payot

paris 1964 P 19

³ سعد زغلول عبدا حميد: تاريخ المغرب العربي الجزء الثالث منشأة المعارف الإسكندرية 1990 ص 513

وثانيهما: أن أحدا لم يعد يذكر شعب صنهاجة اليوم، وإنما أصبح اسم الطوارق هو الاسم المقرون بالصحراء .

فكلمة "تاركي" أو "طارقي" أو "طارقا" تعني السكان البربر الذين يعيشون في الصحراء.

فأغلب المؤرخين الذي اقرروا بأن الساميين والهاميين سلالة واحدة مهدها الجزيرة العربية وقرن إفريقيا وأنها لم تصل بلاد العرب قدوما من شمال إفريقيا إلا في الزمن الجيولوجي الثالث.

ولم يبق اليوم من القبائل العربية القديمة التي حافظت على وحدتها وولائها القبلي إلا بضع قبائل متفرقة في بقاع الجزيرة المختلفة.

و خاتمة القول ماكتبه الباحث النيجيري "ببوحمة" Bouboujama في كتابه "Recherche sur l'histoire des Touareg" صفحة 320 مبينا أهمية تكامل سكان الصحراء الكبرى من البيض والسود في مجتمعاتهم الكلية، فقال: «... إن مفهوم الطوارق أصبح يعني مفهوم (العرب) وذلك كحقيقة ثقافية للشعوب التي لها نفس الثقافة العامة ونفس الدين... ففكرة الجنس الواحد لم تكن لها أهمية في النوبة القديمة... كما أن العرب اليوم هم من البيض والسود وفي مصر الحالية شعب عربي واحد...».

فكيف بباحت نيجري يحدثنا عن وحدة العرق وعروبة الطوارق ونحن مازلنا نشك

في ذلك بتساؤلات تقودنا إلى متاهات لا جدوى منها.



3 بلاد الطوارق:

الطوارق و الحدود الدولية :

شعب بلا حدود ،فلا وطن محدد يلم تمزقهم ولا هوية موحدة تجمع فرقتهم والأدهى

أن ذلك يقع على أرض ثمانية بلدان عربية و افريقية هي :

الجزائر ، ليبيا ، المغرب ، موريتانيا ، مالي ، نيجر ، بوركينا فاسو و نيجيريا.

وبحكم تأثرهم بالمناخ وظروف الصحراء والجفاف فهم رحالة وأنهم يتجهون حيث

يمكن لهم الاستقرار مع مواشيم وتجنب ظروف القحط ويعدون نحو مليوني نسمة.

إن الحدود التي رسمت على يد المستعمرين (الفرنسيين والإنجليز) في نهاية القرن

التاسع عشر وفي القرن العشرين قد أسقطت على الطوارق تشرذما بعد أن للصحراء

الإفريقية كلها وطنا للطوارق في حلهم وترحالهم .

إن ظاهرة الاستعمار الغربي في إفريقيا وسيطرته أنهت زمن حرية التنقل عبر

الصحراء.وبدأ عهد تقييدهم بل وحصرهم في مناطق جغرافية محددة.

يسكنون الصحراء الغربية والأقسام الشمالية من غربي السودان وتقع منطقتهم بين

14° و 30° درجة من خطوط العرض وبين 05° درجات من خطوط الطول غربا

و 10° درجات شرقا.

وإن أول مسيرة للطوارق من اليمين أيام "أبي بكر الصديق" رضي الله عنه فسيرهم إلى الشام، وانتقلوا إلى مصر ودخلوا المغرب مع "موسى بن نصير" وتوجهوا مع طارق إلى طنجة فأحبوا الإنفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية¹. وفي عام 1433 استولى الطوارق القادمون من الصحراء على تمبكتو* ثم استعادها حاكم صنغاي منهم عام 1438² أما نزوحهم فيرى بعضهم أن الفتح الإسلامي أجبرهم على النزوح جنوبا حيث تمركزوا في التاسيلي والهقار. وبذلك قد يكون أحفاد القارمونت** هم الطوارق عندما طاردتهم جيوش روما، ينسحبون إلى أعماق الصحراء ويغلقون أبار المياه خلفهم.³

¹ ابن الأثير: الكامل في التاريخ - المجلد التاسع - دار بيروت للطباعة والنشر 1966 ص 618

* ثقافة تمبكتو أسست في القرن الثاني عشر بعد نحو 12 ميل من فروع النيجر.

وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم - مكتبة النهضة المصرية ترجمة محمد مصطفى زيادة القاهرة 1962 الجزء الثالث ص 883.

² وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم - مكتبة النهضة المصرية ترجمة محمد مصطفى زيادة القاهرة 1962 الجزء الثالث ص 883.

** قبيلة مغربية قديمة كرماني Gara mantes من الجنس الأبيض وقد كان محط اهتمام الباحثين بدءا بهيرودوت إذ لا يعرف المختصون حتى الآن من أين أتت الأفواج الأولى، وما يقال عليه أنه يغطي الأرض بالملح ثم يزرع القمح

³ بوزيانى الدراجي: القبائل الأمازيغية - أدوارها - مواطنها - أعيانها. دار الكتاب العربي القبة الطبعة

والراجح أن النواحي التي سيطرت عليها قبائل القارمونت هي مناطق: فزان

،التاسيلي والهوقار .

ويقال أن نفوذهم امتد غربا حتى شواطئ المحيط الأطلنطي وجنوبا إلى النيجر .

وقال المؤرخ الجزائري "محمد أبو رأس الناصري الراشدي" (1237/1165هـ)

في تأليفه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" : "ثم إن صنهاجة ، أهل اللثام المعروفون

عندنا بالطوارق مساكنهم بين السودان وبين الرمال التي هي تخوم بلاد البربر، متصلون

بالبحر المحيط لهذا العهد في المغرب إلى ساحل النيل بالمشرق".¹

فلم يكن يؤمن للطوارق بالحدود حتى لقب "بالشعب الحر" ويتوزع الطوارق في

الصحراء الكبرى ودول الساحل في مجموعات تنقسم إلى مايلي:

كل أهقار (الجزائر)

كل أجير (الجزائر وليبيا)

كل أداغ (المالي)

كل أترام (المالي)

كل أيين (النيجر)

كل غرس (النيجر)

¹ من مجلة الأصالة ص 05 نقلا عن "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" شرح به منظومته السينية التي هنا بها الباي

محمد بن عثمان فاتح وهراني سنة 1206 هـ والكتاب لم يطبع إلا أنها ترجمت كثير من فصوله ونشرت في المجلة

فكان مستقر الطوارق فيما بين بلاد البربر والسودان والسينغال، وهو بدورهم

ينقسمون إلى عدة فئات رئيسية تطابق الوحدات السياسية هي :

(1) كميل أجير: يسكنون الجبال المسماة "التاسيلي، أجير" في القسم الشرقي من

الصحراء الجزائرية والأقسام المجاورة من ليبيا وتصل شمالا إلى طرابلس والصحراء

الرملية الكبرى حول غدامس .

(2) كيل هكار: في جبال "الهقار" وجبال "أهنت" و"أمدير" و"تفيدست" : وتساكن

بعض القبائل منها في السهول الجنوبية من "قامسنا".

(3) كيل أدرار: في جبال "الدرار - فوغاس" إلى الجنوب الغربي من "هقار"

(4) كيل أيار: يسكن في الهضبة الجبلية من "أيار" وتتألف من وحدات شبه مستقلة

مثل "كيل فيردان".

(5) كيل جيرس: في جنوب أيار في السهول المحيطة "بتساوا"

(6) كيل أبوليمدين : في السهول المحيطة ب "تاوادينك" ينتقلون في نهاية سقوط

الأمطار شمالا إلى منطقة "أنغال" التي هي ضمن ديار "أيار"

(7) كيل أترام أبوليمدين : أي "أبوليمدين" الغربية على طول نهر النيجر.

Revue -les Touareg de L'ahaggar: Musée nationale des Arts et ¹

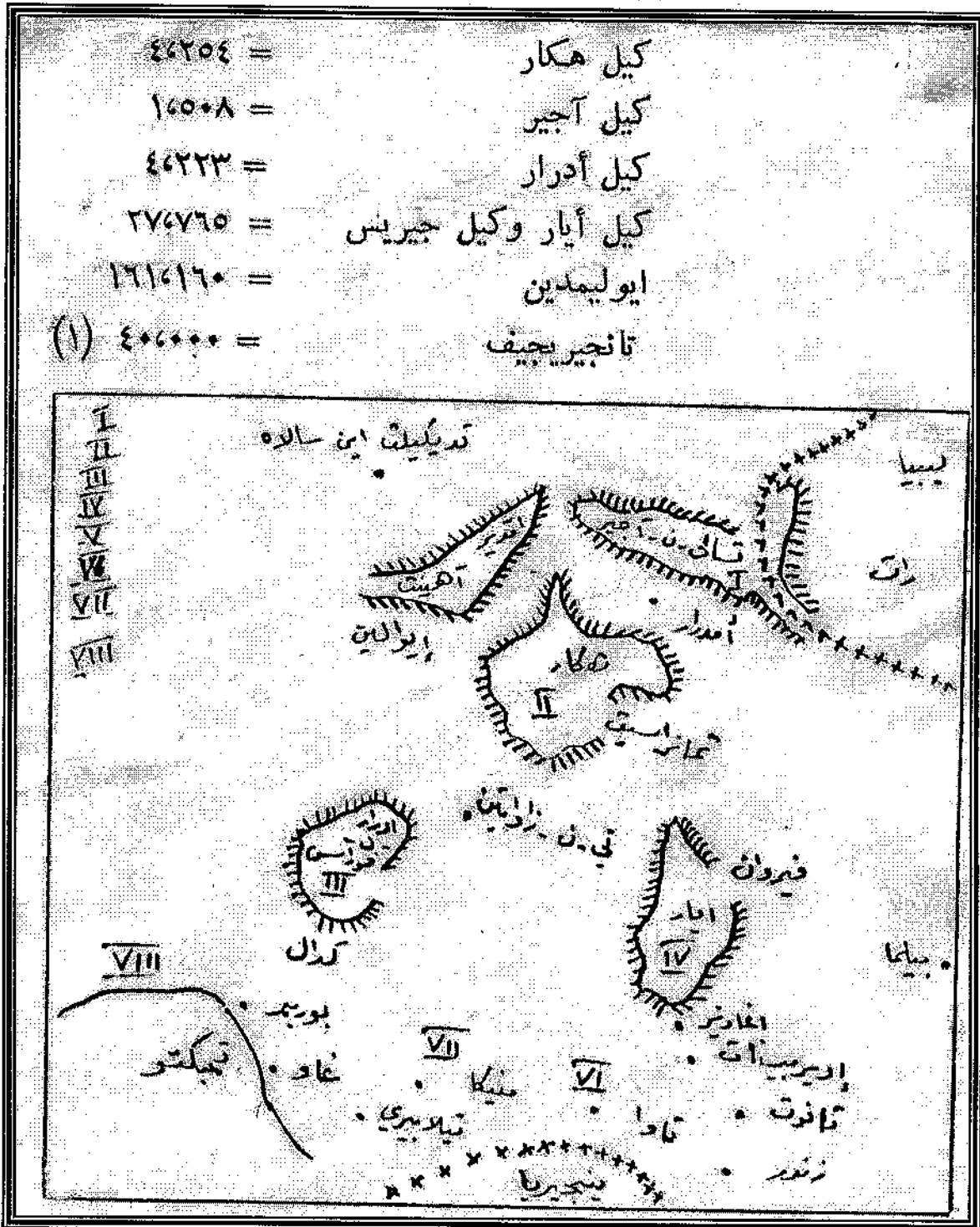
traditions populaires ,édition Laphomic alger1991/ P.11

* كلمة تعني "أهل أو ناس" باللهجة المحلية



(8) كيل تاديماكيت: تتضمن عددا من القبائل والفئات القبلية المحيطة بـ "تمبكتو"

وبحيرة "فاجلين".



خريطة تبين تقدير عدد سكان قبائل الطوراق عن عبدالجليل الطاهر *

1 تحتاج هذه الإقام إلى كثير من التصويب - تقدر سنة 1950 أقل
من 300.000

وما يمكن ملاحظته أن كيل أجير وكيل هكار¹ من طوارق الشمال والفئات الست

الأخرى تعيش في حواشي الصحراء والسغانا السودانية تعتبر من طوارق الجنوب.

وهنا تجدر الإشارة أن الأراضي التي كان يعيش فيها الطوارق شاسعة تمتد على

وجه التقريب حتى شمال ورقلة وحتى القطرون شرقا ووراء خط يسير من "أولف" إلى

تمبكتو غربا ،وجنوبا حتى منعطف نهر النيجر وحدود نيجيريا الشمالية

ولكنه في غضون القرون الأخيرة تقلصت هذه الرقعة الجغرافية تدريجيا لعدة

عوامل أهمها الضغط الذي مارسه العرب عبر القرون من الشرق والشمال ،ثم توغل

الاستعمار الفرنسي والإيطالي في الصحراء في الأزمنة الحديثة.

لذلك اتجه الطوارق تدريجيا إلى الهجرة إلى أدرار ليفوغاس وإلى أير والسودان.²

والسودان.²

هذا ما خص كل الطوارق في حدودهم الشاسعة أما ما يتعلق بقبائل الطوارق

الجزائرية تنقسم إلى ثلاثة فروع أساسية:

طوارق تاسيلي ناچار ، طوارق ادرار نيفوغاس

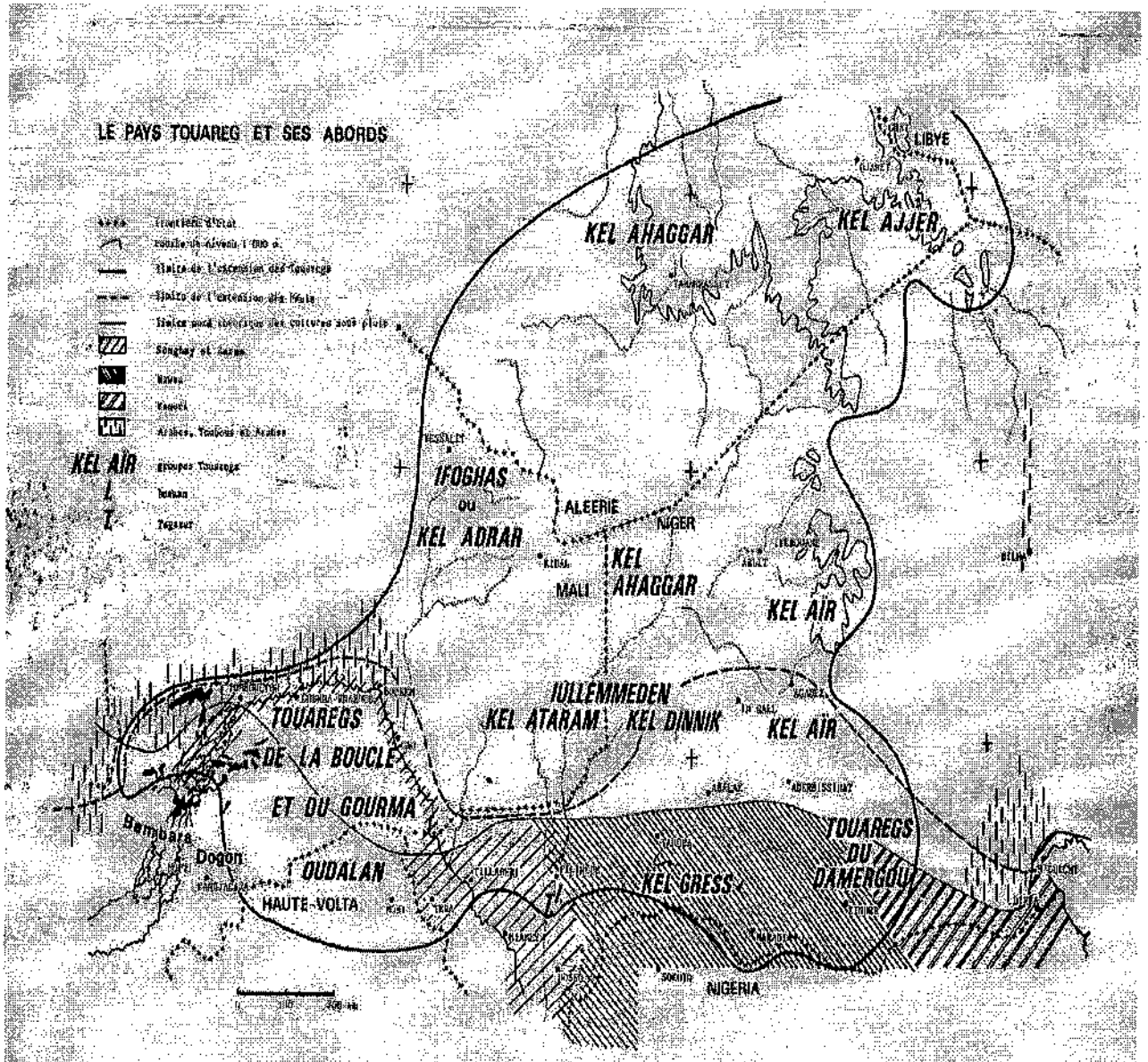
طوارق أهجار (وهم محور دراستنا) وهي موزعة على الترتيب من الشمال

الشرقي إلى الجنوب الغربي ومجموع هذه المجموعات على الثلاث لا يزيد عدد أفرادها

عن 12 ألف نسمة¹.

¹عبد الجليل الطاهر: نفس المرجع السابق ص96

²عبد الجليل الطاهر: نفس المرجع السابق ص96



خريطة تبين موقع وجود الطوارق في الصحراء

¹ محمد السويدي: بدو الطوارق من الثبات والتغير (م وك) الجزائر 1986 ص 76

وبهذا يتوزع طوارق الجزائر على مناطق متباعدة بعضها عن بعض بمئات الأميال وهذه المناطق ماهي إلا البقية من أوطان أوسع.

وعلى وجه الخصوص "طوارق الهجار" تشمل مساحته على وجه التقريب المنطقة التي تمتد بين أمجد وجزام وجنت واوا لن ،على نحو 140,000 ميل مربع.

وطوارق الهجار يتكونون من ثلاث قبائل هي :

(1) كل رولة

(2) كل تيغية ملت

(3) كل طيطوق.

وعلى رأس كل واحدة منها عشيرة نبيلة تحمل اسمها.¹

أصل تسمية الهوقار:

سكان "الهقار" من بقايا سكان جزيرة خسفت بسكانها الأرض ولم يبق من سكانها إلا الأقلية اندمجت في قبائل الطوارق ،وهذه الأقلية تعرف ب"المازيك" الذي تحدث عنها

المؤرخ اليوناني هيردوت Hérodote².

من هذه الأسطورة إلى واقع ابن خلدون الذي يسمي الهقار "هكار" أو الهكار ويرجعها إلى كلمة '(هوراة) وإذا علمنا أن هناك قبيلة تحمل نفس الإسم بمصر (عرب

¹ إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها (م و ك) الجزائر 1983 ص176

² من مجلة الأصالة: نفس المرجع السابق ص 24

هواره) ويتشابه سكانها في الشكل واللون مع الطوارق.¹ فلا بد أن يكون أهل الهقار قد رحلوا إلى مصر وأقاموا بها وهو ما أوضحه ابن خلدون بالقول أن هؤلاء القوم يسعون وراء الأرياف وهجروا الرمال والتلال فراراً من العدو الذي كان يسعى ورائهم* ويذهب عبد الرحمن الجبلاي في أصل تسمية الهقار فيقول: "إنني أرى من الجائز القريب والمحتمل لفظاً ومعنى أن المنقلب من الحروف في كلمة (الهكار) أو (الهجار) هو حرف الهاء لا الواو ولا الكاف، كما قال ابن خلدون، فنقول أن أصلها (حجار) وهي الأحجار، فالهاء منقلبة أو مقلوبة عن حرف الحاء."²

نفهم من ذلك أن كون وضعية هذه الناحية من كثافة حبالها الحجرية وعظمة صخورها ومرتفعاتها من الحجارة الصلبة والأدوات المصنوعة من الحجارة، أو من قولهم (الحجار) بتشديد الجيم وهو قاطع الحجارة فسميت المنطقة أولاً بالحجار ثم غيرتها الألسن وحولتها إلى قولهم الهجار - الهكار أو الهقار بقاف معقودة. أليس هذا قريب ومعقول؟.

¹عبد السلام بوشارب أمجاد وأنجاد (م. و. للإتصال والإشهار) روية 1995 ص 16 ص 16

* هناك قرية تسمى "هواره الأهون" بالفيوم بمصر وهي ذات اماكن أثرية كما توجد بشمال بلادنا في بلدية "أولاد

تبان" وكذلك عرش وجبل هواره قرب قامة.

²مجلة الأصالة: نفس المرجع ص 23

وفي اللغة :

يقال : - هجر النهار - بتشديد الجيم - إذا اشتد حره والهجرة والهجير شدة الحر ويقال له وقت الهجر ،ومنها جاء تعبير العامة عن شدة الحر بقولهم (الهقارة) بالقاف المعقودة وكان هذه الناحية شبهت لشدة حرها بالهجرة.¹

ومن خلال تحليلنا ليس من الأربح أن يكون المعنى هو "الهجرة" بمعناها المعروف وهو التنقل والترحل والخروج من أرض وهذا مقبول إذا اعتبرنا ما هو عليه حال هؤلاء الطوارق من الترحال .

وما يمكن قوله أن هذا الفضاء الواسع من الصحراء الكبرى هي أوسع صحاري العالم ،حيث أنها تمتد شرقا من البحر الأحمر ،عبر النيل حتى المحيط الأطلسي غربا ،ومن الجنوب إلى الشمال بين بلدان إفريقيا الشمالية وبلاد السودان على عكس الصحاري الأمريكية والأسترالية نجد صحراءنا عرفت الاستيطان والعمران منذ أقدم العصور .

ويتكون المجتمع الطارقي في الأهمقار كالاتي :

➤ أموهاغ (النبلاء)

➤ إينادن (الحرفيين)

➤ إكلان (العبيد)

إلا أن هذه التنظيمات الاجتماعية قد زالت باستقلال الجزائر واستقرار الطوارق بمدينة تمنغاست كونها أصبحت ولاية عام 1974 على أن هذا لم يمنع النبلاء من

¹ من مجلة الأصالة: نفس المرجع ص 24

الحفاظ على مكانتهم الاجتماعية ويظهر لنا ذلك جليا من خلال اللباس عامة والشاش على الخصوص، فقبائل الهقار تجتمع في مجموعات تضم عدة قبائل والقبيلتان الأكبر أهمية فيها قبيلتا "كل غالاً" و"طايتوك" كما هو مبين في جدول توزيع قبائل الهقار.

جدول يمثل توزيع بعض القبائل وتوابعها ومراكز إقامتها إضافة إلى مجالات تحركاتهم بحثا عن الكلاء

القبيلة الأم	فروعها	مجالات تغلقها
كل غالاً	إينما، ايكروماين، ابوقلان، ايكمييت	الهقار "هقار"
ايفوغاس هقار	كل تيههاوت	أمقييد، تمراست ابديبيزي، تافدست
إهملان	مندمجة في كل غالاً	تيديكلت، إن غار أهقار، تيديكلت، توات
إينسليمان	إيتشريتبان كل لنصار	أهقار، تيديكلت، توات أهقار، تيديكلت، توات
ابريقناتن	كل وين ستانتن ، كل وين ايهقاغن	أهقار، تيمسنة ، أهقار، تيمسنة
كل طايتوك	كل طايتوك	كل طايتوك
ايتانانن	كل تاوريرت ، كل تيسمة	تاوريرت، عين أمقل ، أهقار وتيمسنة

ونختم هذا المبحث براوية شعبية طريفة في خلق الهوقار: « يروي الطوارق أن الله

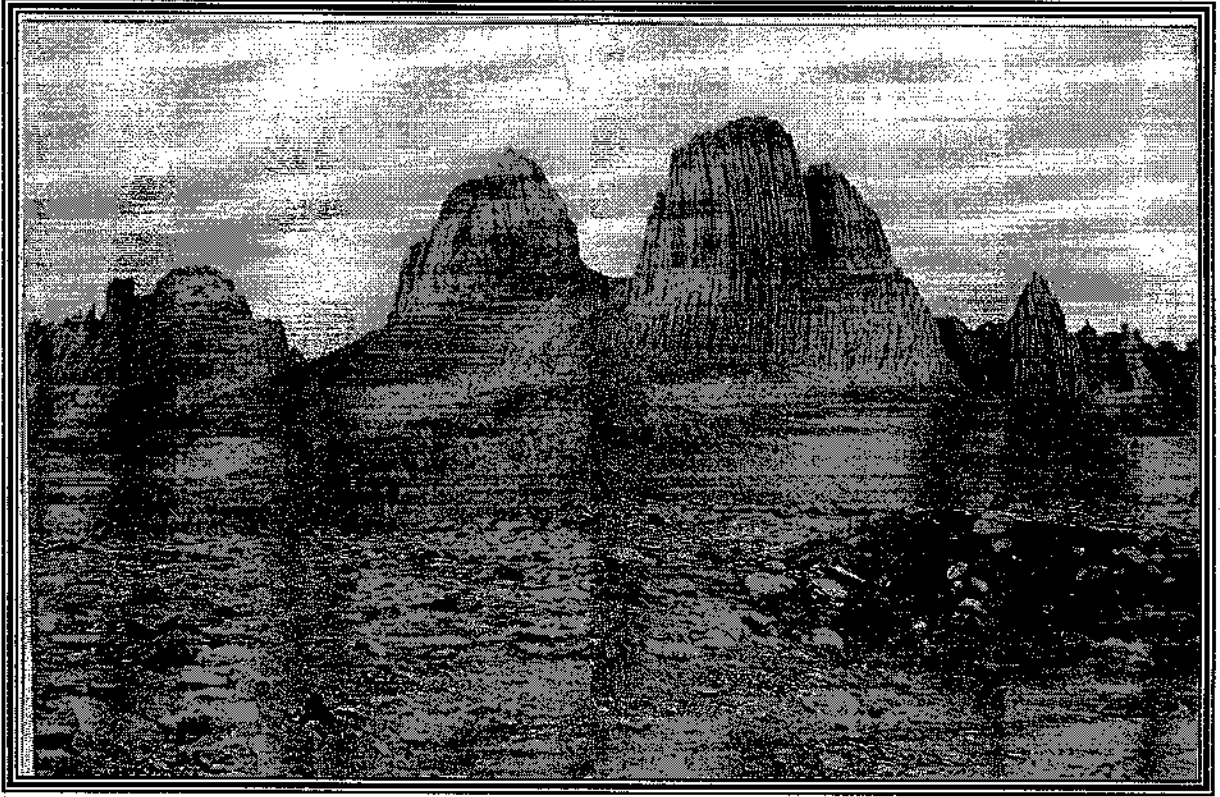
خلق الأرض ثم خلق الصخور ووزعها على الأرض والكمية الكبيرة الباقية قذف بها في

الصحراء وهي التي شكلت الهوقار.»²

^{*} مع العلم أن التسميات نسبة لمناطق سكنتها هذه القبائل بالهقار.

¹ عبدالسلام بوشارب: نفس المرجع السابق ص 25.

² Jean Devos : sahara : terre impitoyable et pays de reve " H.M Paris 1957



صورة رقم 09 منظر طبيعي لجبال الهوقار

المبحث الثاني

الجانب الثقافي للطوراق

لغة الطوراق :

إن اللغة ظاهرة مميزة للمجتمع لكنها تتفاعل بين الجوار وتتعارضها المجتمعات و تأثيرات ذلك تبقى ملامح إيجابية لا سلبية على من لديه القدرة على التفاعل بمن يحثك بهم .

فاللغة تعبر عن الفكر وأداته الرئيسية فإنها لا تخضع دائما لمبادئه بل يكسرها الواقع ، فقيمتها في قدرتها على التعبير المحكم الدقيق عن المعاني والأفكار التي تتسجم مع الواقع ، وليست في كثرة مترادفاتهما ولا في وجود أضدادها .

فهي تشمل أكثر من الكلام الشفوي والمكتوب والإيماءات والصور ، والنصب التذكارية ، والأطراف البصرية وحركات الأصابع والإارات . فأى شئ يستخدم استخداما واعيا كرمز أو علاقة هو -منطقيا- لغة.¹

وهي أيضا عبارة عن نظام بحيث يعرفها عالم اللغويات السويسري "فرديناند دي سوسير" Ferdinand de Saussure "اللغة نظام Systeme لا يعرف غير نسقه الخاص به" .

ويقدر أيضا أن "اللغة نظام ينبغي بل يجب أن تعتبر كل أجزائه من حيث تضامنها

المتواقت"¹.

¹ قاموس جون دبوي للتربية : تربية د محمد علي العريان مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1964 ص 181

بمعنى أن اللفظ مجرد جمع بين صوت معين وتصور معين.

وبذلك تكون اللغة في الأصل : مجموع الأصوات الإنسانية المعبرة .

جدول الأبجديات

خط الحزم العربي	السند وبرصه العربي القديم	البربرية (تفناغ)	النوميديّة		لاتيني
			سنگر	رصر	
ا	أ	•	•	•	a'
ب	ب	⊙ ⊠	⊠ ⊙	⊙	b
ج	ج	† ‡	∨ ∧	← →	j
د	د	⊠ ⊡ ⊢	⊠ ⊡	⊠	d
هـ	هـ	⋮	⋮		h
و	و	:		≡	u
ز	ز	#	-	-	z
ح	ح	⊠	⊠	⊠	z'
ط	ط	⊠ ⊡ ⊢	⊠	⊠	z
ع	ع	⋮	⋮	⋮	h
ف	ف	⊠ ⊡ ⊢	⊠	⊠	d

وحرف (ي)
المبتلي
أرب =
(مكدا)

جدول يمثل خط النوميديّة والبربرية (تفناغ) والمسند عن محمد علي
مادون * عربية البربر *

وفي علم النفس: مجموع الإشارات الصوتية أو غيرها التي يعبر بها عن الفكر

فما هي هذه اللغة التي تعبر عن الإشارات الصوتية؟ وكيف هو نظام الكتابة؟

إنها لغة الطوارق فلم يقولوا أنها عربية مشوبة بالزنجية إنما قالوا: (لا هي

بالعربية، ولا هي بالزنجية، وإنما مطعمة بالعربية والزنجية - سموها - "طماشق" وقالوا

أنها تكتب بأحرف غير عربية .

خط الحرام العرف	السطر والبريد العرف القديم	العربية	الترميزية		اللاتي
			شكوي	وعجوي	
ا	پ	{ }	N Z	Z	L
ب	س ن	ب	11	≡	K
ج	ا ا		≡		L
د	ب ب ب][U U])	m
هـ	ا ا ا	ا	ا	ا	n
و	ا ا	○ □	∞ 8	X	S
ز	ا		⌈))]	S°
ح	ا ا	:		÷ ≡	S G
ط	ب ب ب][H	X X X	X	P P
ث	ب ب	...	≡		q
ق		X X			G
ر	ب ب ب	○ □	○ □	○	R
س	ب ب	3 ج	M X	3	S
ش	X +	+	+	+ X	t
ص	ب]	⌈		t²

إن نظرة متعمقة للجدول من قبل عن عارفة بتطور الحرف تؤكد صحة الصلة رغم وجود حروف لا تشابه بينها.

¹عبده الحلو : معجم المصطلحات الفلسفية ك المركز التربوي للبحوث والإفتاء مكتبة لبنان الطبعة الأولى 1994 ص

وفي الحقيقة كما هو واضح في الجدول فإن أبجدية (تفناغ) عبارة عن رموز (signe) بأحجام هندسية بسيطة: من مجموعة نقاط، خطوط، ودوائر وأشكال متنوعة¹ بحيث عثر العلماء الآثار على نقوش مكتوبة بالخط الحميري على صخور من ديار عاد وثمود ومشهد ووادي ثقب هي قريبة الشبه جدا من نقوش الخط البربري الموجود بناحية الهقار.²

على أن لغة طماشق كانت في الأصل لغة السود أما اليوم فصارت لغة كل الطوارق³ وقارة إفريقيا من أقدم القارات في العالم وجدت بها الكتابة التي هي علامة على الحضارة وهي من أوثق المميزات التي تفرق بين أهل المدينة وأبناء العصور البدائية .

واللغة البربرية أحد هذه اللغات القديمة في العالم تحوي ألفا ومائتي لهجة يتكلمها أقوام عاشوا في شمال إفريقيا منذ عصور سحيقة وهم يختلفون تماما عن باقي سكان القارة الإفريقية⁴.

¹ Henri Lhote : les Touaregs du Hoggar: édition Armand colin paris 1984 .p 20

² عبدالرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، نفس المرجع ص 46

³ Boubou Hama : Recherche sur L'histoire des Touareg Sahariens et Soudanais P .95

⁴ سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر دراسة أدبية نقدية منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1967 ص

وليس للبربر في القديم نظام في الكتابة يكتبون من اليمين إلى اليسار ومن اليسار

إلى اليمين، ومن أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلى.

ولما جاء العرب اثروا بنظامهم فصاروا يكتبون من اليمين إلى اليسار وبطول المدة

نسي المختلطون بهم الحروف البربرية وصاروا يكتبون لغتهم بحروف عربية، ولم تعش

حروفهم إلا بين الملتهمين في مجاهل الصحراء، فإنهم لم يزالوا يكتبون بها إلى هذا العهد¹

في حين يرى عبد الرحمن محمد الجليلي: "إن لغتهم ولهجاتهم فلم يحدثنا التاريخ

عنها بشيء ولا يبعد أن تكون أخت لغة قدماء المصريين والليبيين".²

ولم تكن الحروف الأصلية لتزيد لديهم على أربعة عشر حرفا يسمونها "تيفيناغ"

معناها الحروف المنزلة ولها حركات وضوابط تسمى "تيدباكين" بمعنى الدليل على العمل

والتوسع. وهم يكتبونها بحرية تامة كيفما شاء الكاتب³ ثم تطورت إلى 24 حرفا.

فعلی سبیل المثال كلمة تامنراست Tamanrasset

تكتب بـ: الطريقة الأولى: + [| : ⊙] +

+ ⊙ : |] + الطريقة الثانية:

الطريقة الرابعة
+ ⊙ : |] +

الطريقة الثالثة:
+ [| : ⊙] +

¹ مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1976 ص 121.

² عبد الرحمن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام دار الثقافة بيروت الطبعة الرابعة الجزء الأول 1980 ص 34

³ عبد الرحمن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام دار الثقافة بيروت الطبعة الرابعة الجزء الأول 1980 ص 44

ولم يبق لهذا الخط أثر بهذا الشمال الإفريقي سوى في الصحراء عند الملتئمين من

قبائل لمتونة المشتهرين باسم الطوارق .

فلغة الطوارق المعروفة ما بين لهجات البربر بلغة "تماشغت" أو "تمازغت" أو

طماقش" وهي تقرب من لهجة قدماء المصريين التي لا تزال منطوقا بها في بلاد النوبة

وهي مستعملة هناك في بعض الكنائس القبطية بمصر حتى أن الكاتب الروماني القديم

"فليوس" قال في حديثه عن لغة البربر عموما : "يتعذر عن حاجر غير البربر أن

تستطيع النطق بأسماء قبائلهم ومدنهم"¹.

أما الرأي السائد لدى كثير من الباحثين أن الأبجدية التي يسميها الطوارق

(التيفيناغ) استعاروها من الأبجدية الفينيقية ثم طرأ عليها مع الزمن الكثير من التبديل.²

جدول للخط البربري تيفيناغ والفينيقي

أبجد	تيفيناغ	فينيقي	أبجد	تيفيناغ	فينيقي
أ	•	•	ب	⊠	⊠
ب	⊠	⊠	ج	⊠	⊠
ج	⊠	⊠	د	⊠	⊠
د	⊠	⊠	هـ	⊠	⊠
هـ	⊠	⊠	و	⊠	⊠
و	⊠	⊠	ز	⊠	⊠
ز	⊠	⊠	ح	⊠	⊠
ح	⊠	⊠	ط	⊠	⊠
ط	⊠	⊠	ي	⊠	⊠
ي	⊠	⊠	ك	⊠	⊠
ك	⊠	⊠	ل	⊠	⊠
ل	⊠	⊠			

هذا الجدول يبين شكل أمهات حروف لغة "تيفيناغ" مع توضيح صيغة النطق بما على سبيل التقريب ومع إضافة الخط الفينيقي إليه

¹ مجلة الأصالة: عن تاريخ منطقة الهوقار ص 26

² عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ S.N.E.D الجزائر 1982 ص 41

في حين يؤكد عبدالسلام بوشارب تشابها كبيرا بين حروف التيفيناغ والفينيقية وأن الحروف المسمارية والتيفيناغية تتحدر من دون شك من الأبجدية العربية والكتابة السامية القديمة.¹

فحروف والذال والشين تتماثل في رسوماها كما تشترك التيفيناغية مع العربية في استعمال أحرف (أنيت) فمثلا فعل (أطس) الذي يعني بالبربرية ينام يصرف كما يلي:

أطسغ :نمت (أنا)

تطسد: نمت (أنت)

نطس: نمنا (نحن)

يطس: نام (هو)

كما نلاحظ استعمال النون عادة في البربرية للربط بين الضمائر تماما مثلما نلاحظ في العربية وبالمقابلة مع جمع المؤنث السالم، نجد الناء في كلمة (الخالات) أي النساء تدل على التأنيث.

فكلمة ثمطت التي تعني بالبربرية المرأة وأصلها في العربية الطمط أي المرأة الحائض.

نفهم مع بارتون الذي بنى نظريته في وجود تشابه في بعض الكلمات والصيغ بين

اللغتين السامية والحامية.²

¹ عبد السلام بوشارب : «المقار أمجاد وأنجاد» 1985 نشر المتحف الوطني للمجاهد. ص17

² ففة من الأساتذة الجامعيين :دراسات في المجتمع العربي ط2 مطبعة طربين دمشق 1969 ص36

كما يتفق المؤرخ "قوستاف لوبون" بالإضافة إلى دائرة معارف يونيفار ساليس التي تعد من الدوائر القليلة التي أنصفت تشابه العرب والبربر لغة ومجتمعاً وتقاليد. وتعد هذه اللغة من أنقى وأطهر اللغات المنحدرة من اللغة البربرية.¹

وفي فرنسا اليوم جمعيات بربرية تضم مهاجرين يطالبون بتدريس حروف التيفيناغ كمورث ثقافي ضروري².

وهذا ما تم تطبيقه في البرامج الجديدة الخاصة بتعديل المنظومة التربوية في بلادنا كلغة رسمية بجانب العربية. بدليل أن هذا اللسان أو بالأصح هاته الألسن هي مندثرة تقريبا في تونس (1%) وراسخة جدا في الجزائر (29%) وخاصة في المغرب الأقصى (42%)³.

وما نستخلصه من هذه الأطروحات أن لغة حمير مازال حرفها يكتب به في الحبشة وما زالت كتاباتها ونقوشها لا تحصى ويعثر عليها كل يوم على رقعة الجزيرة العربية وما بين النهرين وبلاد الشام وشمال إفريقيا .

¹ Revue Africaine journal des travaux de la société historique algérienne

tome (08) 1864 (o.p.u) Alger p 397

² Edmond Suzanne bernus L'Harmattan collection cairn 1983 p 70

³ شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير: ترجمة المنجي سليم الطيب المهيري وغيرهم الدار التونسية للنشر

وهل من الضروب العودية إليها بعد أن تجاوزها الزمن بـ14 قرناً منذ دون القرآن الكريم بحرف غير المسند القديم هو حرف الجزم الذي قدر له أن يتطور عن الخط المسند نفسه.

أليس هذا في الحقيقة قد ساعد على سرعة اعتناق الأمازيغ للإسلام وتبنيهم لغة القرآن الحكيم، ذلك أن الإسلام قد حررهم من الاستعمار البيزنطي وأعطاهم لأول مرة في تاريخهم الطويل حكم أنفسهم بأنفسهم .

فببساطة لو تمت المعرفة بخط المسند ولغة حمير وفروعها الثمودية واللحيانية والصغائية وتم تعلمها من طرف الدارسين الباحثين، لكننا لا ندعوا لنبذ اللغة العربية الحالية ولا خط الجزم بل أن الإمام بلغة حمير أقول يمكن أن تكون الوسيلة الموضوعية لتتم وحدة هذا الشعب فبوحدة اللغة تتوحد الأفكار .

بدليل أن المتحجرات في اللغة العربية لم تحصر نهائياً رغم أن "زين الدين المصرف" قد قال انها تبلغ 12 مليون كلمة ربما يقع منها الكثير في الساحة الأمازيغية .
نأمل من الدراسات المستقبلية إن قدر لها أن تبرز مثل هذه الخصائص المغمورة، فنكرسها حقائق بعيدة عن الشبهات .

فإن الدارسين ممن يتعاطون البحث العلمي مدعوون ليعكفوا على دراسة تلك اللغة وإعطائها الأهمية المستحقة، فمعرفةنا بأسرار "حروف التيفناغ" يعني بالضرورة تطوير وتجديد قاموس اللغة العربية فإن لم يكن للإنسان شريك يجيبه كالصدي، وإن لم يكن له مخاطب لظل صامتا.

2 سبب اللثام :

يرى "رالف لنتون" بأنه حينما يعترف المجتمع بالعشيرة نجد وسائل الإبقاء على صلة القرابة ماثلة أمام الفرد، والتشديد على أهميتها، فالوحدة العشائرية يكون لها عادة اسم خاص وكثير ما تتخذ لنفسها رمزا كحيوان أو شيء معين، وكثير ما يحدث أيضا أن يتخذ أعضاء الوحدة العشائرية شعارات مميزة من لباس أو زخرف، وهناك مظاهر أخرى تعزز وحدة العشيرة كالأجتماعات العشائرية التي تعقد من آن لآخر والمراسيم الاحتفالية الخاصة.

وللطوارق أجسام قوية وهم طوال القامة ويسمونهم العرب ب "الملثمين".

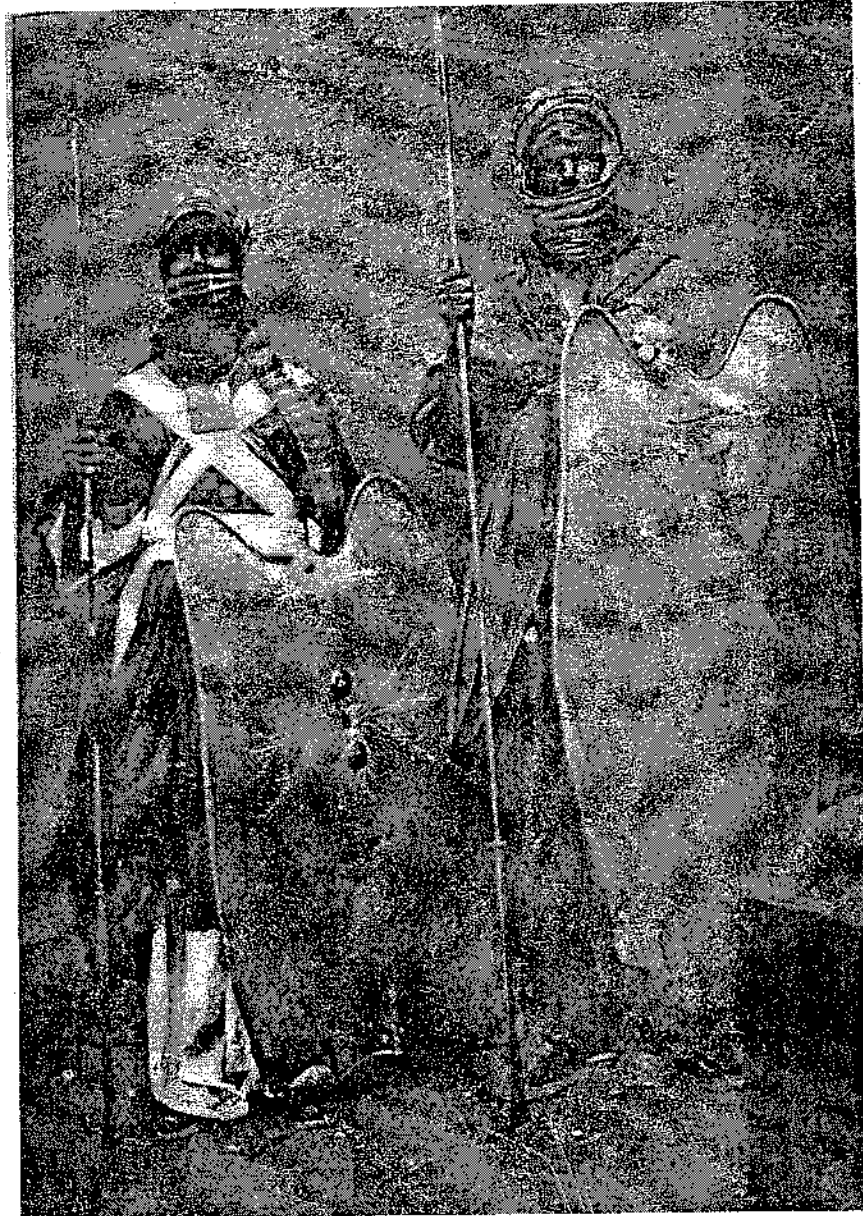
فما سبب ارتداء اللثام؟

عند قبائل الطوارق بمختلف مجموعاتهم التقليدية يمثل ارتداء اللثام المظهر العام بين الذكور البالغين، فالشباب منذ السادسة عشر أو السابعة عشر، يبدأ في ارتداء اللثام وحمل السيف.¹

أي يصبح رجلا كامل العضوية في قبيلته، وغالبا ما يكون ذلك بمناسبة بداية صيام الشاب لشهر رمضان عند طوارق الهوقار، مما يفسر عمق تأثير الثقافة العربية الإسلامية في الثقافة التقليدية للطوارق.

يسمى اللثام بالتمهاقية (التاجلموست) وهو عبارة عن قطعة من القماش الأزرق اللامع (عند النبلاء) المصنوع في السودان (مالي والنيجر) أو الأبيض عند (الأتباع).

¹ د: محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغير (م وك) الجزائر 1986 ص 235.



صورة رقم 10 هذا النوع من الطوراق قد زال اليوم

فهم ملتزمون به ، وإماطته يعد خروجاً على المؤلف إلا إن كان أمام الزوجة أو أقرب الناس إليه.

وإن بدو الصحارى إلى اليوم إن شاءوا مجابهة وضع يقتضي التكر تلتئموا فلا ترى سوى عيونهم ، لعل هذا هو السبب الأساسي إلى جانب ما يوفره اللثام من اقلال تأثير هاجرة الصحراء.¹

وقال البكري : « وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب لا تبدو منه إلا محاجر العينين ولا يفارقونه في حال من الأحوال حتى أن الرجل لا يعرف وليه وحميمه إلا إذا تنقب.»².

وفي مقولة ابن الأثير :

« وقيل كان سبب لهم أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم ، فخالقهم العدو إلى بيوتهم ولم يكن بها إلا المشائخ والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ أنه العدو وأمروا النساء ان يلبس ثياب الرجال ، ويتلثمن ، ويضيقتنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح. ففعلن ذلك ، وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن ، واستدار النساء البيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا فقال: هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهن قتال الموت ، والرأي أن نسوق النعم ونمضي ، فإن اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم »³.



¹ محمد علي مادون: نفس المرجع السابق ص 124

² مبارك بن محمد الميلي: نفس المرجع السابق ص 588.

³ ابن الأثير: الكامل في التاريخ - المجلد التاسع. دار بيروت للطباعة والنشر 1966 ص 723.

فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سننه يلازمونه ليلا ونهارا.

حتى قال ابن حامد الكاتب:

قوم لهم درك العلى في حمير وإن انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا إحرار كل فضيلة غلب عليهم فتالاً ثموا

أما معظم الروايات أن اللثام وسيلة من الوسائل التي يستخدمها الغزاة المهاجمون لإخفاء وجوههم حتى لا يتعرف عليهم أحد، كما أن هناك من يدعي بأن اللثام تدبير صحي لحماية الوجه من وهج أشعة الشمس ومن رمال الصحراء وبعدها أصبح تقليدا اجتماعيا له طقوسه واحتفالاته. وهذا الرأي أقرب إلى الصواب والمنطق.

والملاحظ أن طريقة ارتداء اللثام تشير إلى القبيلة التي ينتمي إليها الشخص ولهذا يرى البعض أن الطارقي لو نزع لثامه فمن الصعب التعرف عليه لأنه يشكل جزء من شخصيته¹.

أما فيما يخص وضع اللثام فلا يجوز إلا حين يبلغ الشاب من العمر الخامسة والعشرين، فلا يلبس العبيد والخدم اللثام أبدا فهو الفارق الوحيد الذي يميز النبلاء عن العبيد². واللثام هو النمط الحضاري الذي يميز الطوارق عن غيرهم.

¹ د. محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغيير (م وك) الجزائر 1986، ص 236.

² عبد الجليل الطاهر: المجتمع الليبي ص 100.

ولكن عندما سئلوا عن سبب عدم ارتداء المرأة للثام؟ أجابوا بأن مكان المرأة المخيم، فهي لا تتفاوض مع الغير ولا ترحل من منطقة إلى أخرى، ولا تعطي عهداً، أو تعقد اتفاقية ولهذا فلا ضرورة لارتدائها للثام.

لما فرضيات بعض الرحالة والأنثروبولوجيين اختلفت حول سبب تمسك الطوارق بالثام، نلخص أهمها فيما يلي:

- أ- سهولة التخفي أثناء الحروب، وعند القيام بعمليات الغزو على القبائل الأخرى وعلى القوافل¹.
- ب- تجنب رمال الصحراء وأشعة الشمس المحرقة².
- ت- جاخفاء الجروح الناتجة عن الحروب التي يخوضها الطارقي حتى لا تحتقره زوجته عند العودة³.
- ث- الخوف من اتصال الأرواح الشريرة بنفس الإنسان عن طريق الفم والأنف⁴.

¹ Henrie Lhote : les Touareg du Hoggar: paris payot 1955 P 328-366

² Blanguernon (Claude) le Hoggar paris Arthaud 1965p 103

³ جينترجون: داخل إفريقيا: ترجمة أحمد محمد رفعت وآخرون. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية 1957 الجزء (2) ص

⁴ جوتييه أندريه، الصحراء، الترجمة أحمد كمال يونس القاهرة اللجنة البيان العربي 1957 ص182.

ونختم موضوع اللثام بهذه الأسطورة الغريبة "لهنري لهوط" H Lhote يقول فيها
أن أجداد الطوارق عندما كانوا في اليمن، يضعون اللثام من أجل أن يتشبهوا بالنساء
لنتاح لهم الفرصة الهروب من بلادهم والفرار من الحروب المستمرة ضد أعدائهم.



الفصل الثاني

الحراسة

السوسيوانثروبولوجية

المبحث الأول

قصة تين هينان بين الحقيقة الواقعة والأسطورة المتخيلية:

لقد اهتم علماء القرن التاسع عشر ومفكروه بدراسة أول وطبيعة الأساطير خصوصا علماء الأنثروبولوجيا منهم إذ اعتقدوا بأن الأساطير هي جزء لا يتجزأ من النظام الاجتماعي الكبير.

ومع ذلك فلا يمكن تصديق ما تدعيه الأساطير من قصص وحكايات ومعتقدات تتناقض مع الجانب العلمي والمنطقي للعقل السليم .

والمجتمع الطارقي أحد هذه المجتمعات التي تؤمن بالقصص الأسطورية وأشهرها قصة " تين هينان" بحيث أن للمرأة الطارقية مكانة معتبرة في لوسط الاجتماعي عادة ينسب الطفل إلى أمه ، لا يكون نبيلًا إلا إذا كانت والدته نبيلة إلى جانب اهتمام المرأة بتعليم الأطفال أول لغة (التمهاق) .

ومن المفيد جدا أن نعود إلى سر هذا النسب إلى الأم بحيث لا بد الرجوع إلى

الأساطير التي تدور على ألسنة الطوارق ،فهي على كل حل تورايخ أبطال¹.

فبالأسطورة في مفهوم بن منظور ليست إلى هذيانا من القول ،وباطلا من الخيال،

وغيابا من دائرة المنطق إذ هي في رأيه :

أباطيل

¹ عبد المالك مرتاض : الميثولوجيا عند العرب " دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة " الدار التونسية

أحاديث لا نظام لها .

أحاديث تشبه الباطل¹

وفي هذا الفصل سنجيب عن السؤال التالي:

هل "تين هينان" هي فعلا السلف الأمومي لمملكة الطوارق؟ أم نوع من لهوس العقلي، يحمل على الولوج بالأكاذيب التي نسجها الرحالة الغربيين وبعض الكتاب الفرنسيين؟ وبالتالي تغليب لأسطورة ولخرافة على الواقع.

بادئ ذي بدء ل بد من ضبط مفهوم الأسطورة :

فالأسطورة اشتقاقا : من سطر، أي ألف الأساطير أو الأحاديث التي لأصل لها، الأحاديث العجيبة، الخارقة للطبيعي والمعتقد عند البشر.

فالأسطورة تعريفا: هي حكية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي

وما يميزها عن الخرافة هو الاعتقاد فيها: فالأسطورة موضوع اعتقاد²

لأنه في كثير من الحالات يتوقف تصرف الفعلين الاجتماعيين على لمعتقدات. والخاصية لعامة للمعتقدات الوضعية هي كون صحتها من حيث المبدأ قبلة للمراقبة من خلل المواجهة مع الواقع.

وثمة تقليد يعود إلى فلسفة لأنوار شاء أن تكون المعتقدات بشكل جوهرية تصورت

للوواقع، مشوهة تحت تأثير المصالح¹.

¹ عبد المالك مرتاض : نفس المرجع ص 14.

² خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي دار الطليعة - بيروت ط (3) 1986 ص 08.

وبالتالي تكون الأسطورة قصة شعبية خرافية تشخص لقوى الطبيعية، وتدخل فيها

كائنات وهمية .

أو هي قصة يقصد به التعبير عن الحقيقة بأسلوب رمزي.²

نفهم من ذلك أن الأسطورة تعبير عن صراعات اللاوعي لبشري على حد تعبير

"كارل غوستاف يونغ" فهي تجسيد رمزي لظهور طبيعية أو انعكاس للبنى الاجتماعية.

إلا أن "كلود ليفي سترأوس" هجم لتفسيرات البسيطة للأساطير التي قم بها علماء

الاجتماع وعلماء نفس، ووجه اهتمامه باستنتاج التركيب المنطقي الذي ينظم الجانب

القصصي للأسطورة كم يفعل للغوي عندما يرتب الكلمات بنموذج نحوي رفيع.

وعلماء الأنثروبولوجي الاجتماعي الإنكليز لا يعتقدون بأن الأساطير هي جزء من

النظام والتراث الاجتماعي .

يقول البروفسور "ليج" بأن الأساطير هي وصف لأنواع معينة من السلوك البشري

الذي يتعلق بالميثافيزيقيا وأنها لا تستطيع وصف ذلك السلوك الاجتماعي المتعلق بالعالم

المادي أو العالم الحقيقي الذي نعيش فيه الآن.³

¹ ر: بورون و ف. بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع ترجمة د سليم حداد - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

(ط) 1986 528.

² عنده الحلو: معجم المصطلحات لفلسفية . المركز التربوي للبحوث وإنماء مكتبة لبنان (ط) 1994 ص 110.

³ دينكن ميتشيل : معجم علم الاجتماع

ترجمة: د إحسان محمد الحسن - دار الطليعة - بيروت - الطبعة الثانية 1986 ص 149.

و تحتل الأسطورة معنى آخر في منظومة كلود ليفي شتاروس الأنثروبولوجية، إنها تحتل مكانا متميزا داخل اللغة أي أنها جزء لا ينفصل من اللغة ، وتجاهل هذه النقطة لهامة تترتب عنه نتائج خطيرة أهمها إهمال ما يسمى بالمجتمعات البدائية.¹

والطوراق حافظوا على هذه القداسة البدائية ذلك أن معرفتنا على وجه أكمل لهذه المجتمعات يعتمد بالدرجة الأولى على دراسة أساطيرها ومعرفتنا لها بالضرورة فهم طريقة الحياة والعيش.

إذ يرى "روجي غارودي": «أن الأسطورة حلم جماعي للمجتمعات البدائية له لغته الرمزية التي بواسطتها نستطيع أن نستجلي بعض معاني الأسطورة المتخفية.»²

فما هو سر هذا الاعتقاد بأسطورة تين هينان؟

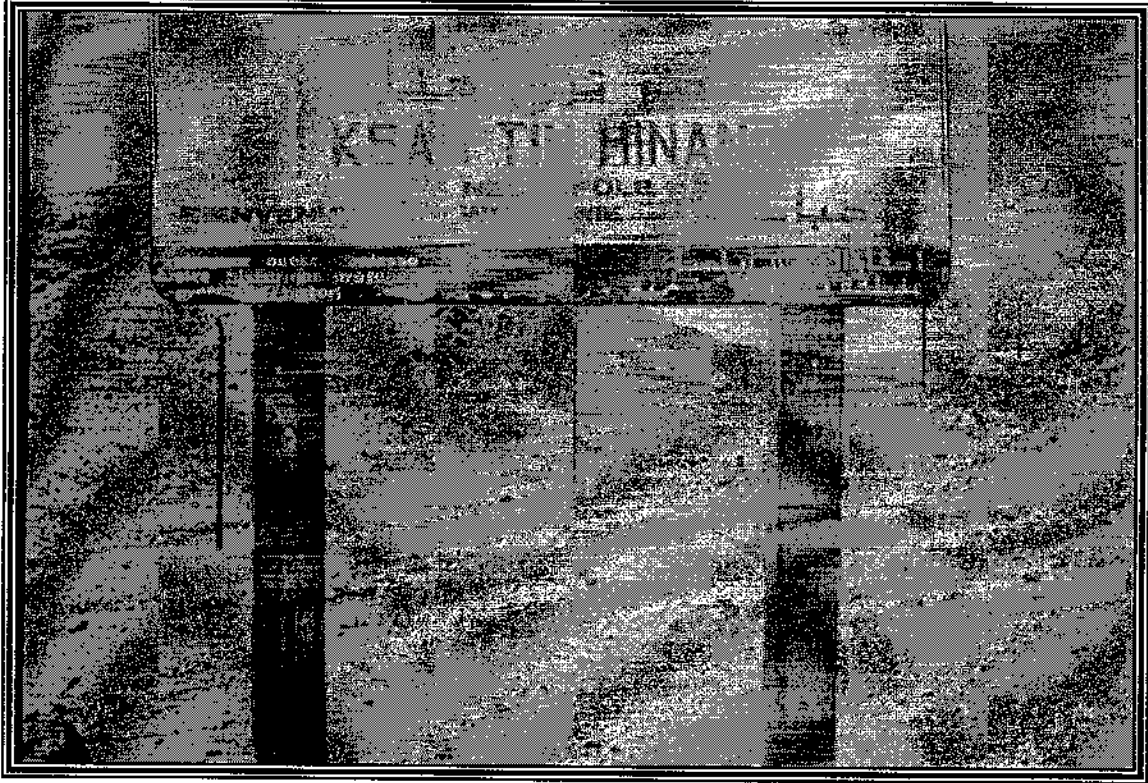
لا غرابة أن يتكفل الفكر الغربي بواسطة بعض المهتمين بالآثار من أمثال "غوثيه" و"جلود" و"باله" الذين توجهوا إلى الجزائر ابتداء من سنة 1861 بالبحث والتنقيب بمهمة التعليل والتدليس للنيل من حضارة الآخر ولو على حساب الحقيقة والواقع .

فها هو "ريغاس" يحمل نفسه عناء القول بأن قلعة أبالسة بالهقار لم تكن إلا من إبداع الرومان.

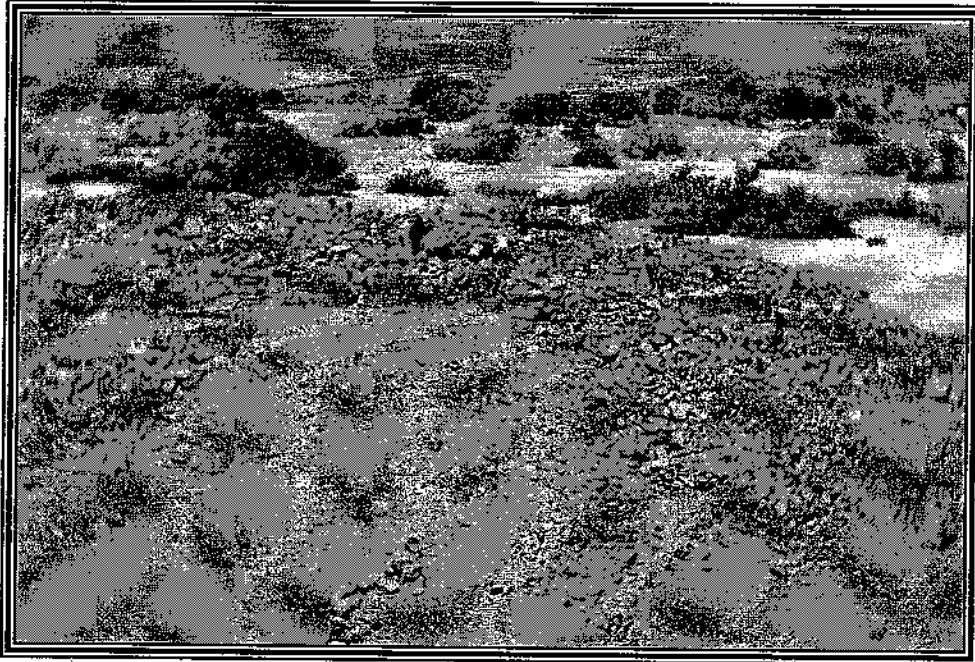
فما هي القلعة التي يتحدث عنها ريغاس؟

¹عمر مهيل : النبوية في الفكر الفلسفي المعاصر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط (2) 1993 ص 31.

² روجي غار ودي : النبوية فلسفة موت الإنسان . ترجمة جورج طرابيشي . دار الطليعة بيروت ط (2) 1981 ص



صورة رقم 11 قصر تين هينان بمنطقة أبالسا



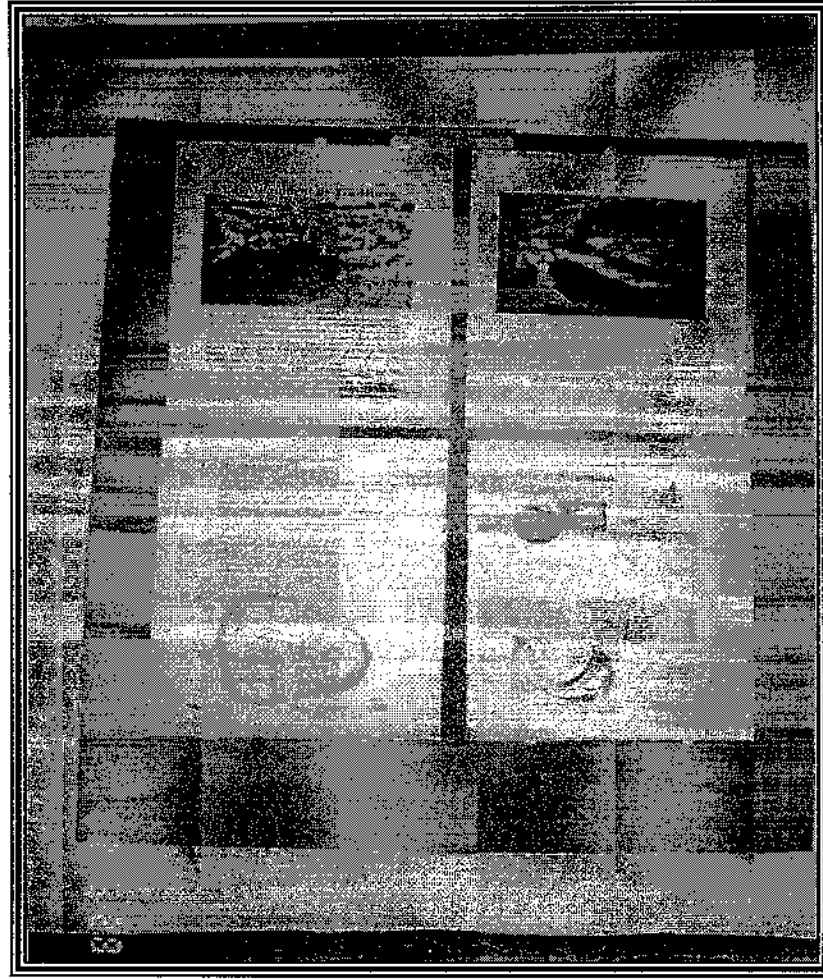
صورة رقم 12 القصر من فوق الهضبة بأبالسا بتمراست معلم تين هينان

فوق تل ودي أباليسة ،وعلى بعد 80 كلم من تمرناست في الزاوية لجنوبية الغربية
لكودية الهوقار،وعلى ارتفاع 914 م توجد بناية من الحجر لجاف: هي ضريح ملكي
يطلق عليه سكن منطقة الطوراق اسم "قبر تين هينان"

1 نظرة من الناحية الأثرية:إنها ضريح أثري رائع اكتشف سنة 1926 من طرف
بعثة أمريكية فرنسية كانت تقوم بأعمال البحث والتنقيب فعثرت على معلم حضاري
عملاق ذي إحدى عشر غرفة كما هو واضح في الصورة.



صورة رقم 13. مخطط الغرف الداخلية لقبر تين هينان لحيوان
المضيرة الوطنية للأهقار تمرناست



صورة رقم 14 - المعلم العام لتين هينان لصيوان المضيرة الوطنية للأهفار تماراست

و الطورق يعرفونه منذ لقدم بوجود هذا المعلم قبل الاكتشافات الأجنبية.

فالبعثة الأولى قادها "بيرون كوهن" Byron Kuhn تم لتقيب على الهيكل .

أما البعثة الثانية تمت سنة 1933 من طرف موريس ريغاس M Reygasse

وفيه تم العثور على الأثاث الجنائزي.¹

¹ Houria Mohras : Bijoux et mobilier funéraires de "tin- hinane"

abalessa- catalogue du musée nationale du bardo d'Alger – P 11

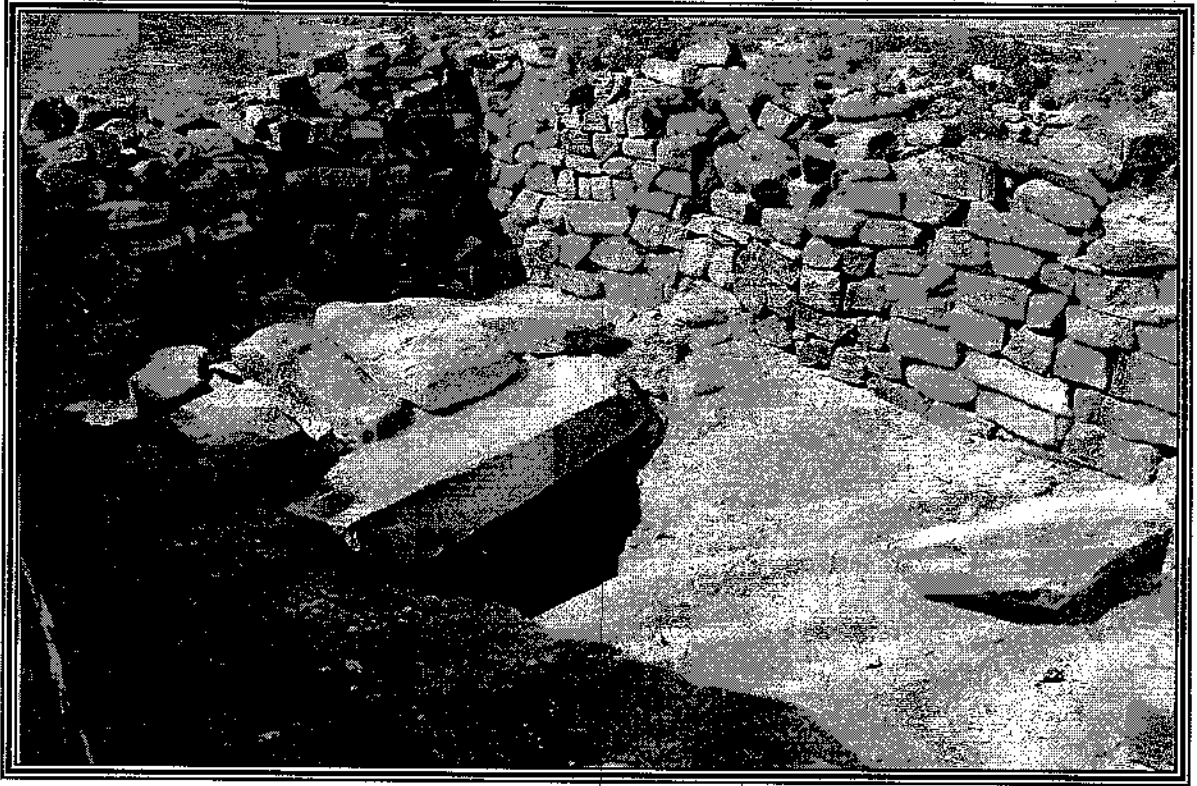
ظروف الإكتشافات معروفة إذ نشرت مقالات عديدة في الصحف آنذاك، وقبل الحفر كان لضريح عبارة عن كتلة ضخمة من لحجارة تعرف "بالرجم" لما كشف عليها ظهرت مقاسات الضريح متواضعة : 26,25 م للمحور الكبير و 23,75 للمحور الصغير مع ارتفاع 4 متر¹ مدخل البناية يفتح إلى الرشق صممت حول غرفتين تقوم بدور المدخل، متلتين ببعضهما، وتفتح عليها من الجهتين مجموعة من الغرف، معدل مساحتها يتراوح بين 3م² و 4م²، وفي الزاوية الجنوبية لغربية للضريح حول الغرفة 1 كن يوجد في الأصل ممر. يبدأ من الغرفة 2، يحيط بالغرفة الجنائزية التي عثر فيها على هيكل المنسب لتين هينان.

كان الهيكل موضوعا داخل حفرة في أرضية لغرفة 1 (أنظر الصورة).



صورة رقم 15- القصر من زاوية قريبة من الخارج

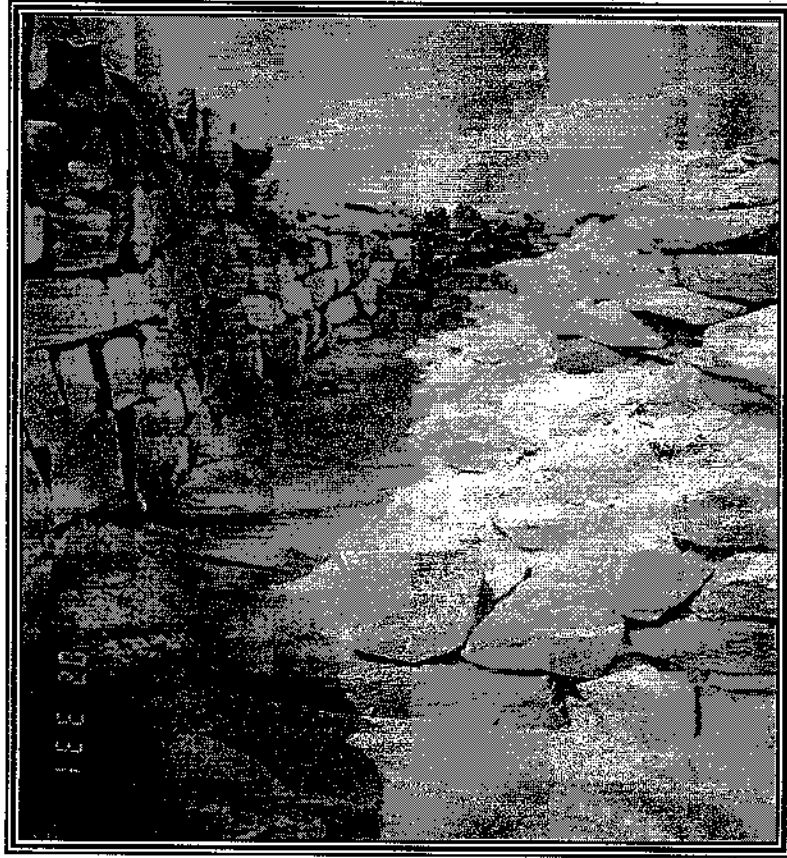
F Z Mataoui : le tresor de tin- hinane" abalessa : ministère de la culture ¹
et du tourisme collections du musée de bardo Alger



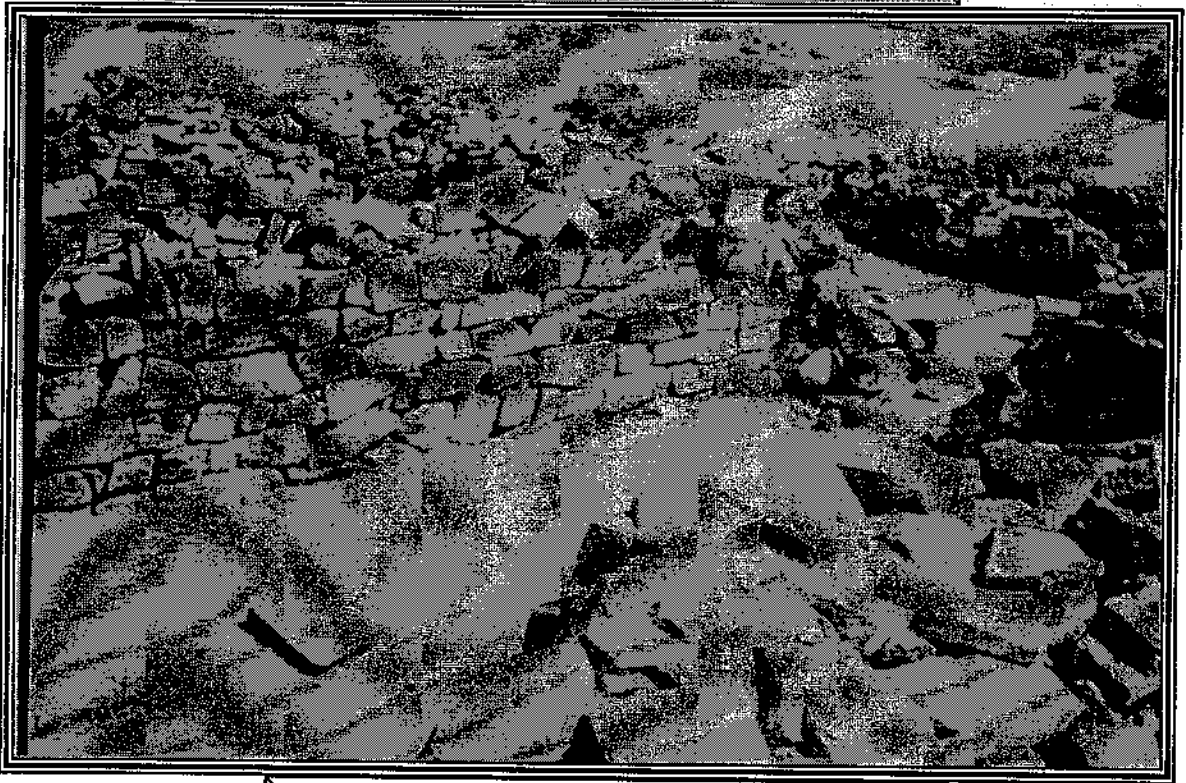
صورة رقم 16 القصر من الداخل ، الغرفة الكبيرة، قبر تين هينان



صورة رقم 17 الرواق الأول المؤدي إلى الغرف الأخرى المجاورة لغرفة تين هينان



صورة رقم 18 - الرواق الثاني المجاور لغرفة ملكة الطوارق



صورة رقم 19 - الرواق الثالث المجاور لغرفة الملكة



صورة رقم 20 الرواق الرابع المجاور للخرفة الرئيسية

مقاسات هذه الحفرة 2,30 م طولاً و 1,40 م عرضاً، و 1,50 م عمقاً.

والدخول إلى الغرفة الجنائزية عبر فتحته والخروج منها دون الرجوع إلى الأعقاب.

وبعد زيارتنا لهذا المكان الأثري لاحظنا أن حول هذه الغرفة الجنائزية عبر فتحة

والخروج منها دون الرجوع إلى الأعقاب.

وبعد زيارتنا لهذا المكان الأثري لاحظنا أن حول هذه الغرفة الجنائزية رواق على

شكل ممر يسمح بالدوران حولها دون المرور بها، وهذا النظام يسمح بتأدية الشعائر

الجنائزية التي تتم بالطواف حول الغرفة الجنائزية.



• صورة رقم 20 الرواق الرابع المجاور للغرفة الرئيسية

مقاسات هذه الحفرة 2,30 م طولاً و 1,40 م عرضاً، و 1,50 م عمقاً.

والدخول إلى الغرفة الجنائزية عبر فتحته والخروج منها دون الرجوع إلى الأعقاب

وبعد زيارتنا لهذا المكان الأثري لاحظنا أن حول هذه الغرفة الجنائزية عبر فتحة

والخروج منها دون الرجوع إلى الأعقاب.

وبعد زيارتنا لهذا المكان الأثري لاحظنا أن حول هذه الغرفة الجنائزية رواق على

شكل ممر يسمح بالدوران حولها دون المرور بها، وهذا النظام يسمح بتأدية الشعائر

الجنائزية التي تتم بالطواف حول الغرفة الجنائزية.

وعادة الطواف عند زيارة الأولياء لا تزال قائمة إلى الآن في بلاد المغرب العربي وهذا ما تم استنتاجه .

وتحت البلاطات الكبيرة في الغرفة 1 كان الهيكل نائما على الظهر ،متجها نحو الشرق ،الساقين والذراعين مطوية .

موضوعا على بقايا من الجلد الأحمر ويرفقه مجموعة من الحلي:أسورة ذهبية وفضية ،حبات من العقيق والزجاج ،تمثال صغير ،نواة التمر ،الحبوب وبعض الأواني الفخارية (انظر الصورة) وقطع أخرى¹.

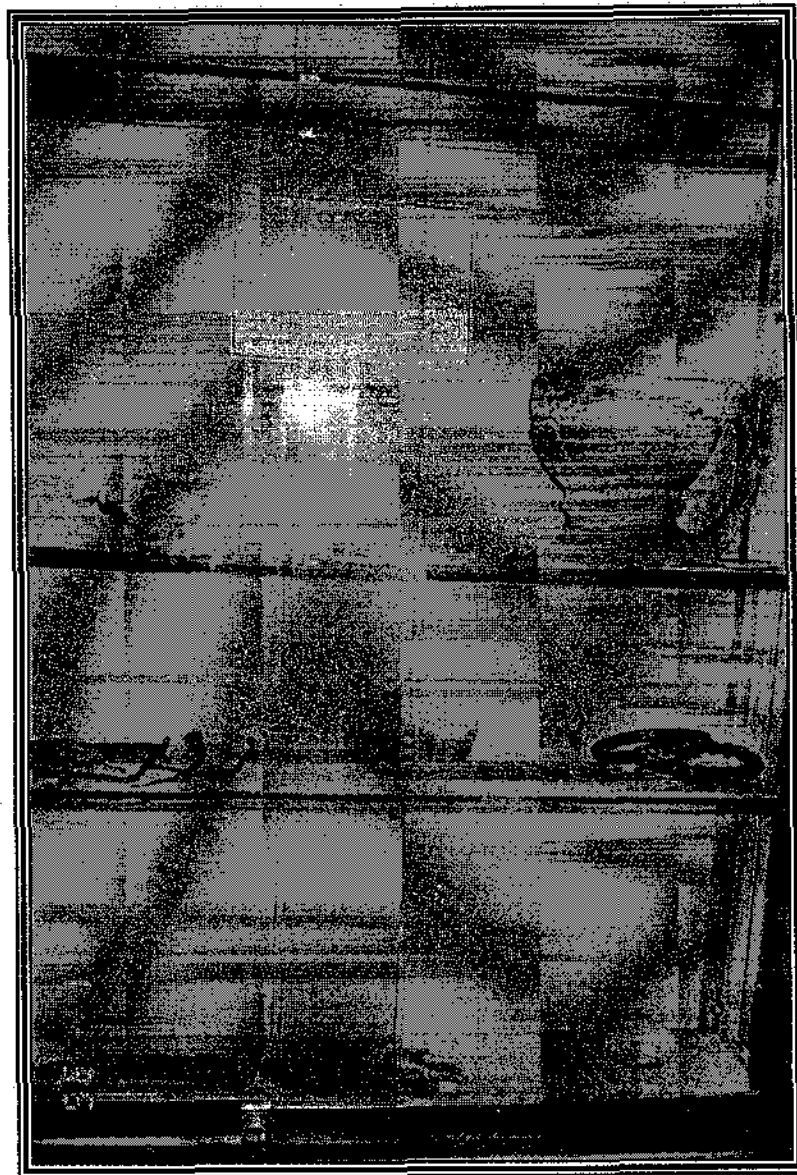
وفورا بعد لإكتشاف في 1926، نقل الأثاث الجنائزي والهيكل ليعرض هناك ،وفي سنة 1934 إلى باريس في إطار معرض حول الصحراء في متحف الإنسان .
معظم القطع المكتشفة والهيكل توجد في متحف باردو بالجزائر العاصمة.(انظر

للصورة) .



صورة رقم 21 مجسم القبر من الخارج لتين هينان بمتحف باردو

¹ نفس المرجع السابق : F Z MATAOUI



صورة رقم 22 الأواني والعلبي التي عثر عليها في قبر تين هيئان موجودة حاليا
بمتحف باردو بالعاصمة

وفي عام 1950 نشر موريس ريغاس M Reygasse نتائج البحث والتنقيب

لمعلم والشخصية المدعاة "تين هيئان" في أبالسة بالهقار.



وجاء بشهادة مهمة بحيث قال :

« كنت في كل مرة عند القيام بعمليات الحفر وأداء مهامى تشرفنى زيارة امينوكال الهقار بمرفقة كبر نبلء المنطقة لذىن قدموا لى يد المساعدة من مواد ضرورية وأىدى عاملة»¹

والصورة المرافقة هى حجة دامغة على هذه العلاقة الحميمة والتعاون المتبادل فحكاه المنطقة الذىن يحضرون فى اغلب الأحيان عمليات الحفر والبعث.

2 التاريخ والتفسىر:

إن بعض الأقالام الغربىة الحاقدة ،لئى تملكها الدهشة أمام هذا الإنجاز الأثرى ،تحاول سلخ هذا التراث بنفى نسبته إلى مبدعىه الحقىقىين كأن الحضارة والعمران من إىداع فقط الرومان ،وكأن "رىغاس" لم ىسمع عن أهرامات الفراعنة الذىن حفظوا فىها موتاهم بكنوزهم ،ولا عن حضارة حمورابى العنقىة.

تقول الأسطورة الأولى:

لقد اعتمد "رىغاس" على روىة واهىة رواها له (أحد العقال) من قبىلة كل غالا إذ تتبر قبر تىن هىنان قلعة حصىنة قدىمة تم بناءها من طرف بىزنطىى باسم "جلوته" JALOUTA الذى أرجع بناء هذا الصرح .

1 Les premier berbères entre méditerranée tassili et nil : malika hachid

وقد كانت قلعة مهجورة يلجأ إليها الرومان الذين تتعجبهم الأسفار ،ويعجز المسلمون

طردوا "جلوتة" من قلعتها ففر هاربا إلى أدرار أفوغاس¹

إلا أن المعطيات الأركيولوجية تؤكد وجود تين هينان في الفترة الإسلامية.²

وعلى العموم يمكن أن نستنتج أن هذه الرواية ما هي إلا نظرية خيالية لم تلق أي

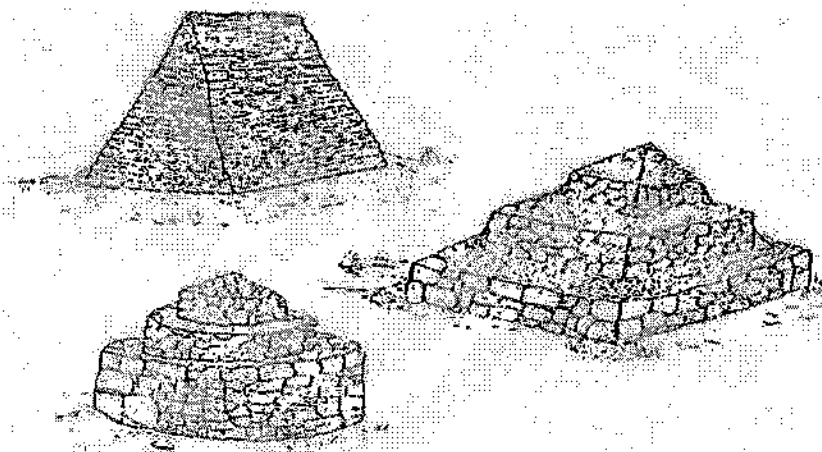
تأييد علمي .

صحيح أن وجود بناية بهذا الشكل في المنطقة معروفة بقلعة البنايات الحجرية

تبعث على الشك. لكن المقارنة بين هذا الضريح وأضرحة أخرى من نفس النوع في

شمال بلاد المغرب سمحت لن القول أن هذه لبناية هي ضريح جنائزي شيد لهذا لغرض

منذ البداية .(انظر الصورة)



تمثلت في ثلاث من ضريح الأطلس - محمد شفيق

مقابر أمازيغية عثر عليها في أرض «ناركان» ، أي بالقران . ويرجع عهدهما إلى فجر التاريخ

¹ عبد السلام بوشا رب : «الهقار أمجاد وأنجاد» 1985 نشر المتحف الوطني للمجاهد ص 22

² Houria Mohras : Bijoux et mobilier funéraires de "tin- hinane"

abalessa- catalogue du musée nationale du bardo d'Alger – P 12

ويقرب إلى المدارس في منطقة باتنة وقبر الرومية في تيبازا، والجدار في فرندة (تيارت) ونجد هذا النوع كذلك في الغرب بالمغرب الأقصى مثل ضريح سيدي سليمان وفي التافيلالات التي جاءت منه تين هينان حسب الأسطورة اللاحقة.

وكما في أضرحة فجر التاريخ المدخل الوحيد للبناء مفتوح إلى الشرق ويطل مباشرة على قاعة كبيرة تؤدي دور المدخل.

وما يجب معرفته أنه في نهاية الحفر لقد تم جرد 11 غرفة بحيث يعود كل الأثاث

الجنائزي إلى القرن الثاني والرابع ميلادي، ومعظمه روماني.¹

لذا لاحظنا تداول على السنة الطوارق اسم "قبر الرومية".

وأن اللوازم والمواد الأتية من قبر "تين هينان" تم تحليل بعض لقطع لخشبية بمادة

(لكربون 14) قدرت ب 400 - 450 من التاريخ الميلادي.²

هذا من جهة ومن جهة أخرى:

1. إن لدارسات التاريخية تجمع على أن كل العناصر التي عثر

عليها بلمبنى إلى تاريخ سابق للرومان .

2. حكاية "جلوتة" غير معروفة فليست شائعة في الأدب لشفوي

التارقي.

¹ Henri Lhote: le Hoggar – espace et temps – Armand colin paris 1984 p

² Henri Lhote: le Hoggar – espace et temps – Armand colin paris 1984 110

3. رواية "قاميس" الذي درس الناحية العمرانية بشمل إفريقيا
 وقارنها بمبنى أبالسة، واعترف بأن الطابع العمراني للصرح له دلالاته التي
 تدخل ضمن عادات المباني المأتمية البربرية وأن هناك تطابقا بينه وبين
 النمط العمراني بشمال إفريقيا.

4. وجود حروف تيفيناغية مطبوعة على حجارة الصرح .

5. إن تين هينان اسم بربري (سيتم شرحه لاحقا).

6. لرواية المعروفة ذات الصيت تتحدث بالتفصيل عن مجيء

ملكة أسطورية "تين هينان" من التافيلالت بالمغرب.

العادات الجنائزية:

في المقبرة كما في لضريح أنواع الدفن متشبهة كل الهياكل المكتشفة كانت نائمة
 بصفة عامة على لجانب، الساقين مثنية قليلا التويت غصب، الرأس والرجلين موجهين
 بطرق متغيرة، الوجه في أغلب الأحيان موجه نحو الشرق، الذراعين ممدودة و
 موضوعة تحت الساقين الدفن على عمق 50 سم أو 1 م في حفرات مغطاة ببلاطات أو
 داخل تجويف مكون من بلاطات الهيكل المسند "لتين هينان" وجد على طريقة الانشاء
 موضوعا على الظهر مغطى بقطعة جلد ومصحوب بمجموعة من القطع الثمينة.¹

¹ نفس المرجع F Z Mataoui : le tresor de tin- hinane

تعليق واستنتاج :

بعد سرد هذه الأدلة يبقى أن الصرح ليس رومانيا وأنه بربري بلا شك ،ولاسيما أن الدراسات الأنثروبولوجية قد دعمت ذلك.

ونقول أن عادات الدفن في الضريح والمقبرة لا تشبه العادات الجنائزية الإسلامية بل تبدو سابقة للإسلام ،وعليه فالقبور المحيطة بقبر تين هينان لا علاقة لها بالمقابر الإسلامية.

إلى جانب ذلك لا حظ العلماء أن التاريخ بواسطة الكربون 14 على قطع من الخشب التي وضع عليها الهيكل أرجع لسنة 470 م.

وأن الأثاث الجنائزي يرجع إلى قبل ظهور الإسلام وهل يمكن القول أن حتى "تين هينان" لم تكن مسلمة؟ وهل هي فعلا "ملكة الهوقار"؟

وعلى العموم نلاحظ تناقض بين من يقول بأن المعطيات الأركيولوجية تؤكد وجود "تين هينان" في فترة الإسلامية وبين من يقول أن القبر لا علاقة له بالمقابر الإسلامية. فأين الحقيقة الواقعة والأسطورة المتخيلة؟

قراءة أركيولوجية:

إن الطريقة المدفونة منذ آلاف السنين تعود إلى الظهور في نور النهار ،وعالم الآثار هو الأول الذي يكتشف الشكل الرائع ويعجب به ،بعد كثير من الأجيال وهذه هي المكافأة الباهرة النادرة للمنقب.

وقد قال عالم أثري "أو. مونتليوس":

« إن الامتناع كلياً عن القيام بحفريات أفضل من الشروع بها في شروط تضيع

المعطيات العملية ضياعاً لا يعوض»¹

فمأساة العمل لذي يتمه المنقب: فالحفر هو إتلاف مجموعة من المعطيات الأثرية

إذ يقال إن الحفر هو قراءة كتاب يضمحل ول بأول إنه محاولة تجربة فيزيائية أو

كيميائية يستحيل إعادتها.

فأية مسؤولية لعالم لأثر لجدير بهذا الاسم؟ وهل سيكون في حالة تمكنه من حل

طلمس اللغز؟ هل سيستخرج أفضل فائدة من جميع المعطيات التي هي أول وآخر ملاحظ

لها؟ وهل حفظ الآثار والأشياء ليس أقل أهمية من اكتشافها؟

بعد الزيارة التي قمنا بها "لمتحف باردو" بالعاصمة خاصة بعد رؤية الحالة التي

يحفظ فيها هيكل "تين هينان" اتضح أن المسؤولين متخوفون عن ضياع الهيكل سنة بعد

سنة لأن شروط الحفظ غير متوفرة. (انظر الصورة). فلا يحفظ بشكل جيد إلا ما نقب

عنه بشكل جيد.

¹ جورج صو GEORGES DAUX: تاريخ علم الآثار ترجمة هيج شعبان - منشورات عويدات - بيروت -



صورة رقم 23. الهيكل العظمي لتين هينان بهتمف بارمو



*صورة رقم 24 * هيكل تين هينان بأسوراها وحليها

فالتقرير المعروف على " مؤتمر القاهرة" حول حفظ المجموعات الأثرية والأشياء المكتشفة* يبحث في أسباب التفتت الكيماوية ، وفي معالجة الأشياء المتروكة مكانها، وفي لمعالجة لأولوية أو " النجدة الأولى" للأشياء التي يجب نقلها عن طريق الترميم.¹

فها هو هيكل تين هينان يتفتت سنة بعد سنة وهو يطلب النجدة بحسن ترميمه وما

الترميم على حد تعبير ليتريه Littré :

«التصليح هو الإرجاع إلى الأصل»

تقول الأسطورة الثانية :

«تنص الأسطورة الثانية أن من بين أجدد الطوارق (امرأة) المسماة "لمتونة"

lemtouna وأختها لتي كانت جدة لمعظم القبائل البربرية في المغرب».²

وهي كذلك أصل البربر الذين يعيشون بالقرب من "غدامس" في طرابلس وينحدر

معظم البربر من أختها.³

لو نعود إلى دراسة التاريخية التي قمن به في الفصل الأول وصلنا إلى استنتاج أن

أصل لطوارق من قبيلة لمتونة الصنهاجية.

* قد اجتمع مؤتمر دولي يتعلق بالحفريات في القاهرة سنة 1937 ونشر من لتقرير التي قدمت إليه كتاب بعنوان "تقنية

الحفريات" واهتم مؤتمر لقاهرة بالتنظيم المادي للحفريات.

¹ جورج ضو : نفس المرجع السابق ص 86.

² Henri Lhote: les toureg du Hoggar: Armand colin paris 1984 ص62

³ عبد الجليل الطاهر : نفس المرجع السابق ص 94.

تقول الأسطورة الثالثة:

يزعمون أنهم ينحدرون من أصل امرأة اشتراها عربي من الغزاة العرب الذين جاءوا إلى البلاد في منتصف القرن السابع الميلادي.¹

ولكن هذه ماهي إلا فرضية صعبة الإثبات عليها، بدليل لا وجود له في الأدب الشعبي لدى الطوارق.

إن فما هي الأسطورة المتداولة على ألسنة الطوارق؟:

يجب أن نلفت أنظار الجميع أنه كان من المستحيل للطارقي معرفة حقيقية التاريخية نظرا لعدم وجود وثائق مكتوبة ومحفوظة .

تاريخه الذي يعود إلى لعصر الحجري لا يعينه شيء ولا يزوده بمعلومات يريدتها.

في حين إن التاريخ الحديث للطوارق هو ما يتردد على ألسنة ما تروييه الجدات للأبناء الصغار.

تقول الأسطورة الرابعة:

إن اثنين من النساء من البربر هاجرتا إلى واحة "سليت" من "تافيلالت" في المغرب واستقرتا في الهقار.

¹ إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها ص 186

* ما يسمى اليوم بموريتانيا.

للعلم أن في هذه لصحراء لتي جاءت منها صاحبة الأسطورة كانت تعيش قبائل
صنهاجية اللثامية البربرية ومن أشهرها : قبيلة لمتونة في شمل لصحراء وتليه جنوبا
مسوفة ثم جدالة ولتي تكونت منها الدولة الزيرية الصنهاجية في المغربين الأدنى
والأوسط.¹

وفي هذه الصحراء الشاسعة كان للطوراق شخصية تاريخية "تين هينان" إذ تعتبر
السلف الأمومي لكل القبائل النبيلة والملكة الأولى لمملكة الطوراق. وأكثرها شهرة تروي
أن "تين هينان" كانت مسلمة تركت التافلات ،وهي منطقة في جنوب الأطلس المغربي
، أين ولدت ،متجهة نحو الهوقار .

ونص أسطورتها نسخة "ليون لهيرو" (Léon lahuraux) بالطريقة التالية:

«عندما جاءت تين هينان من التافلات إلى الهوقار مصحوبة بخادمتها ممتطئة ناقة
بيضاء أخذت من بلاد البرابر بكمية من الثمار والذرة البيضاء.

إلا أن الطريق إلى الهوقار طويل بحيث مرت الأيام ولم تظهر نقطة الوصول. بدأ
الطعام ينقص وأشد لجوع حتى أصبحت حياة لقاافلة مهددة ،ومن حسن حضهم شاهدوا
كميت صغيرة من الحبوب التي اختزنها النمل بكل عناء وشقاء.أسرعت "تاكامات"
بمساعدة العبيد وجمعوا هذه الحبوب وقدمت ما التقطته إلى سيدتها لتي لم تنزل من على
ظهر نقتها كما يليق بمكانتها.

¹ مصطفى أبو ضيف احمد عمر: القبائل العربية في المغرب (في عصر الموحدين وبني مرين) ديوان المطبوعات الجامعية

وما التقطوه سمح للمجموعة متابعة الطريق ولول إلى الهوقار بأمان.¹

ويقال أنه يحتفل بهذا الحدث إذ ن خلف تكامت الإمراد، داق غالي، وكل حنت يدفعون كل سنة التويزة (الضرائب) إلى خلف تين هينان لنبلاء وعند وصولهم إلى الهوقار تزوجت تين هينان وتاكامات واستقرتا في اباليسة.

وتم اكتشاف مخطوط في عين صالح يسرد مرور امرأة من النبلاء بالمنطقة في 1020 للهجرة في القرن السابع عشر) بعد الميلاد.

هذه المرأة هي الجدة التاريخية لمملكة الهوقار.²

وهكذا ينتسب الطوارق إلى هذه الجدة "تي-ن-هنان"

فما أصل هذه الكلمة ؟

امرأة الظل : تين هينان"

1 من الناحية اللغوية :

اسم "تين هينان" هو كنية في لغة التماق ، يطلق على لخيمة أي "إيهان" وفي الجمع

" إيناهن "

يقال للرجل " إنهينان "

وللمرأة " تين هينان "

• تين هينان (هـ): صاحبة الرحلات

¹ نفس المرجع F Z Mataoui : le tresor de tin- hinane

² M GOST: T2MOIGNAGES NOUVEAUX SR TIN- HINANE REV DE

• تين هنان (هـ) : صاحبة الخيام (مولات الخيام)

وعليه فهي تعني :

1. صاحبة الخيام : (celles des tentes)
2. صاحبة الغرف : (celles des chambres)
3. صاحبة الرحلات : (la voyageuse)

هذا الأخير هو تفسير معاصر بحكم أن تين هينان كثيرة الترحال والتنقل.¹

2 من الناحية العلمية :

أشار ابن خلدون في كتابه "تاريخ البربر" إلى مملكة "تيكسي العرجاء" سلف طوارق الهواراء.

وحسب المقاسات التي قامت بها م.س شاملا CM CHAMLA على هيكل تين هينان لاحظ المميزات التالية:

"أكتافها عريضة رجلاها صغيرة وقامتها (1,72 م - 1,75م) تشكو من التهاب في المفاصل في

الناحية اليمنى يجبرها على العرج. ولديها تشويه في العمود الفقري"²

¹ نفس المرجع السابق ص 10 Houria Mohras : Bijoux et mobilier funéraires de

"tin- hinane"

² نفس المرجع السابق : F Z Mataoui

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هيكل تين هينان طرح عدة إشكالات فلـدكتور

"لوبلان" DR LE BLANC درس وحاول من خلال مقارنة أقامها بين دماغ تين هينان

واثنين من الطوارق المعاصرين فوجد أن مقاسات جمجمة الملكة تقدر ب (78,4) بينما

مقاسات جماجم الذكور المعارين تقدر ب (73,1 و 75,7).

ومن ناحية الطول تقدر ب (74,4) بالمقارنة مع الذكور (69 و 71,5) ¹.



صورة رقم 25- تمثل جمجمة تين هينان - اعيدوا تين هينان على تمراسات إن هيكل الملكة الوحيدة للطوارق يمثل مكان الصخرة في متحف باردو بالجزائر العاصمة

وبالتالي فإن مقاسات جمجمة تين هينان أكبر بكثير من جماجم الذكور المعاصرين.

وهل هذا خلق طبيعي للمرأة ؟

¹ Henri Lhote: les toureg du Hoggar ص 242.

إن كان هناك إشكال لم تفصل بشأنه الدراسات الأنثروبولوجية ويكمن في الهيكل العظمي فبينما الأثاث نسوي، فإن الهيكل قد لا يكون لامرأة بل لرجل نظرا لحجم الحوض.

فلن يكون سوى ل"تسيكي الأعرج" الذي يعتبره ابن خلدون جد الطوارق لا سيما وأن ذلك الهيكل عثر عليه مصابا بالعمود الفقري.¹

في حين نلاحظ بعد قرائتنا المتواضعة للكتابات الفرنسية تأنيث ما ذكره ابن خلدون "تسيكي الأعرج" أصبح عند "غويه" "تسيكي العرجاء" وكل المثلثين هم أبنائها امرأة حسب ابن خلدون انحدرت من مادقيس "MADGHIS" مرت بكل أنواع التحولات الأموسية.²

والعجيب في ذلك أن المؤلف غوتيه استند هو أيضا إلى تفسير ابن خلدون ولكن بعد التحريف الذي أقامه هو.

ولقد أشرنا في بداية بحثنا (المدخل) إلى أخذ الحذر فيما يخص الكتابات الغربية بصفة عامة.

إلا أن ما ذكره المؤلف "بويو حاما" boubou Hama " احد الكتاب الأفارقة يرى عكس ما يراه لمؤلف "غوتيه" إذ يقول: "إن الهيكل العظمي الذي تم إيجاده في تافاغيت tafarit من جنس ذكر".

¹ عبد السلام بوشارب: نفس المرجع السابق ص 24.

² EF GAUTIER : LE PASSE DE L' Afrique du nord ص 225

رغم ن الأسطورة تعيد آل التاريخ إلى امرأتين والنظام الإجتماعي للطوارق يستند

على النظام الأموسي¹.

ثم يرى أن لملكة عندما أحست بنهاية يمه حضرت قبرها بحيث وضعت كمية من لتمر والملبس من لجلود لأن المشعوذة قالت لها نه سترد إلى الحياة عندما تقضي ألف سنة في القبر.²

والغريب في ذلك أننا في كل مرة نلاحظ تنقض في كتابتهم فمن جهة يقول أنه من جنس ذكر ومن جهة أخرى أنها ملكة ستعود إلى الحياة من جديد.

فأين الحقيقة الواقعة والأسطورة المتخيلية ؟

تسائل يطرح نفسه كل مرة؟

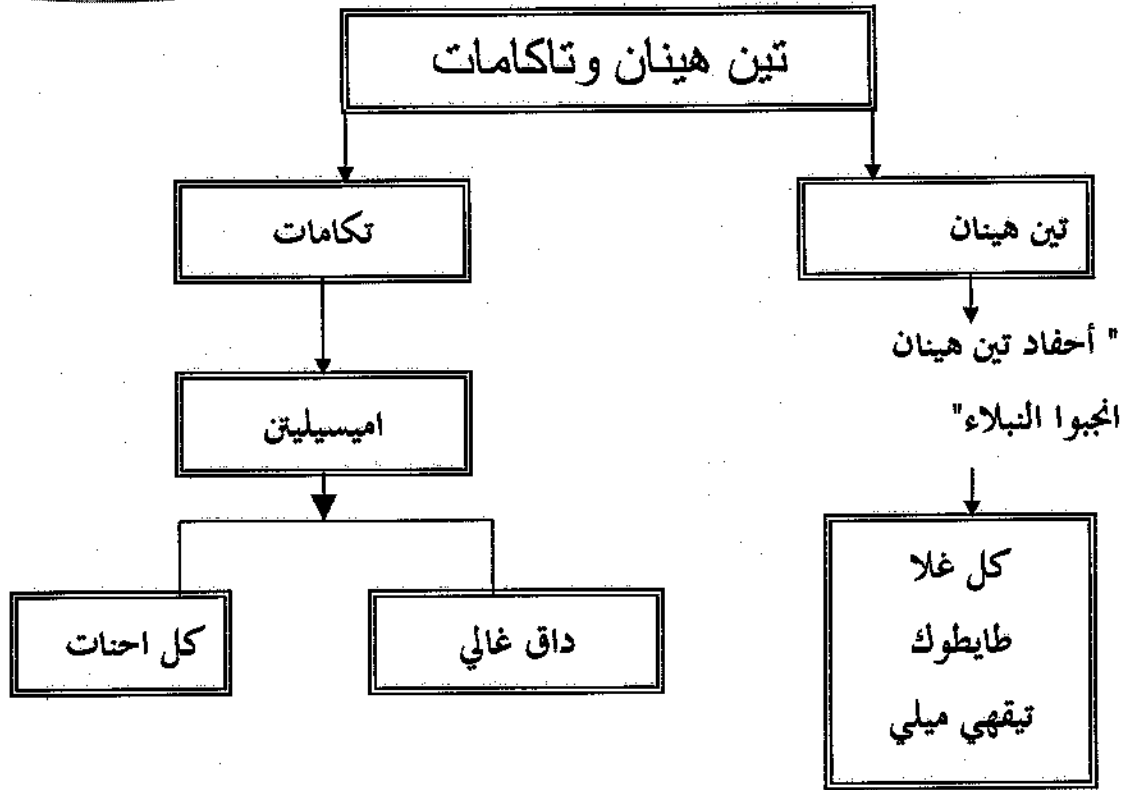
ما يلاحظ من خلل كل ما ورد من قبل أن هناك تجاهل للأجداد والذكور، وتقاليد الطوارق التي تضمن استمرارية حقوق النبل من طرف النساء "فيجب أن نعلم أن في هذه لرواية تجاهل الجد الذكر"³

تساؤل يعجز العلم الإجابة عنه ولكن تبقى الأسطورة تقول ان تين هينان أنجبت بنتا وانحدر منها "لكلغلا" النبلاء أما خادمتها "تاكامات" فأنجبت بنتين منها "الداق غالي" و"أيت لوين".

¹ boubou Hama : recherche sur l'histoire des touareg p 134

² boubou Hama نفس المرجع السابق ص 121.

³ مجلة 1988 Paul balta : algerie edition nathan paris France ص 9



وهكذا نجبت تين هيئان ثلاث بنت التي تمثلت المجموعات الأساسية لنبله

الأهقار.¹

تيقهي ميلي (tégehe – mellet)

طايطوك (taytoq)

كل غلا (kel-rela)

لكن يبقى التساؤل مطروح؟

لماذا غادرت هذه المواقع؟

1. الفرضية الأولى :

بعض أعضاء القبيلة المغربية (بربر تافيلالات) مع تين هيئان غادروا لمنطقة

لأسباب أو قناعات سياسية.

2. الفرضية الثانية:

صراع داخلي في الأسرة، و القبيلة دفع بتين هينان إلى مغادرة موطنها الأصلي.

فما هي الوسيلة لمستعملة أثناء السفر؟

الوسيلة المذكورة في الروايات هي الناقة أو الجمل وما يلفت لأنظار أن الجمل

ظهر في إفريقيا في القرن الثاني، والذي جاء من ليبيا.¹

وللعلم أن لجمل ظهر لأول مرة عام 1100 ق.م حيث وجد البدو الدنمون في شبه

الجزيرة العربية فمتى جاءت؟ وكيف وصلت؟ وأين بقيت؟²

في الحقيقة أن تين هينان لم تكن من بين الأجداد المعروفين عند الطوارق وإنما

الأب "هينان" Hinane هو لأكبر أجداد الطوارق فالأصل يعود إلى الأب لا إلى الأم

على الرغم من أن الطوارق يرثون من أمهاتهم.

فالتفسير الحقيقي للقصة هو أن الطوارق تمت ملاحظتهم من مصر في زمان

لقرعنة بعد أنم عبروا لصحراء واستقرار في ليبيا، عاشوا قرون في هذا لمكان قبل أن

يتجهوا إلى لمغرب لذي فيه استقروا من جديد.³

والملكة تين هينان التي جاءت إلى تمناست نحو القرن الثالث الهجري، توفيت في

325 ميلادية . فمنطق الأسطورة إنها كليا وتين هينان ليست الجدة بل الأب "هينان"

hinane

¹ [http : www.ahaggar cyber Sahara .COM/tin .htm](http://www.ahaggar.cyber.Sahara.COM/tin.htm)

² مونكو مري وت : البدو : لجنة ترجمة دائرة لمعارف الإسلامية . دار الكتب اللبناني بيروت - ط(1) 1981 ص 10.

³ BOUBOU HAMA RECHERCHE SUR L'Histoire des touareg P 121

إذن السلف ليس أموسي بل أبوسي فهل هذه هي لقراءة الحقيقية؟

تجاوزت سمعة "تين هينان" ملكة لهوقار حدود لمنطقة وروي عنها حكايات عجيبة

أشهرها قصة الأطلنطيد (l'Atlantide) كتابه الأطلنطيد جاء فيه أن ضابطين فرنسيين

سجن عند ملكة أسطورية منحدره من الأطلنط وتعيش في قصر وسط الهوقار.

ومن المؤكد أن أنتينيا "Antinéa" ما هي إلا شخصية خيالية لدى المؤلف

الفرنسي رغم اكتشاف ضريح تين هينان ستة (6) سنوات من بعد وكالعادة أسلوب

المغامرات معروف لدى الفرنسيين.

وأنتينا كانت تقول أنها بنت الحاج أحمد بن قمامة "Ahmed Ben

"Guemama" امينو كال الهقار وأكبر شيخ قبيلة "كل غالا" النبيلة ولدت سنة 1241

للهجرة ،لم تريد الزواج بأحد :إرادتها كانت محترمة فهي سيدة الهقار.¹

وأنتينا Antinéa يمكن أن تكون امرأة شقراء بأعين زرقاء من بقايا سكان

الأطلنط.²

فالصراويين ما هم إلا فرقة منحدره من إنسانية عاشت في أوضاع نعيمة

فردوسية حسب رواية بيار بنوا Pierre Benoit في كتابه الأطلنطيد

"L'Atlantide"³ الذي نشر عام 1919 .

¹ Pierre Benoit ; L'Atlantide :Presenté Par tahar djaout- édition E.N.AG
1988 P 198.

² Francoit vergnaud : sahara - petite planet -1960 .p 39

³ Revue : espaces maghrebins – pratique et enjeux – enag / edition urax
1989 p 82 .

ويقول هيرودوث الفليسوف اليوناني أن سكان الأطلنثيد يقطنون جبل يدعى أطلس*

وإليه تعود تسميتهم Les'Atlante الأطلنت.¹

ويعد أطلس atlas من الجيل الأول للآلهة مع إخوته حارب إله زوس (zeus)

وعقاب له حكم عليه بحمل السماء على كتفيه.²

أليس هذا فعلا "بأسطورة خيالية هكذا أراد بيار بونوا ان يقص نفس الشيء لملكة

الهقار.

وإذا أردنا البحث عن الأطلنثيد سيكون محتملا وجوده بجوار الهوقار ، فيكون

هنري لا وست Henri Lhote : " في قلب الصحراء يجب وضع أطلس هيرودوث.

3

خلاصة إستنتاجية

1 تحليل مضمون الأسطورة :

معلم تين هينان يقع على هضبة وهذه تنتمي إلى مجموعة التضاريس وكما سبق

تحدثنا عن جبل أطلس المذكور في الروايات اليونانية وبالتالي تدخل في إطار الموضوع

العام وهو الأساطير وعلاقتها بتضاريس الأهقار القول بأن تين هينان جدة الطوارق

*كلمة أطلس Atlas يعني اسم ملك موريطانيا دخل في الأساطير اليونانية .

¹ Henri Lhote: la dcouverte des fresques du tassili :b arthaud paris 1973 p

204

² Joel schmitdt : dictionnaire de la mythologie greque et romaine : larousse

– France avril 1996 p 39

³ Henri Lhote : 137 نفس المرجع السابق ص

(المرأة) هو للدلالة على وجود نموذج تأصيلاتي يضرب في عمق التاريخ وبالتالي مكانة المرأة الرفيعة في المجتمع التارقي مستمدة من السلطة الأمسية أي أنه هناك استمرارية وتواصل ،وبالتالي هو التعبير عن واقع إجتماعي الذي يعكس حياة سكان المنطقة.

ومن خلال الربط بين العنصر الأول وهو "الهضبة" والعنصر الثاني وهو "تين هينان" أي بين الشيء المادي والشيء الروحي أو المعنوي ،نستطيع القول بأن منذ كان الإنسان على هذه الأرض وهو مادي ومعنوي معا،بمعنى أنه يمارس حقه بتحقيق الجانب الجسدي وفي ذات الوقت الذي يمارس تحقيق الجانب الروحي فيه، فهو منذ البدء وهو يعيش حياتين معا، حياة المادة وحياة المعنى ،فبتحديد المكان وإثبات الأصل نعرف بذواتنا.

أليس هذا هو أقرب فهم إلى الواقع منه إلى الأسطورة ؟ بدليل أن حتى الكتابات الفرنسية التي تتناقض في أطروحاتها تحكم على أنه " يجب ان نعلم أن في هذه الرواية تجاهل الجد الذكر".

مقولة لكلود c.blangueron في كتابه الهوقار صفحة 51 فإذا كان الذكر

غائب في هذه الأسطورة فمن أين جاءت بنات تين هينان.

وهل هذا يعني أن استمرارية السلف الأموسي للطوارق ما هم إلا خيال وهمي

بالفعل ،وماهو خيالي لا يمكن ابدأ حقيقي بدليل أن الدراسة العلمية التي قامت بها الباحثة

ماري كلود شاملة "marie claude chamba" بالمركز الوطني للأبحاث العلمية في كتابها:

les population anciennes du Sahara et des régions limitrophes" 114 صفحة

ما يقال عن قبر الملكة "تين هيغان" * هو لمرأة؟ تتصف بصفات الذكورة عمرها يتراوح ما بين 40 إلى 50 سنة.

وبالتالي : نؤكد بأن الأواني التي تم العثور عليها في القبر لم تكن تحمل صفا الأنوثة خصيصا وعلى وجه الخصوص تم اختيار شكل الذكورة من خلال شكل الجمجمة والهيكل العظمي .

تحليل مضمون قصة بيار بونوا :

الهورقار لا علاقة له ب"الأطلنطيد" ولا تين هيغان مع "أنتينا" ولا الطوارق بالأطلنط. وإذا طلب منا هل تم اكتشاف الأطلنطيد؟ نجيب "لا" لأمر بسيط جدا وهو أنه لاكتشاف شيء، يجب على الأقل أن يكون هذا الشيء موجودا على الأقل هذا من جهة، ومن جهة أخرى بيار بونوا لم ينتقل لرؤية العالم الذي تحدث عنه وأكثر من ذلك لم تطرأ أقدامه منطقة الهوقار.

* Mémoires du centre de recherches anthropologiques préhistoriques et ethnographiques .Etude des restes osseux humains néolithiques et protohistoriques.

فخيال هذا المؤلف يقودنا بعيدا عن الواقع لإيجاد أجداد الطوارق فهو ضعيف جدا .
فتبقي في الأخير. "تتين هينان" ملكة أسطورية تجسد المرأة المحتضرة القادرة على بعث
الحياة، وهذا بيت القصيد.

المبحث الثاني

القرابة والتنظيم الاجتماعي.

نظام القرابة والعلاقات الاجتماعية :

إن أول بحث فلسفي منظم في شؤون الأسرة لدى الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس" قد لمس أهمية الأسرة في النظام الاجتماعي وأن الرقي الذاتي وأساس التقدم الاجتماعي يقول : « إن الملوك القدامى عندما أرادوا تنظيم ولاياتهم بدؤوا أولاً بتنظيم أسرهم».

ويذهب أرسطو إلى القول أن الأسرة هي أول اجتماع تدعوا إليه الطبيعة .

وأساس هذا الاجتماع الوالدين ، فقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن الأب هو محور القرابة منذ نشأة الحياة الإنسانية وإليه وحده ينسب الأولاد وذلك في قوله تعالى: (واتل عليهم نبأ بني آدم بالحق). الآية 26 سورة المائدة فالآية الكريمة تنسب الأولاد إلى سيدنا آدم عليه السلام وليس إلى حواء عليهما السلام.

غير أن معظم الأبحاث الاجتماعية تكاد تتفق في تقرير أن الأم كانت منذ فجر

الحياة الاجتماعية محور القرابة وإليها ينسب الأولاد.

فمن المحتمل أن أموراً طرأت على الحياة الاجتماعية جعلت الأقوام الأولى تأخذ

بالنظام الأمومي وتسير عليه تلقائياً لأن الأم هي التي تتولى حضانتهم وتربيتهم أما الأب

فكان ينشغل بأمور الصيد والقطف والزراعة و الترحال .

1 مفهوم القرابة في مختلف العلوم:

أ/ القرابة لغة:

القُرْبُ نقيض البُعد قرب الشيء بالضم يقرب قربا وقربانا وقربانا أي دنا فهو قريب. القريب والقريبة ذو القرابة والجمع من النساء قرائب ومن الرجال أقارب.

وفي التهذيب القرابة والقربى الدنو في النسب والقربى في الرحم.¹

ويقال القربى : القرابة في النسب.

أو القران: بكسر القاف، قران الجمع القوي بين شيئين ،الزواج لأنه يجمع فيه بين الزوجين.²

أما عند محمد مرتضى الزبيدي في قاموسه اللغوي وفي المصباح قال أبو عمر وابن العلاء : القريب في اللغة له معنيان أحدهما قريب قرب مكان يستوي فيه المذكر والمؤنث .

والثاني قريب قرابة.³

ب/ في الأنثروبولوجيا:

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ الأنثروبولوجيون والأنثولوجيون في فك وتوضيح أشكال القرابة في المجتمعات البدائية.

¹ ابن منظور: لسان العرب : الدار المصرية للتأليف والترجمة الجزء الثاني : فصل القاف من حرف الباء.

² محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قبيبي : معجم لغة الفقهاء دار الففانس بيروت (ط1) 1985 ص 360.

³ محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس فصل القاف من باب الباء

وفي عام 1877 لويس مورجان "Lewis Morgan" متحققا أكد أولوية الأنساق

الأموسية في مقابل الأنساق الأبوسية من خلال دراسات إحصائية ل 577 مجتمع، ومن خلال النموذج المتبع من طرف جورج بتار موردوك George Peter Murdock بين أن المجموعات مرت من الأشكال الأموسية إلى الأشكال الأبوسية للقراية مع ظهور أشكال أكثر تعقيدا اقتصاديا وعلاقات اجتماعية إلى جانب التطور الذي عرفته الزراعة وتربية المواشي.¹

وإن مفهوم القرابة هي علاقة اجتماعية تعتمد على الروابط الدموية الحقيقية أو الخيالية أو المصطنعة ولا يعني اصطلاح القرابة في الأنثروبولوجيا علاقات العائلة والزواج فقط وإنما يعني أيضا المصاهرة. فالقرابة علاقة دموية والمصاهرة علاقة زوجية وعلاقة الأب هي علاقة قرابية، بينما علاقة الزوج بزوجية هي علاقة مصاهرة.² في حين نقول عن شخصين بأنهما أقارب عندما ينحدر أحدهما من الآخر، أو عندما ينحدران من سلف مشترك. هذا يعني أن الرابطة الاجتماعية التي بنيت تركز على علاقة بيولوجية.

وعليه فالقرابة هي علاقة اجتماعية لا تلتقي مع القرابة الدموية البيولوجية.³

¹ Ancylop2die Du Monde Actuel l'anthropologie Edma Imprimé En France Par Bradard Et Taupin 1977 P 186

² د نيكن ميتشيل : معجم علم الاجتماع : ترجمة : د إحسان محمد الحسني . دار الطليعة - بيروت - الطبعة الثانية ص

1986.

³ Marc Augé: Les Domaines De La Parenté Filiation Alliance/Résidence . Dossier Africains- E: Francoit Maspero . Paris 1975 P 11 -12

ج/ في علم الاجتماع :

بالنسبة لعالم الاجتماع ولعالم الأجناس ، عن القرابة هي ظاهرة إجتماعية وليست بظاهرة بيولوجية فالقرابة مجموعة علاقات قائمة بين مجموعات اجتماعية ذات روابط مصدرها الزواج والسلف والأنساق القرابية مركبة من مفاهيم قرابية (كالخال والصهر...) والتي ترتبط بقواعد ونماذج من السلوك التي تشكل أحد المجموعات.¹

وعلى العموم يعتبر نظام القرابة من أهم الأسس التي يركز عليها نظام الجماعات الثقافية التضامنية.

القرابة parenté اصطلاحاً:

هي مجموعة من العلاقات الاجتماعية المعقدة القائمة على واقع بيولوجية هي الميلاد.

وظاهرة اجتماعية هي الزواج .

بحيث عرفها العالم مورديوك أن نظام القرابة متسق من العلاقات يرتبط فيه الأفراد ببعض بشبكة من الروابط والصلات وعن طريق هذه الصلات والروابط ذاتها وليس عن طريق النظام نفسه تظهر الجماعات القرابية كالأسرة والعائلة...²

¹ Dictionnaire de sociologie : Larousse –paris 1973 p .182

²صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي دار النهضة العربية القاهرة الطبعة الأولى 1974 ص 216

أما راد كليف براون "radcliffe brown" فالقربانية بصفة مبدئية بأنها العلاقات المباشرة التي تنشأ بين شخصين نتيجة لانحدار أحدهما من صلب الآخر أو نتيجة لانحدارهما هما الإثنين من سلف واحد مشترك".¹

د/ في علم التاريخ:

أما الظاهر تاريخيا فهو أن معظم التجمعات قد قامت على روابط قرابية أهمها روابط الدم وقد عبر ابن خلدون على الأهمية الاجتماعية للنسب بقوله: " أن النسب إنما فائدة في الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة، وما فوق ذلك يستغني عنه ، إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له ونفعه إنما هو في هذه الصلة والالتحام".²

فالنسب والقربانية وإن كان الأصل فيهما بيولوجيا إلا أنهما قد يتحققان بطرق أخرى كالحلف والولاء أو المصاهرة أو التبني ، أو لفرار من جنائية: فيدعى بنسب جديد.

ونستخلص من هذا أن القربانية كنظام تواجد في كل المجتمعات الإنسانية وتبدو واقعة أكثر في المجتمعات البدوية غير أن هذا لا يمنعها أن تكون نظاما عالميا عبر مختلف العصور إلا أن لكل مجتمع إنساني يحدد نظام العلاقات القربانية .

فالدراسات النظامية لموضوع القربانية هي دراسات حديثة العهد بالرغم من إهتمام القضاة والحكام بها وبمواضيعها المتفرعة منذ فترة زمنية قديمة. فبعد فترة صمت طويلة

¹صلاح مصطفى القوال : نفس المرجع السابق ص 217.

²ابن خلدون : المقدمة 226.

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر (عرفت الأنثروبولوجيا حوالي عام 1860 طفرة جديدة، تعتبر في الواقع بداية هذا العلم.

فبين عامي (1860-1880) ظهرت معظم مؤلفات المدرسة التطورية : ومنها

"حق الأمم" "لباخ أوفن" إلى جانب كتاب "مورغان" عن "نظم القرابة" عام 1869.¹

ويعتبر البحث الأكاديمي الذي قام به العالم الأنثروبولوجي الأسكتلندي "مكثنين"

والذي كان بعنوان "الزواج البدائي" من البحوث الأولى التي أجريت بصدد هذا الموضوع

ثم يتبعه في الأهمية البحث الذي قام به العالم "مورجن" من خلاله معاني جميع

الاصطلاحات القرابية التي استعملها علماء الأنثروبولوجيا.

أما دراسة العلاقة بين النسب والزواج والقرابة فقد قام بها العالم "ريفرز" rivers

عندما ألف كتابه الموسوم "القرابة والتنظيم الاجتماعي" في عام 1914 . ثم قام العالم

راد كليف براون" بتأليف كتاب يدعى "التركيب والوظيفة في المجتمع البدائي" شرح فيه

الأنظمة القرابية وبين معاني المصطلحات التي تتعلق بها.

فالمجتمعات بصفتها أنظمة تسمح بإجراء تحليل منظم ذي صبغة شمولية .لهذا نجد

أن "راد كليف براون" قد ميز بين العلاقات الاجتماعية التجريبية ،والبنى الاجتماعية التي

يبينها الأنثروبولوجي لكنه يعلن في مكان آخر: "إن البنى الاجتماعية صحيحة وحقيقية تماما

مثل الأعضاء بالنسبة للأفراد ،وإن المجتمعات عبارة عن بنى"

¹جيرار لكرك :ترجمة جورج كتورة :الأنثروبولوجيا والاستعمار . مطابع شركة تكنوبرس الحديثة بيروت ط(1) 1982

وعلىنا تحليل المبحث الجديد باعتبار أنظمة القرابة "مركز" البنية الاجتماعية

للمجتمعات القبلية.¹

مما سبق نلاحظ اهتمام العلماء الأنثروبولوجيون بدراسة النظم القرابية لأنها تكشف عن العلاقات الاجتماعية والتي تؤثر في شكل واستمرارية وفاعلية وديناميكية البناء الاجتماعي للمجتمع.

وباختصار يشير اصطلاح القرابة عند الأنثروبولوجيين إلى علاقات القرابة والزواج إلا أنهم يميزون بين علاقات القرابة وعلاقات الدم، وبين علاقات النسب والمصاهرة (علاقات الزواج) ولذلك يعتبر الأب والابن أقارب بينما يعتبر الزوج والزوجة أصهاراً.

التمييز بين القرابة البايولوجية والقرابة الاجتماعية :

التمييز بينهما يعتمد على حالة التبني فليس هناك علاقة بايولوجية بين الأب وطفله المتبني لأن العلاقة بينهما هي علاقة اجتماعية وفي حالة الأطفال غير الشرعيين هناك علاقة بايولوجية بالرغم من عدم وجود علاقة اجتماعية .

أنواع العلاقات القرابية :

- 1/ إذا انحدر الابن من خلال نسب أبيه سمي بالنسب الأبوي.
- 2/ إذا انحدر الابن من خلال نسب أمه يسمى بالنسب الأمي.
- 3/ إذا انحدر الابن من نسب أبيه وأمه في آن واحد يسمى بالنسب المشترك

¹جيرار كلرك : نفس المرجع ص 69

4 القرابة الأولية: هي القرابة الدموية والاجتماعية التي تربط الوالدين بالأبناء كالعلاقة التي تربط الأب بالأم والأخ بالأخت.

5 القرابة الثانوية: هي العلاقة الدموية الاجتماعية التي تربط الجد بالخال وبنات الأخ.

فهذه الطريقة الكلاسيكية لتعريف الروابط الدموية تكون من خلال انحدر من جد مشترك.¹

فالمنحدرون من جد مشترك هم أعضاء الجماعات الدموية وقد ينحصر مقياس الإنحدر القرابي بالذكور فقط إذا كان هؤلاء ينحدرون من جد مشترك تسمى بالقرابة الأبوية.

أما عندما يكون انحدر على صعيد جيل من الأجيال المتقدمة في الزمن تسمى بـ: الجماعات النسبية.²

الجماعات النسبية:

يقوم التضامن بين جماعة قرابية على مجموعة من الأفراد منحدرين جميعاً من أب قديم واحد، قد يصل عدد هؤلاء الأفراد إلى المئات. ويتعاقب النسب عادة في طرف واحد، إما عبر الرجال وإما عبر النساء.

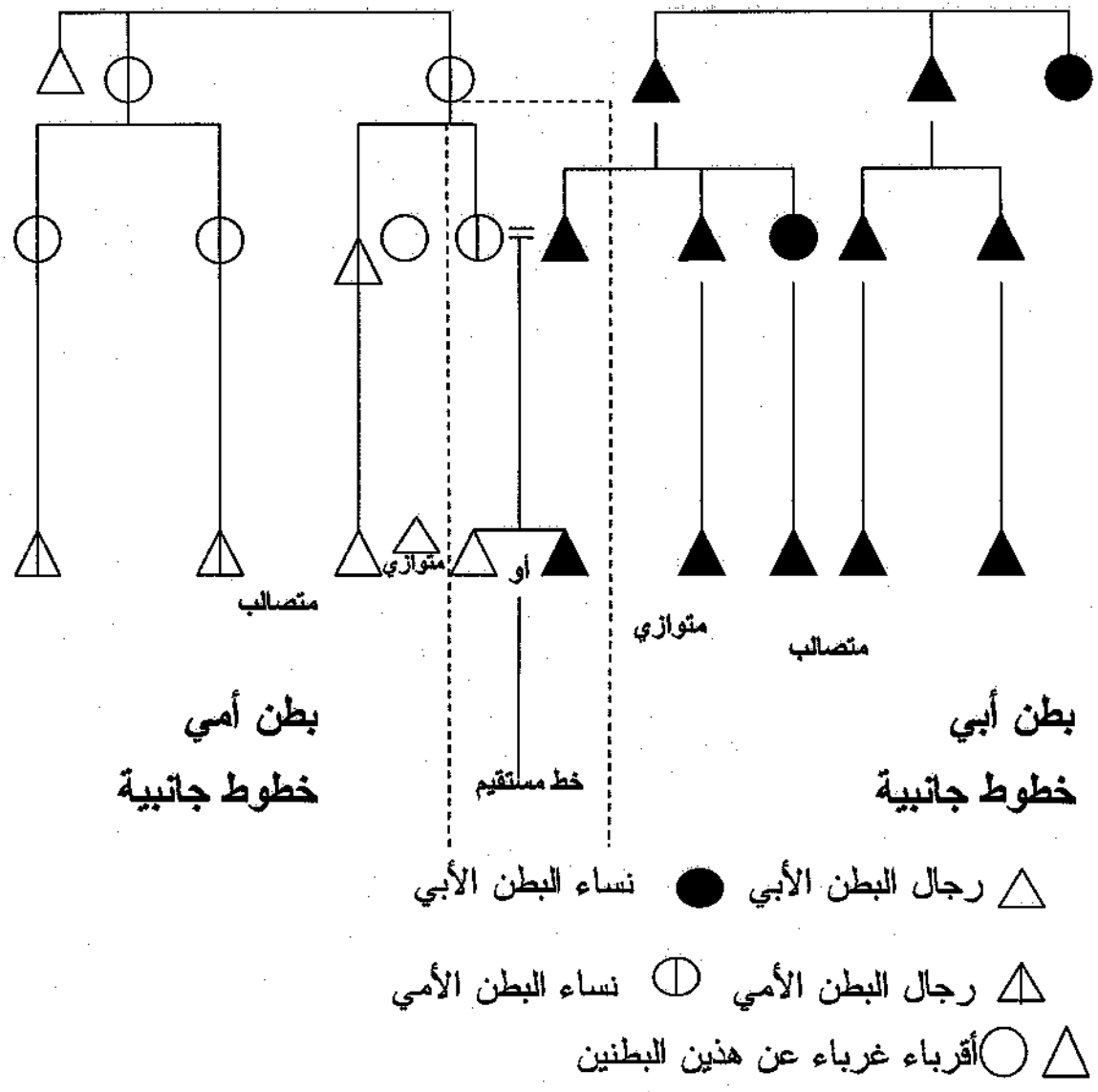
¹ دينكن ميشيل ترجمة: دزاحسان محمد الحسن: نفس المرجع السابق ص 130.

² جاك لومبار / jaque lambard : مدخل إلى الأنثولوجيا. ترجمة : حسن قبيسي. المركز الثقافي العربي الطبعة

والمجموعة التي تضم جميع أفراد السلالة الواحدة منذ الأب الأول تشكل: "البطن الأبي" أو "البطن الأمي".

والبطن يشتمل، حسب الحالة الواحدة، على الأقرباء الذين يظهرون لنا في الترسمة

التالية:



يمثل هذا الرسم السلالة المباشرة للأقرباء الذين توألدوا بعضا من بعض

فما هو إذن مفهوم الجماعة القرابية ؟

الجماعة القرابية هي جماعة اتحدت عن طريق روابط الدم أو الزواج . وتعتبر غالبية الجماعات القرابية عامة متصلة عن طريق قرابة العصب. وفي ضوء ذلك فإن القرابة هي علاقة اجتماعية تقوم على ارتباط أسري محدد ثقافيا.¹

فإذا قارناها بالتجمع القرابي " فإنه يشكل نظاما اجتماعيا تترتب عليه منظومة من المعايير والقيم والحقوق والواجبات ، ويتضمن توزيعا للأدوار منظومة من المعايير والقيم والحقوق والواجبات، ويتضمن توزيعا للأدوار، ويلبي حاجات الرعاية وتوفير الرزق والحماية وقد تمتد قواعده لتشمل تنظيم اختيار الزواج، كان يقتصر على أعضاء الجماعة في نمط داخلي endogamie، أو قد يحصر في الزواج من خارج الجماعة، أحيانا في جماعة محددة بما يعرف بالزواج الخارجي exogamie، كما قد يكون حرا.

أنواع الجماعات القرابية :

أولا لابد من تحديد مفهوم العائلة: فالعائلة كما يرى "مورجان" هي عنصر نشيط لا يعرف الاستقرار، إلا أنه ينتقل من شكل أدنى إلى شكل أعلى بالقياس مع المجتمع الذي يتطور من درجة دنيا إلى درجة أعلى، في حين أن الأنساف القرابية فهي عديمة النشاط.

¹د: محمد حسن عامري : مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة (علم الإنسان) ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر ص 85

لا يمكنها من خلال فترات متباعدة تسجيل التقدم الذي سجلته العائلة خلال الفترات

الزمانية ولا يمكن أن تقع تغيرات جذرية إلا عندما يقع تغيير جذري بالنسبة للعائلة.¹

1/ العائلة الأولية: تعتبر العائلة الأولية هي المكون لنسق القرابة وتتكون من

الرجل (الزوج) والمرأة (الزوجة) والأطفال سواء كانوا يعيشون معاً أو لا يعيشون

وتشتمل العائلة الأولية على ثلاثة أنواع من العلاقات الاجتماعية.

النوع الأول: وهو العلاقات التي توجد بين الوالدين والطفل.

النوع الثاني: هو العلاقات التي توجد بين الأطفال الأشقاء أي من نفس الوالدين.

النوع الثالث: وهو العلاقات التي توجد بين الزوج والزوجة لنفس الأطفال كوالدين

لهم.²

2/ العائلة المعقدة: تتخذ العائلة المعقدة أشكالاً كثيرة لعل أهمها نوعان هما: العائلة

المركبة والعائلة الممتدة وهما يقومان على أسس مختلفة مختلفة وتنشأ نتيجة لبعض النظم

الخاصة بالزواج أو الإقامة .

وتوجد الأسرة المركبة في كثير من المجتمعات وهي تقوم على نظام تعدد

الزوجات لزوج واحد وإخوة غير أشقاء أو عندما يتوفى الزوج أو تطلق الزوجة وتتزوج

من رجل آخر . وفي كلتا الحالتين يتواجد في الأسرة أطفال غير أشقاء.

¹ Friedrich Engels: L'origine De La Famille. La Propriété Privée Et De L'état. Editions Sociales – Paris 1974 P.38-39

² د/ محمد حسن غامري: نفس المرجع السابق ص 84

3/ الأسرة المعيشة: وهي تتكون من مجموعة من الأسر الأولية وتتبع نوعا معينا من التنظيم الإقتصادي يطلق عليه وحدة المعيشة ، وتقيم الأسرة المعيشة في مسكن واحد أو في مجموعة من المساكن القريبة بعضها من بعض.

وتتصف ببعض الخصائص من حيث الحجم، الشكل وطريقة الحياة.

4/ البدنة: يقوم هذا النمط على أساس الانتماء إلى الأب أو الأم فالمهم هو وجود سلف مشترك، وتختلف البدنة عن العشيرة ، فالبدنة رغم أنها قد تكون جزءا من العشيرة إلا أن العلاقة بين أفراد العشيرة ، ترجع إلا علاقة افتراضية عن وجود سلف أسطوري معين ، بينما تقوم العلاقة من أفراد البدنة على أساس وجود سلف مشترك.

5/ العشيرة: وهي تتجاوز حدود عضوية الأسرة ، وتنقسم العشائر على نوعين:

- العشيرة الأبوية: وفيها ينتمي الفرد إلى عشيرة أبيه.

- العشيرة الأمومية: ومنها تكون قرابة الفرد للعشيرة التي تنتمي إليها

الأم، وتتميز العشائر بالزواج الخارجي exogamia لاعتقادهم أنهم لا

يتزوجون من نفس العشيرة التي تنحدر من السلف الأسطوري.

6/البطون واتحاد العشائر: ارتباط عشيرتان أو أكثر يكون ما يسمى بالبطن

ويقوم على مبدأ الزواج الخارجي.

7/ القبيلة: وتتضمن عدة جماعات مثل البدنات والعشائر والبطون وتقطن

القبيلة عادة إقليميا معيناً وتُسود بينها ثقافة مشتركة ولغة واحدة وإحساس قوي

بالتضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية.¹

يتضح مما تقدم أن الأنثروبولوجيين حاولوا منذ القرن التاسع عشر استخدام

المصطلحات القرابية في صياغة نظريات تفسر أصل النظم الاجتماعية، مما أدى

إلى ظهور اختلافات عديدة في محاولات التنظيم عند تحليل مصطلحات القرابة.

وتعتبر أول محاولة جادة لدراسة مصطلحات القرابة تلك التي قام بها العالم

الإثنولوجي لويس مورغان في القرن التاسع عشر عندما درس "قبائل الإيروكواي"

وكان يهدف من دراسته أن يكشف عن العلاقات التاريخية بين هنود أمريكا

وشعوب آسيا عن طريق دراسة مصطلحات القرابة التي يستخدمها الهنود الحمر

في شمال أمريكا.

ولكن ما يؤخذ على دراسة مورغان أنه اعتمد على التاريخ الظني دون أي

سند واقعي. كما وجد الباحثون الأنثروبولوجيون أن الرموز المستخدمة في علم

الحياة التي تتخذ الرمز ♂ للدلالة على الذكورية والرمز ♀ للدلالة على

الأنوثة رموزاً غير مناسبة.

¹ د/ محمد حسن غامري : نفس المرجع ص 91.

وقد استخدم الأنثروبولوجيون رموزاً مختلفة عن تلك الرموز البيولوجية

للدلالة على الذكورة والأنوثة والقرابة العاصبة (قرابة الدم) ورابطة الزواج

والإنتماء إلى جيل على النحو التالي:

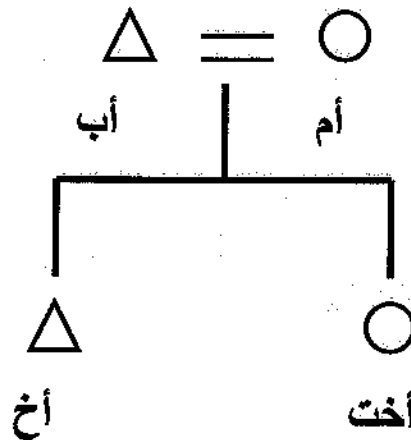
حيث يستخدمون رمز Δ للدلالة على الذكورة ورمز \bigcirc للدلالة على

الأنوثة.

ويعتبر الخط \perp عن قرابة الدم .

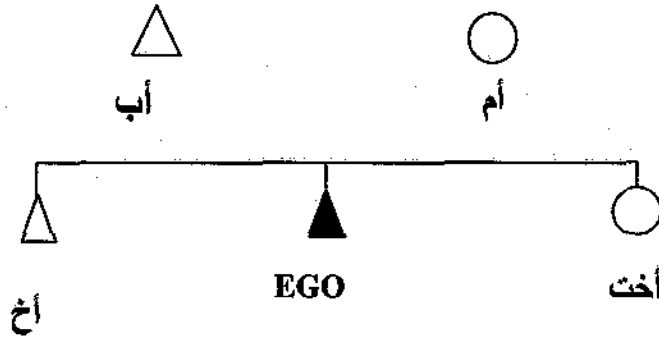
وعامة \equiv للتعبير عن علاقة الزواج وتبين وحدة الجيل وتمايز الأجيال

بالوضع النسبي في سلاسل الأنساب حيث يقع الأبناء أسفل الآباء



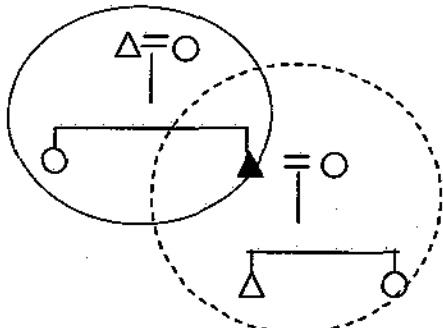
الشكل رقم 01

وبافتراض ان الفرد الذي تسند إليه ألقاب المناداة في شجرة النسب الذي يرمز إليه المثلث المظلل أو مصطلح EGO هو ذكر بالغ، فهو أقرب إلى أن يكون متزوجاً، وهو بالتالي عضو أسرة نواة هي الأسرة التي ولد فيها والتي تضم ابيه وأمه وأخته وأخيه كما هو عضو في أسرته النواة التي كونها هو بزواجه والتي تضم زوجته وأبنائه وبناته.



الشكل رقم 02

في حين نجد أن الفرد الذي تسند إليه ألقاب المناداة في الشكل الثالث مستقراً في أسرة نواة تضم أقارب ينتمون إليه بصلة الدم هم والده وإخوته وأخواته حيث يطلق عليهم مصطلح الأشقاء وهو تعبير اختزالي عن تلك العلاقة القرابية، كما تعبير PARENT



الشكل رقم 02

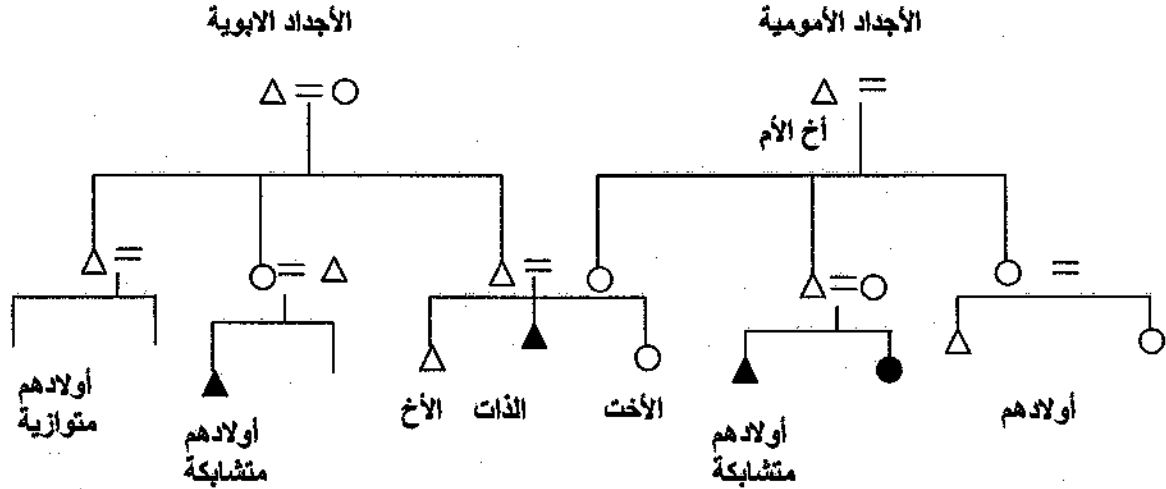
في اللغة الإنجليزية.¹

تداخل الوحدات الأسرية أو

إنتماء الفرد إلى وحدتين أسريتين.

¹محمد عبده محبوب ك طرق البحث الأنثروبولوجي. النسق القرابي - دار المعرفة الجامعية 1985 ص 68 - 69

ويمكن توضيح السلف الأموسي والأبوسي في المخطط التالي:



الأسرة والزواج وعلاقتهما بنظام القرابة:

يهتم الأنثروبولوجيون بدراسة نظام الزواج والقرابة لأنه يعتبر من الموضوعات الهامة في مجال الدراسات الأنثروبولوجية وأن أي معالجة نظرية لموضوع القرابة تتطلب بالضرورة لنظام العائلة والزواج.

وطرحت عدة تساؤلات لدى الأنثروبولوجيين لمعرفة طبيعة النظم الاجتماعية متسائلين عن كيفية نشأتها وكيفية تطورها وانتشارها وبالتالي ظهرت عدة نظريات تفسر نظام الزواج والأسرة، مستندة على افتراضات ظنية استمدتها هؤلاء الأنثروبولوجيون من خلال كتابات الرحالة والمبشرين والكتابات الأنتوجرافية.

ومن أبرز هذه النظريات نظرية باخوفن في كتابه "حق الأم" ونظريات ماكليتان في كتابه "الزواج البدائي" ومورغان في كتابه "الأنساق وروابط الدم" وقد لاحظ معظم الباحثين أن الخاصية الغالبة لدى كثير من الجماعات القرابية الدموية هي الخاصية الغالبة لدى كثير من الجماعات القرابية الدموية هي الخاصية الغالبة لدى كثير من الجماعات

القرابية الدموية هي خاصة أوقاعدة الزواج من الخارج ¹بمعنى أن إحساس أعضاء الجماعة بأن الرابطة التي بينهم هي رابطة أخوة أو أبوة يدفعهم إلى تطبيق قاعدة الزواج من الخارج على اعتبار ان كل اعضاء الجماعة القرابية الدموية يصبحون محارما لراغبي الزواج.

فما هو مفهوم الزواج ؟ وما علاقته بالأسرة؟

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن هناك ارتباط بين مصطلحي الزواج والأسرة وإن كانا ليس شيئا واحدا.

حيث يدل مفهوم الزواج على أنه "تزاوج منظم بين الرجال والنساء بينما يعبر مفهوم الأسرة عن الزواج عندما يسفر عن الأبناء". ويرون أيضا أن الأسرة كمفهوم يشير إلى مجموعة من المكانات والأدوار المكتسبة عن طريق الزواج والإنجاب. والزواج هو " عقد يفيد حل استمتاع كل من العاقدين على الوجه المشروع" وعرفه موردوك Murdock انه ظاهرة اجتماعية معقدة" ويرجع ذلك التعقيد إلى اختلاف نظم وصور الزواج بدرجة واضحة بل ومتناقضة أحيانا على الرغم من بساطة التكنولوجيا في المجتمعات البدائية.²

¹كلود ليفي ستراوس :أثروبولوجيا البنيوية : ترجمة د: مصطفى صالح منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي

دمشق: 1977 ص 219.

² صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي: دار النهضة العربية القاهرة الطبعة الأولى 1974 ص 231.

ومن هنا يمكن اعتبار الزواج شرطا أوليا لقيام الأسرة وأن الأسرة نتاج للتفاعل الطبيعي للتفاعل الزوجي فهي الوحدة الأساسية في أي مجتمع إنساني في حين يرى كلود ليفي سترأوس أن :

«كل زواج هو علاقة درامية بين الطبيعة والثقافة، بين التصاهر والقرابة».

فقواعد القرابة والزواج برزت منهكة في التنوع للنماذج التاريخية والجغرافية بكل الطرق الممكنة لضمان اندماج العائلات البيولوجية على مستوى الجماعة الاجتماعية.¹

فما هو مفهوم الأسرة؟:

يعرفها العلامة ميردوك: «الأسرة جماعة إجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون إقتصادي ووظيفة تكاثرية.»

وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء أكان من نسلهما أو عن طريق التبني، وقام العالم "ميردوك" بمقارنة الأسرة في 250 مجتمع إنساني فلاحظ وجود ثلاثة أشكال رئيسية للأسرة الإنسانية.

1/ الأسرة النووية:

باعتبارها النواة أو الخلية الأولى للمجتمع الإنساني وأحيانا تسمى بالأسرة الزوجية أو الأسرة الصغيرة .

وتتكون من زوج واحد وزوجة واحدة وأطفالهما، وقد يحدث أن يقطن معهم أشخاص آخرون وعندما تتجمع أكثر من عائلة صغيرة في ظروف معينة وبشروط

¹ Claude Lévi-Strauss : les structures élémentaires de la parenté. Paris.

Menton .la Hayes 1967 p 561-565

خاصة يتكون شكلان آخران للأسرة، فتوجد الأسرة المتعددة الأزواج أو الزوجات، وهي تجمع عائلتين صغيرتين أو أكثر.

2/ الأسرة الممتدة: تتكون على الأقل من عائلتين صغيرتين إحداهما إمتداد للأخرى إذ يرى العالم "هوبيل" أن حوالي 50 % من المجتمعات الإنسانية لا توجد الأسرة الزوجية وحدها و إنما يؤخذ بجانبها أشكال مركبة أخرى وخاصة الأسرة الممتدة.¹

فهي الأكثر إنتشارا من أي شكل أسري آخر في المجتمعات الإنسانية تقريبا. وترتبط الأسرة الممتد إلى حد كبير بنظام تعدد الزوجات الذي وجد في كثير من المجتمعات البدوية خصوصا داخل نطاق الثقافة الإسلامية.

3/ الأسرة المتعددة : ويقصد بالتعدد هنا تعدد الأزواج أو الزوجات وتشكل الأسرة متعددة الزوجات هو الأكثر انتشارا حيث لاحظ موردوك من خلال الدراسة الحقلية التي قام بها على عينة مكونة من 234 مجتمعات ، أن نظام تعدد الزوجات يسود في المجتمعات ذات الحضارة الإسلامية بينما لا يوجد هذا النظام في المجتمعات الغربية ، ولا في الصين أو في اليابان.²

إن هذا التصنيف الثلاثي لأشكال الأسرة لا يختلف عن تقسيم البروفسور "أنورد وستر مارك" للعوائل البشرية بالتسميات التالية:

¹ د/ عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الاجتماعية . دار النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة 1981 ص 91.

² صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي . دار النهضة العربية القاهرة الطبعة الأولى 1974 ص 188 .

1/ العائلة البسيطة: التي تتكون من الأب والأم والأطفال فقط.

2/ العائلة المركبة: تتكون من العائلة البسيطة إضافة إلى الأقارب كالعالم والجد

والخال.

3/ العائلة المعقدة: تتكون من عائلتين أو ثلاث عوائل بسيطة تعيش في بيت

واحد.¹

وفي الخاتمة يمكن الإشارة إلى شكل أسري مركب يصعب إدراجه في أي من الأشكال الثلاثة سابقة الذكر، فقد يحدث أن يعيش أخوين وعائلتهما في وحدة سكنية مشتركة ويكونون وحدة إقتصادية متعاونة، فإن أساس الرابطة التي تجمع ذلك الشكل الأسري هي رابطة الأخوة.

ويطلق العلامة "ميردوك" على هذا الشكل الأسري اصطلاح "الأسرة الأخوية

المشتركة".²

وهناك شكل أسري مشابه يشير إليه العلامة "هوبيل" وهي جماعة قرابية تتكون

من امرأة وأطفالها وإخوتها ويكون هؤلاء وحدة اقتصادية فعندما يتم الطلاق تعيش

المطلقة مع إخوتها وأطفالها في وحدة سكنية مشتركة.

¹دك³حسان محمد الحسن : العائلة والقرابة والزواج. دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع

العربي- دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - ط (1) 1981 ص 40.

²د/ عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الإجتماعية ص 106.

وأعتقد أن هذه الجماعة القرابية لا تخرج عن كونها تعبير عن تماسك الأسرة وقوة صلات القربى توجد في المجتمعات المتمدنة.

فكثير ما يحدث أن تعيش المرأة المطلقة وأطفالها مع أخيها العازب أو إختها ولا يثير ذلك أي نوع من الغرابة التي أبداهما العالم "هوبيل".

فماهي التغيرات التي تطرأ على الأسرة تحت تأثير التحضر والتنمية الاقتصادية ؟
لقد أوضحت الدراسات أن عملية التحديث (التنمية) في مختلف أنحاء العالم قد أدت إلى تدعيم الأسرة النووية وإضعاف الأسرة الممتدة، وزيادة درجة المشاركة المتبادلة في المسؤولية بين الزوجين.¹

فهل تنظيم الأسر كان يعتمد على النظام النسوي؟

وماهي الطريقة الأنتولوجية في بحث الفروق بين الجنسين؟:

إذا صدقنا ما تقول به نظرية أنترولوجية كان صاحبها باخوفن BAKHOVEN.
ثم اخذ بها بريفولت BRIFFAULT فإن المجتمع يكون أول الأمر ذا نظام نسوي وتكون المرأة هي صاحبة السلطة.

ومن الراجح أن تكون جماعة الهنود الأيروكوا أقرب الجماعات إلى النظام النسوي. فقد كانت النساء هي التي تعقد عقد الزواج. وتملك البيوت والأراضي، وتدير

¹ محمد علي محمد - محمد الحسيني - عليا شكري - محمد الجوهري: 1974 ص 28. دراسات في التغير الإجتماعي -

بعض المنظمات الدينية. ومع ذلك فإنه ليس من امرأة حتى عند الأيروكو كانت تشترك في المجلس الأعلى للرابطة، ولا يمكن القول أن السلطة كانت للنساء أكثر منها للرجال.¹

أما في الأنظمة النسوية المدعاة الأخرى، فإن سلطة النساء كانت أقل بكثير وهناك في جماعات مثل "جماعات الملايو" التي كانت جانبية الأمومة Matrilatérales حيث تعطي السلطة على الأولاد لأسرة الأم كان الرجال لا الناس هم الذين يتولون هذه السلطة. وكان الولد مرغما على إطاعة خاله بدلا من أبيه وكانت سلطة الأم عليه أقل بكثير.

إلا أن ما يذهب إليه أكثر علماء الأنثروبولوجيا المعاصرون يبدو مناقضا لوجهة النظر هذه .

ويعلم "لووي LOWIE أننا لا نعثر في أي مكان على نظام نسوي حقيقي.

فما هو هذا النظام النسوي وماهي خصائصه؟

إن بناء الأسرة الذي يتكون من الآباء والأبناء الذين يخضعون لنظم قرابية معينة تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تدور بينهم، يتألف من نسق قرابي الذي يعتمد على مجموعة من النظم المتعلقة إما "بنظام التوريث" أو "نظام الزواج المتقاطع" أو "النظام الأبوي" وأخير "النظام الأموي"² هذا الأخير هو الذي ينصب عليه بحثنا.

¹ حافظ الجمالي : علم النفس الاجتماعي : منشورات مكتبة الحياة بيروت (ط2) 1967 ص 391.

² د: قباري محمد اسماعيل : أسس البناء الاجتماعي : دراسة وظيفية تكاملية للنظم الاجتماعية - منشأة المعارف

النظام الأموي عبر التاريخ:

إن الأم هي العنصر الأول في تلقين الطفل السلوك الإجتماعي، فهي التي تساعد على استيعاب أولى إختباراته عن النظام الإجتماعي وهي التي تزرع في نفسه أولى المخاوف والتطلعات، كما تقدم له أولى المناسبات لإختبار شعوره بذاته وبالأخرين.¹

أما دور الأب في العائلة العربية، يمثل دوراً أقل بروزاً من دور الأم خاصة في السنين الأولى من حياة الطفل، هذا صحيح بنوع خاص في العائلة الكبيرة.

فما هو مفهوم هذا النسب الأموسي:

مفهوم الأمومة:

الأمومة الانتساب إلى الأم، يراد بها انتساب أهل القبيلة أو الأمة إلى أمهاتهم بدلاً من آبائهم، فيقال: فلان بن فلانة كما يقال في الأبوة ك فلان بن فلان.²

النسب الأمي :

يعني هذا الاصطلاح اقتفاء العلاقة القرابية من خلال خط الإناث. واستعمل الإصطلاح محل الكلمة الغامضة حق الأم عندما كانت المرأة تلعب الدور القيادي في المجتمع ذلك الدور الذي منحها الأولية بالنسبة للانحدار القرابي.³

¹ هشام شرابي : مقدمات لدراسة المجتمع العربي الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت - (ط3) 1981 ص 11

² جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي المجلد الثاني ص 251.

³ معجم علم الاجتماع ص 143.

وخلال القرن التاسع عشر وضع بعض علماء الأنثروبولوجيا أهمية دور النسب الأمي في بداية مراحل التطور الاجتماعي، فقد شرح كل من مكلنن وباخوفن نظام النسب الأمي من حيث أسباب وجوده وأسباب تطوره.

لكن الجدل التطوري الذي أشغل شرارته "مكلنن" و"باخوفن" بالنسبة لموضوع النسب الأمي قد انتهى وحل محله التحليل الوظيفي الذي بدأ به "لوي" عندما كتب مقالته الموسومة "العقدة الأمية" ثم قام البروفسور مالنوفسكي بدراسة النسب الأمي عام 1929 عندما ألف كتابه المشهور "الحياة الجنسية للمتوحشين".

والأمومة من الأبحاث التي حدثت في أواسط القرن الماضي بعد شيوع مذهب الإرتقاء، وأول من استلقت الأنظار إليها عالم ألماني "باخوفن" في كتاب نشره عام 1861.

ومرجع بحثه أن الأمومة سابقة في تاريخ العائلة للأبوة فعنده كان الزواج عند الأقدمين فوضى بلا شرط وهو زواج المشاركة فإذا ولدت بعض النساء غلاما لا يمكن تعيين والده وهو ملازم أمه للرضاع فينتسب إليها ويعرف بها فيصير الانتساب إلى الأمهات قاعدة عامة. فأصبح للمرأة المقام الأول ثم ظهر كتاب "ماكلينان" الإنجليزي في الزواج عند القدماء نشره علم 1865 فذهب في الأمومة مذهباً جعل أساسه الزواج الخارجي، أي تزوج الرجال بنبات من غير قبيلتهم بالغزو لقلّة البنات عندهم فنشأ عن

ذلك في اعتقاده زيادة عدد الرجال، فاضطر كل جماعة منهم إلى الإكتفاء بامرأة واحدة وهو تعدد الأزواج وانحصر النسب في الأم وعلت منزلتها.¹

إن مذهب مكليمان في أصل العائلة ما لبث أن سقط بما كتب فيه المنتقدون وخصوصا مورجن العالم الأمريكي صاحب كتاب "نظام الإجتماع عند القدماء" فقد برهن مورجن أن الزواج الداخلي لا ينافي الأمومة.

وفي اعتقادنا أن تأكيد هؤلاء العلماء أن دور الأمومة هو المسيطر في المجتمعات القديمة ذلك أنه يعتبر دور طبيعي في تطور الجنس البشري، وهو سابق على دور الأبوة.

ويراد بدور الأمومة ذلك الدور الذي كانت الأم فيه رأس الأسرة وصاحبة الأمر والنفوذ فيها ويكون ذلك عادة في الأجيال الأولى قبل أن تستقر قواعد الزواج لأن الأب لم يكن دائم المقام في الأسرة وإنما هو يخرج إلى الصيد والحرب وقد يخرج ولا يعود فتقوم الأم بشؤون الأولاد.

فيرى العالم "لنتون" أن شعوب إفريقيا في العصور التاريخية أن نظام الانتساب الأصلي في المنطقة كان هو الانتساب إلى سلالة الأم.²

ويحدثنا الدكتور غوستاف لوبون عن المرأة البربرية فيقول: «المرأة البربرية على جانب عظيم من الحمية فهي تحارب أحيانا بجانب زوجها، فخلد "هوميروس" ذكراها

¹ جرجي زيدان : نفس المرجع السابق ص 252

² لنتون : شجرة الحضارة ص 107.

حين قص علينا تلك الملكة والنسوة المترجلات اللاتي فتحن لوبية وبعض آسيا الصغرى
«و من النساء البربريات من جلسن على عرش الملك»¹.

مما يوضح سيطرة المرأة في جميع الشؤون الاجتماعية والاقتصادية وحتى
السياسية.

وإذا انتقلنا إلى الثقافة الأموسية القديمة في البحر الأبيض المتوسط (المتوسطية)
فهي سارية المفعول إلى يومنا هذا وحتى في المناطق الهامشية.
ففي المغرب الأقصى بالرغم من النسق الأبوسي يوجد عشائر بحيث حقوق
وواجبات رب العائلة يمكن نقلها إلى الأرملة.²

وما يمكن قوله في الختام أن الأمومة سابقة في تاريخ العائلة للأبوة. فانتساب بعض
القبائل أو البطون أو العشائر إلى أمهاتهم، وتأنيث أسماء القبائل، واشتقاق لفظ الأمة من
الأم وإطلاق لفظ الخال على أهل الأم جميعا وامتلاك بعض النساء عصمتهن بالطلاق.
إذا فرضنا ثبوتها فهل يجوز اتخاذها دليلا على أن العرب مثلا كانوا ينتسبون إلى
أمهاتهم أو أن أساس العائلة عندهم هو المرأة؟؟؟.

الأمومة عند العرب:

إن مسألة الأمومة قد دونت فيها مجلدات كثيرة ذهب أكثر أصحابها إلى أن العائلة
القديمة ليس فيها أب معلوم بل ترأسها أم كثيرة الرجال.

¹ عبد الرحمن بن محمد الجليلي : تاريخ الجزائر العام. الجزء الأول ص 37.

² Ida Magli Et Ginevra Conti Odariso Matriarcat Et Pouvoir Des Femmes
: Presse Des Imprimeries Delmas 1983 P .122

وحق الأبوة أمر مستحدث إدخاله عند العرب لم يسبق عهد النبي صلى الله عليه

وسلم بكثير.¹

فإن أسماء القبائل ليست أسماء رجال قد عاشو كما يزعمون بل أكثرها يشبه المسمى طوتم عند الأمم المتوحشة أعني حيوانا ينتسبون إليه لجهلهم بترتيب الطبيعة (فالأبوة ضائعة).

وهاهي أعمال (مونكو مري وات) تدل أن آثار عديدة تدل على وجود صلات نسب من جهة الأم بين القبائل العربية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما أن بعض الحقائق التي توحى بأن النسب من جهة الأب حل محل هذا النسب، وعلى الرغم من أننا لا نعرف على وجه التحقيق مدى انتشار النسب من جهة الأم فما يبدو أن العلماء المتأخرين كانوا في بعض الحالات التي يسود فيها النسب من ناحية الأم، لا يجدون نسبا من ناحية الأب لفرد في جماعة فيحتجون لذلك بقولهم أنه لا بد أن يكون حليفان ولعل هذا يفسر كيف كان زعيم عشيرة زهرة في مكة حليفا الأخنس بن شريك.²

وما يمكن أن نستنتجه كيف يجوز ذلك وهذه إشعار العرب الجاهلية وأقوالهم وأمثالهم وأخبارهم شاهدة بمحافظتهم على النسب وعنايتهم بالرجوع إلى أجدادهم من قحطان وعدنان؟.

¹ جرجي زيدان : نفس المرجع السابق ص 236.

² مونكو مري وات : البدو : لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة (1) 1981 ص

والخلفاء يحرضون المسلمين على حفظ أنسابهم والتدقيق فيها ؟ ومن أقوال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل احدهم عن أصله قال: من قرية كذا."

والظاهر أن القائلين بالأمومة عند العرب نبههم إليها ما طالعوه في كتب السياح عن وجود زواج المشاركة عند بعض القبائل المتوحشة بين هنود أمريكا وأستراليا في بلاد التبت ونحوها، وأن العرب الجاهلية كان عندهم نوع من هذا الزواج فذهبوا على شيوعها قبل الإسلام.

وأدلتهم على النحو التالي:

1/ الإنتساب إلى الأمهات : كقولهم بنو خندق وبنو ظاعنة وكلاهما اسم امرأة نسبت القبيلة إليها.

2/ تأنيث أسماء القبائل: أي أن العرب تقول: جاءت مضر وسطى قيس الخ، ولا يقولون: جاء مضر وسطا قيس.

3/ التعبير عن القرابة بالبطن : يزعم أن تسمى القبيلة يؤيد اعتماد العرب على قرابة الأم والواقع أن البطن فرع من فروع القبلة على سبيل التشعب كالشجرة وإنما جعلوا أسمائها شبيهة بأسماء أجزاء البدن.¹

/ اشتقاق لفظ الأمة من الأم: وهو عنده دليلا على أن الأصل في النسب الأم، وخصوصا لأن الأم في العبرانية تدل على القبيلة أو الجماعة.

¹ جرجي زيدان : نفس المرجع ص 257.

5/ الخال والعم والكنة: إن لفظ "الخال" بالعربية لا يراد به أخو الأم على

الخصوص، ولكنه يطلق على كل رجل من أهلها وكذلك لفظ "العم" وأن هذه اللفظة أصل معناها "الشعب" ولفظ "الكنة" في العربية يراد به في اللغات السامية الكنة والزوجة على السواء فكان الرجل يتزوج كنته (أي امرأة ابنه أو امرأة أخيه).

6/ زواج المتعة: وهو الزواج الوقتي كان شائعاً عند ظهور الإسلام وهو يحسبه يؤيد رأيه في الأمومة.

7/ الواد: يرى "سميث روبرتسن" * أن الواد في الجاهلية قلة البنات. فكان يشترك عدة رجال في امرأة واحدة يستو لدونها ويكون الانتساب إليها.

8/ العصمة في يد المرأة: وقد اتخذ امتلاك بعض نساء الجاهلية عصمتهم في الزواج والطلاق دليلاً على سيادة الأمومة وإن المرأة هي رئيسة العائلة.¹

نقد الأدلة :

فبالنسبة إلى النقطة الأولى فالانتساب إلى الأمهات إلا بضعة قبائل قليلة . أما تأنيث القبائل قاعدة من قواعد اللغة وهو تقدير لفظ "القبيلة" قبل كل اسم، فقولنا مضر، يراد به "قبيلة مضر" في حين استخدام البطن للقبيلة أو بعض فروعها لا علاقة له بالأمومة، وإنما هو فرع من فروع النسب لما يقابله من أعضاء الجسد.

* مرجع الموسوم ب: الأنساب والزواج عند العرب الجاهلية.

¹ جرجي زيدان : نفس المرجع المجلد الثاني - ص 260

واشتقاق لفظ الأمة إنما هو من قبيل المجاز مما لا يخفى على العارف بأساليب اللغة العربية كقولهم: أم القرى، أم المدائن، أم الدنيا، قام كل شيء أصله وعماده، وكل شيء انضمت إليه أشياء فهو أم لها. أما فيما يخص عصمتها في يدها إلا في أحوال مخصوصة وحوادث نادرة.

فهل نجعل الشاذ قاعدة نبني عليه، والنادر قياسا نقيس به ؟

والثابت منذ قرون عديدة أن العرب وغيرهم من الشعوب السامية كان نظام الاجتماع عندهم كما هو الآن أي أن الرجل هو رأس العائلة وهو سيدها، ويؤيد ذلك لفظ "البعل" للزوج والسيد جميعا.

ناهيك بشهادة التوراة، فإنها مع تقدم عهدنا لم يرد في نص من نصوصها فقرة تشير إلى الأمومة أو تدل على سبيل النقد أو النهي أو الإصلاح.

ولا ورد شيء من ذلك في القرآن ولا شهود منقوشا على الآثار في مملكة من ممالك الشرق قديما ولا حديثا بل كل ما جاءنا من هذا السبيل يؤكد سيادة الأبوة عند الساميين.

ولو افترضنا حسب رأينا بوجودها لاقتضى أن يكون ذلك قبل أسفار موسى عليه السلام بمدة لا نعلم مقدارها لأن هذه الأسفار لما كتب لم يكن للأمومة أثر على الإطلاق.

وأكثر حجة من ذلك وبرهاننا منطقيا أن "شريعة حمو رابي" التي اكتشفوا نصها مؤخرا دونت نحو القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد وكل ما جاء فيها عن الزواج والطلاق يدل على نظام العائلة كان في عصر حمو رابي نحو ما هو عليه الآن:

"الرجل رب العائلة"

وعليه يمكن أن نستنتج في آخر هذه الانتقادات أن شيوع الأمومة في العرب الجاهلية لا يستطاع إثباته بالقرائن الضعيفة ، لأن اليقين لا يزال بالشك، إلا إذا جاز الاعتماد على الشاذ، والشاذ لا يقاس عليه وإغفال القواعد العامة. لأن وجودها على هذه الكيفية غير معقول، ولا يوافق قواعد العمران، ومن يطالع تاريخ الزواج من أول أحوال العمران إلى الآن لا يرى فيه إلا ما ينقض الأمومة.

وإذا كان كل ذلك مبني على استقراء ناقص فهل هو ينطبق على طوراق الهوقار؟؟

وهل الحق الأمومي حق تاريخي بالفعل ؟

هذا ما يتم توضيحه في المبحث الأخير؟

المبحث الثالث

نسق القرابة الأمومي عند طوراق الهوقار:

إن النظام العائلي المعتمد على الأم الذي تختص به المجتمعات الإفريقية على الأقل في أول الأمر، وذلك قبل أن تطرأ عليه تأثيرات جاءت من الإسلام ومن الحضارة الأوروبية وفرضت النظام الذي يعتمد على الأب .

ويبدو أن صلة الأمومية آتية من أعماق ما قبل التاريخ الإفريقي عندما أبرز الاستقرار الحاصل في العصر الحجري الجديد أهمية دور المرأة في بيتها إلى حد أن جعل منها العنصر المركزي في النظام الاجتماعي.

ومنذ فجر الوعي أن الأمومة كانت تعني ولادة طفل ولكن التعرف إلى أن الأم لا بد لها أن يكون له أب ليس أمر بدائيا. وفي البدء تسلط ظل الأم على الطفل، أما الأب فإما أنه لم يكن له وجود، أو أنه كان في أكثر الحالات شخصا صوريا. وقدرة الم كبيرة بالنسبة إلى أي ذكر يمكن أن يعايشها.¹

وروى "هيرودوس" على ما ذكر الكعاك - إن نظام الأمومة كان أيضا حالة من حالات المجتمع البربري تكون السلطة للأم، والأب غير معترف به شرعا والأبناء تابعون لخالهم في الميراث.²

¹ أرنو لد تويني: تاريخ البشرية : الجزء الأول ترجمة د. نقولا زيادة الأهلية للنشر والتوزيع بيروت - 1981 ص 283

² مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث : الشركة الوطنية - للنشر والتوزيع - الجزائر - 1976

وعلى هذه الرواية يكون البربر أسبق الأمم إلى الاعتراف بحرية المرأة، ويؤيدها

أن ابن خلدون ذكر قبائل منهم تنسب إلى أمهاتها.

فالقبايل البربرية بالفطر الجزائري متفرغة كما سبق الذكر في الفصل الأول. عن

ثلاثة شعوب عظيمة - صنهاجة - كتامة وزناتة.

و للعلم أن زناتة (إيزيناتين) ومعناها أبناء زناتة وهو اسم امرأة تدعى بناغزناتة.¹

وقد نشر "بومان" بحثا مهمة عن المظاهر المختلفة للحضارات الأفريقية التي

عرض فيها مراحل التطور التاريخي التي مرت بها الحضارات الأفريقية منها حضارة

البحر المتوسط القديمة.

فهي تشبه إلى حد كبير الحضارة السرتية - دخلت من البحر المتوسط إلى قسم

كبير من غربي السودان بين نهر السنغال وبحيرة تشاد: تتميز بالحق الأمومي الموجود

لدى البربر.

ويرجع هذا الحق من الوجهة التاريخية إلى الحضارة "الأيبرية الإيجية" في البحر

المتوسط.

وصل هذا الحق إلى السودان مع الفتح البربري إلى غربي السودان ثم انتقل إلى

ساحل الذهب وساحل العاج.

واختفى في معظم المناطق الشمالية ن وظل محافظا على نفسه بين قبائل

"الطوراق" و"البيجا" التي تعيش في مناطق نائية منعزلة.¹

¹ عبدالرحمن بن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام: الجزء الأول 41

و النساء بوجه عام عند الطوراق هن الحارسات الأمينات على وجود النشاط الفكري والفني في القبيلة. كانت النساء في العادة هن اللاتي يعرفن القراءة والكتابة وكن متعلمات، بعكس الرجال الذين كان من النادر أن نجد بينهم من يعرف القراءة وكان من بينهم الشعاعرات والموسيقيات اللاتي لهن شهرة بين مواطنيهم. فالرجال يمضون أوقاتهم في تربية الجمال.

فهل هذا يعني أن الانتساب يرجع إلى الفرع النسائي؟؟

في أقصى الجنوب؟؟

الظاهر أن طبيعة الحياة البدوية في الصحراء، هي التي أملت النظام الأموي الذي يعني سيادة الأم في الأسرة، عكس النظام الأبوي الدارج في مجتمعات الريف والحضر. فالرحلة بعيدا، سواء للرعي والسقي، وخاصة بالنسبة للجمال أو السفر مع قوافل التجارة يضع المرأة الباقية في الدار أمام مسؤولياتها، ليس في إدارة البيت وشؤون الصغار والمسنين فقط، بل وفي الدفاع إذا ما اضطرتها الظروف إلى ذلك. ولما كانت التفرقة * الأولية بين قيمة الرجل والمرأة قائمة على القوة الاقتصادية فإن تقسيم العمل في المجتمعات البدوية يظهر الأهمية النسبية الكبيرة للمرأة. فإذا كان الرجل هو راعي الجمل بالامتياز فإن المرأة هي راعية الغنم والماعز بالتخصص.

¹ عبد الجليل الطاهر: المجتمع الليبي: ص 87.

* انظر فيما سبق، عن قصة اللثام. ص

حقيقة أن بعض النساء قد وصلن إلى مركز الزعامة كالكاهنة قديماً: أو أن بعض عظماء الرجال من أهل الحرب والسياسة انتسبوا إلى أمهاتهم، كما هو معروف عند المرابطين، من ابن فاطمة وغانية أو فانو أيام بني تاشفين** بالمغرب إلا أنه لم ينبغ من نساء الملتزمين نابغة.¹

والمهم أن ذلك المجتمع "الأموي" الأفريقي، أي الذي يعتبر المرأة كعضو عامل في المجتمع ويحترم مشاعرها كانسان عاقل له حقوقه المساوية لحقوق الرجل بالرضا والاختيار، استوحى مبادئ حقوق الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة من مصر القديمة ووادي النيل. ومن هناك انتشرت إلى السودان النيل بين البجاه والزنج والحبشة، وإلى شمال أفريقيا من حيث انتشرت إلى الصحراوات الوسطى، وصارت من ثوابت العادات والتقاليد في الصحراء جنوباً، وفي السودان الغربي. وها هو ابن خلدون عند الكلام عن نسب صنهاجة ولمطة ينسبها كما هي العادة إلى أبوين أسطوريين، هما صنهاجة ولمط، ويجعلهما أخوين وينسبهما إلى أمهما - وليس على أبيهما - وهي "تكسي العرجاء" كما سبق ذكرها في بحثنا ويرى ابن خلدون أنها تزوجت بأكثر من رجل من البتر والبرانس، وأنجبت أكثر من ولد صار أباً تاريخياً لقبيلة من القبائل، الأمر الذي يعني استقرار مبدأ النظام الأموي الذي يعني "تفوق الأم في العائلة البربرية"

** يوسف بن تاشفين أمير لدولة العباد المرابطين، ينسب إلى العروق النبيلة من أحرار بني ورتانطق للمتولين، فهو

شريف من ناحية أمه الحرة: فاطمة بنت عم أبيه.

¹ د: سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي: الجزء الرابع.

حيث يمكن الانتساب إليها وبالتالي تقنين كل ما يترتب في ذلك من امتيازات قانون

الوراثة ، و حقوق النباله والشرف¹ .

ويدعى الطوارق بأن الأم هي التي تحمل أبنائها قبل الولادة لهذا فهم أبنائها وليس

أبناء أبيهم.

فإذا تزوجت المرأة من قبيلتها فأولادها يرجعون إلى نفس القبيلة، أما إذا كان

الزواج من خارج قبيلتها فالأولاد لها وليسوا لأبيهم أو لقبيلته ، وإذا توفي الزوج فإن

الأولاد وأمهم يرجعون إلى قبيلة الأم، وإذا ظل الأب على قيد الحياة ووقع انفصال بين

الزوجين فإن الأولاد يبقون مدة معينة معه ثم يعودون بعدها إلى قبيلة أمهم.²

وإذا نشب نزاع فعليهم أن يتركوا قبيلة أبيهم ويحاربوا مع قبيلة أمهم بل حتى ضد

أبيهم إذا اقتضى الأمر ذلك فالنسب للأم.³

ولتوضيح ذلك نضرب الأمثلة التالية:

1/ إذا تزوج رجل من "كيل تاديك" بامرأة من قبيلة شريفة من "كيل فيروان" فإن

الأطفال هم من "كيل فيروان" ويبقى الأولاد في رعاية أبيهم أو طلاق أمهم - بعدها

يرجعون على قبيلة أمهم.

¹ سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق ص 120.

² محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغير. ص 97.

³ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي ص 125.

2/ إذا تزوج رجل نبيل من "كيل تاديك" بامرأة من "أمراد" فإن الأطفال هم "أمراد"

من "كيل فيروان" .

3/ إذا تزوج رجل من امرأة رقيق من قبيلة أخرى فإن المرأة تصبح ملكا لقبيلة

زوجها وذلك بدفعه مهرا لها ويرجع الأطفال إلى أبيهم.

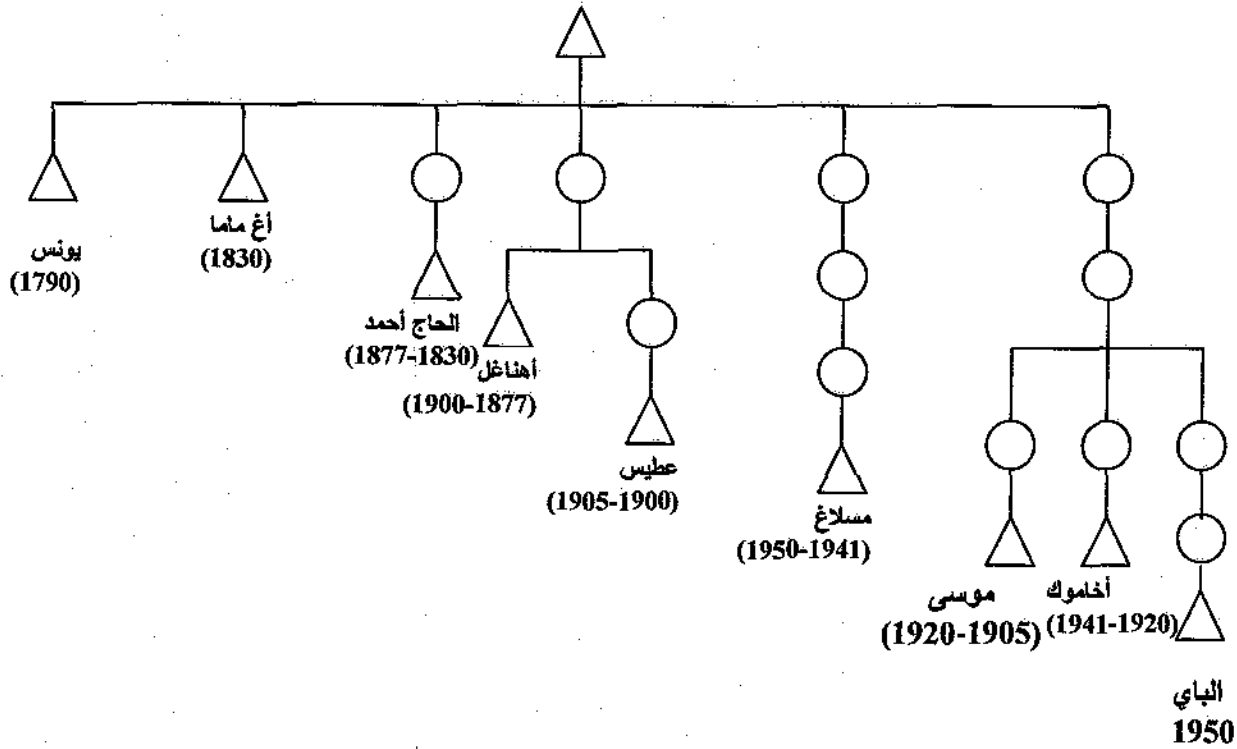
وعليه يحدد النسب إلى الأم المكانة التي يشغلها الأولاد ، فالنبيل هو الذي تلده أم

نبيلة بغض النظر عن طبقة الأب - وهذا هو السبب في المحافظة على العنصر. كما أن

قوانين الإرث تشير إلى قوة التقاليد الأمومية.

(أنظر مخطط العلاقات الأمومية).

سريدي



* يوضح هذا الخط العلاقات الأمومية *

حرية المرأة في النظام الأموي :

الظاهر أن النظام الأموي الذي كانت تعرفه كثير من قبائل الطوارق والذي يسمح بنوع من الحرية للمرأة البربرية كان سبب في ظهور أدب قصصي موضوعه العاطفة بين الرجل والمرأة من إنسانية رفيعة.¹

فأقد أساء عدد من الرحالة فهم معنى الحرية التي تتمتع بها المرأة الطارقية ، ضمن إطار الحياة الاجتماعية الطارقية وما رددته بعض الكتاب الأوروبيين من القول بأن المرأة الطارقية في الهوقار تهب نفسها للضيوف والأصدقاء قول لا أساس له من الصحة ، وهو من الأساطير الكثيرة التي سجلها بعض السياح الذين كانوا تحت تأثير الاعتقاد بأنهم وحدهم الذين عرفوا الهوقار وكتبوا عنه.²

فالدور الذي تلعبه المرأة الطارقية في المجتمع الطارقي أدبي بكثير من الأنثروبولوجيين القدامى والرحالة إلى إساءة فهم وتفسير معنى الحرية، وهذا ما أشار إليه "ابن بطوطة" بحيث اندهش من الحرية الممنوحة للنساء الطارقيات وكان ذلك نتيجة اعتماده على واقعة حدثت مع أحد أصدقائه وليس نتيجة اعتماده على واقعة حدثت مع أحد أصدقائه وليس نتيجة لتعدد ملاحظاته ثم خروجه بنتيجة عن هذه الظاهرة ،معناه اعتمد على استقراء ناقص وذلك عندما رأى زوجة صديقه إلى جانب رجل غريب فرد

¹ سعد زغلول عبد الحميد: نفس المرجع ص 128.

² إسماعيل العربي : الصحراء وشواطئها ص 177.

عليه صديقه: " بأن علاقات النساء بالرجال في بلادنا علاقات طيبة وسليمة، وإنها علاقات قديمة وشريفة وهي فوق مثار الشبهات".¹

في حين يرى "كلود بلونحرونون" أن الفكرة التي تقول بوجود ظاهرة الإباحة الجنسية ، عند الطوارق فكرة مضللة من الأساس لكون ان المرأة الطارقية متحكم فيها من طرف عائلتها، كما ان الإسلام سبق أن قضى شيئا فشيئا على نظام القرابة الأموي، بالإضافة إلى أن الرؤساء أنفسهم أصبحوا يوصون لأبنائهم بالمسؤولية من بعدهم .

ثم يحدثنا "هنر لوت" H Lhote الأنتروبولوجي الفرنسي الذي يقول "... من الصعب التأكد على وجود الإباحية الجنسية عند الطوارق لكون أنهم يولون أهمية كبيرة لسمعة نسائهم وطهارتهن".²

ونحن ندرك مدى بعد هذه الأقوال عن الحقيقة إذا عرفنا أن العرف المعمول به بين الطوارق يسمح للرجل الذي خانته زوجته بقتلها هي وصاحبها.

ولقد أساء أيضا عدد من الرحالة فهم معنى الحرية في العلاقات القائمة قبل الزواج بين الفتيان والفتيات على بعض المناسبات التي تسمح للشباب من الجنسين أن يتعرف على بعض.

¹ محمد السويدي : بدو الطوارق بين الثبات والتغير ص 94.

² محمد السويدي : بدو الطوارق بين الثبات والتغير ص 95.

يمكن تقسيم تلك المناسبات إلى قسمين:

1/ التندي: **Tendi** : تحدث "التندي" عادة بعد الظهر وتقام في مناسبات مختلفة

من أفراح الأسرة ،مثل تسمية المولود ان جمع الإيجارات والحصص من الفلاحين والمزارعين.

الأهل: **Ahal** : تقام ليلا وتكون نقطة الارتكاز الأساسية فيها سيدة تعزف

الموسيقى تنتمي إلى أسرة نبيلة، وتجلس السيدات على مقربة من خيمتها يلعبن "أمزاد" الذي يشبه "الكمنجة" يسمى عادة في المشرق "الربابة" انظر الصورة.¹



صورة رقم 26 رقصة شعبية مجهزة بأحسن الألبسة مصحوبة بموسيقى خاصة بالطوارق



صورة رقم 27 امرأة تعزف على آلة أمزاد تشبه آلة العود تعد من أجود الآلات الوترية عند الطوارق

¹عبدالجليل الطاهر : المجتمع الليبي ص 123.

يبدو أن الطوارق وحدهم في الحضارة الصحراوية هم الذين جعلوا مدى الحرية التي تتمتع بها المرأة واسعا وعريضا. يرث للطوارق الطبقة الوراثية التي عليها أمهاتهم ، بغض النظر عن الطبقة التي ينتمي إليها الرجل: إلا أن الرجل الذي يتزوج سيدة أعلى طبقة منه ، فإنه ينال مكانة أعلى .

بمعنى أن النساء الطارقيات يستطعن أن يتزوجن رجالا أقل منهن منزلة ولكنهن لا يفقدن شيئا من مكانتهن .

فما هي المكانة التي تحتلها المرأة الطارقية؟

منزلة المرأة عند الطوارق:

تتمتع المرأة الطارقية بمكانة اجتماعية ممتازة ، فهي قوية الشخصية ، موهوبة ، وذكوية ، وتساهم في الحياة العامة إسهاما مباشرا وكثيرا ما تؤخذ مشورتها في المجالس القبلية عند حل المنازعات ولها الحق في التملك ، وتستمر في إدارة أملاكها حتى بعد الزواج دون أن يتدخل الزوج في ذلك .

وعند وفاة المرأة تنتقل أملاكها وفق الشريعة الإسلامية حين ترحل القبيلة إلى مسافات بعيدة وتستقر في أراضي جديدة فإن القبيلة توزع تلك الأراضي على النساء اللواتي يترأسن أسرهن ، أو كما يدعوهم Duveyrier باسم "السيدات المتوليات شؤون إدارة الأراضي عند الطوارق"¹.

¹ عبد الجليل الطاهر ك المجتمع الليبي ص 119 .

تنظم المرأة الطارقية الشعر ولها أسلوبها الخاص في النظم والإلقاء والتعبير عن مشاعرها ، تختار الفتاة الطارقية زوجها و لا تتدخل أسرتها في ذلك.

وفي هذا المجال يذكر لنا الرحالة "ابن بطوطة " عند طوارق صنهاجة في جنوب "أيار" بخصوص المكانة التي تتمتع بها المرأة الطارقية قائلاً: "وهن أعظم شأنًا من الرجال ،وشان هؤلاء عجيب، وأمرهم غريب... ولا ينسب أحدهم إلى أبيه، بل ينتسب لخاله."¹

وتظهر المكانة عندما يتزوج الرجل سيدة أعلى طبقة من الطبقة الاجتماعية فإنه نال مكانة أعلى.

وإذا أراد أن يحافظ على مكانته الاجتماعية فعليه في هذه الحالة أن يتزوج إما سيدة من طبقته أو في مستواها وإما أعلى منها،فبالنسبة للزوجين أو بالنسبة للأطفال فالمعمول به عند الطوارق أن الزواج لا يترتب عليه استبدال الأسماء أو التنازل عنها من أحد الطرفين لكن الأطفال يحملون اسم أبيهم دون أمهم بدليل أن الطفل يرث المكانة القرابية التي كان يتمتع بها والده بعد وفاته ، وبنفس الوقت يتبنى نفس علاقاته المزاجية.

وقد حاول مفكرون كثيرون تفسير انتقال القرابة من أمية إلى أبوية للعلم انه في الشكل الأول كان سوريا فقط وذلك في ضوء اعتبارات كثيرة أهمها:

¹ ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار الجزء الثاني 1938 ص 295.

تعلم الإنسان الزراعة واستقرار في الأرض وبقاء الرجل بجانب زوجته وأولاده

¹ ظهوراً آثار التصنيع والتمدن الحضاري في إيجاد مناصب شغل - التطور الديني -

الاستقرار الأسري .

وعليه فإن النظام القرابي المتبع عند الطوارق هو قرابة أبوية وليست أمومية

ويعني هذا الاصطلاح إرجاع علاقة القرابة التي تقوم على أسس الدم أو المصاهرة إلى

جماعة الذكور في العائلة أو العشيرة أو القبيلة وذلك لأغراض اجتماعية معينة.²

ويعود من جديد ابن خلدون ليؤكد أن الجد المشترك بينهما هو "مازغ" ولهذا فإن

"مازغ" و"مدغس" مشتقان من أصل واحد هو "مزغ" ولعل اختيار "مازغ" الجد المشترك

يتماشى مع التقليد الأبوي الاجتماعي وهو النمط الحضاري الذي يميز الليبيين كافة من

ضمنهم الطوارق فهم أبناء "مازغ" ابن "كنعان" ابن "حام" فالأنساب إلى الأب واضح فيها.

وتبقى كل تلك المجادلات التي دونها وكتبها الرحالة والمؤلفون حول القرابة

الأمومية عند الطوارق تفتقر من الحجج المنطقية معظم الامتدادات مبينة على أساليب

المغالطة والجدل الوهمي.

¹ د/ مصطفى الخشاب ك دراسات في الإجماع العائلي دار النهضة العربية بيروت 1981 ص 55.

² معجم علم الاجتماع : ص 157.

خلاصة

إذا ما انطلقنا من التاريخ الحديث نجد أولاً اثر "الحضارة الأوروبية" التي قضت على بعض معالم الأنظمة القبلية القديمة مثل " الغزو" والحروب المستمرة بين القبائل وهذه حقيقة مرة يجب الإعتراف بها.

ويتجلى كذلك أثر الفتح الإسلامي خلال القرن السابع عشر والفتح الثاني الهلالي في القرن الحادي عشر وفيه اعتنق "سكان طوارق" الإسلام وأثره في كل نواحي الحياة وصار الانتساب إلى الأب هو القاعدة ودخل الإسلام في نظام الإرث وقام بدور كبير في تغيير الأنظمة السياسية والاجتماعية .

لا تزال مشكلة معرفة الأصول والجذور لحضارة الطوارق في أفريقيا الشمالية تتطلب أن نوسع آفاق إدراكنا في التاريخ ولكن المصادر غير متوفرة. وتتطلب أيضاً أن نوسع مفاهيمنا في علم اللغة والدلالة فلا جدال في أن الألسنيات تنتمي إلى العلوم المجتمعية فماذا تستطيع الألسنيات تقديمها للباحث الاجتماعي في دراسة مشكلات القرابة؟

يجيبنا كلود ليفي ستروس من الأكاديمية الفرنسية ويقول أن "الألسنيون وفقهاء اللغة

(شراذر، روز)¹.

¹ شراذر : الشعوب الأرية في العصور ما قبل التاريخية : بديهية الأمي في اليونان القديمة ، فولكور.

هم الذين بينوا أن الفرضية التي كان عدد من الباحثين الاجتماعيين لا يزالون يتمسكون بها في ذلك الحين والتي تقول بوجود مخلفات أمية النسب في العائلة القديمة، لا تتمتع بشيء يذكر من احتمالات الصحة".¹

والباحث الألسني يضع بمتناول الباحث اشتقاقات لغوية تمكنه من إنشاء روابط بين بعض مفردات القرابة لم تكن ملحوظة على نحو مباشر.

ففي المدة الأخيرة تصدى "يول بنديكنت" بوصفه باحثاً ألسنيا لسائيم القرابة* في آسيا الجنوبية وكان له أن يقدم مساهمة هامة في الاجتماعات العائلية في ذلك الجزء من العالم.

فيبقى الاجتهاد في الموضوع في الأبحاث القادمة بإذن الله.

الزواج الأحادي عند الطوراق:

ما يلاحظ أن طوراق الهقار ، أنهم لا يتزوجون إلا في سن متأخرة وإذا ما تمت المقارنة مع الشبان في الأرياف العربية فبالعكس من ذلك ، إذ من النادر أن يتزوج الطارقي قبل سن الثلاثين والمرأة قبل الخامسة والعشرين فإذا أراد الطارقي الزواج فهو يكلف عدداً من أفراد أسرته أو أقاربه للقيام بمهمة الخطبة (أبادراهن) وإذا كان والد

¹كلود ليفي ستروس : الإناسة البنائية : ترجمة : حسن قيسي المركز الثقافي العربي (ط1) 1995 ص 44.

* مجموعة من القواعد التي تحدد النسب ، والإرث ، والزواج والعلاقات الجنسية ، وإقامة الأفراد والجماعات ووصفهم

حسب روابط الصلاة الرحمة والتحالفات الزوجية.

العريس هو الخاطب فإنه يقول لوالد العروس: "إنني أريد خيمة وحصيرا لولدي".¹ والزواج يقع عادة - وليس دائما- في داخل العشيرة وفي الدرجة الثانية من القرابة ، وطفل الطوارق يرث الجاه والثروة عن طريق الأم، وذلك بغض النظر عما إذا كانت تنتمي إلى عشيرة أبيه أم لا.

ولكن الميراث عند الطوارق يجري حسب القواعد المتبعة في الشريعة الإسلامية.² وعليه يمكن أن نستنتج عند الطوارق وحدة اندوغاموية (ENDO GAMIE) أي أنها تتصاهر فيما بينها .

بمعنى أن الزواج يقتصر على أعضاء الجماعة في نمط زواج داخلي .

إلا أنه هناك شواهد كثيرة على الزواج من خارج إطار القبيلة.

تبدأ المفاوضات على المهر والهدايا حسب العرف المتبع في كل قبيلة فمثلا مهر

فتاة من "الكل غلا" النبيلة تتكون عادة من سبع نياق. وإذا كانت من "الداغ غالي"

(الإتباع) فمهرها ثلاث نياق. وإذا كانت من باقي قبائل الأمراد فمهرها ناقصة واحدة

وبعض الرؤوس من الشياه.

وهنا نستنتج أن المهر يختلف باختلاف مكانة المرأة الطارقية وما يلاحظ على

بعض العادات العربية والتي زالت بتغير المجتمع التقليدي.

¹ محمد السويدي: بدو الطوارق بين النبات والتغير ص 99.

² إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها (م.و.ك) 1983 ص 177.

والعرف والتقاليد تمنح العروس الحق بأن تحتفظ لنفسها بكل ما تملكه بما في ذلك الماشية، وذلك في الوقت الذي يتولى فيه الرجل جميع النفقات المنزلية وتكاليف حفلة الزواج.

على أن المرأة تستطيع المساهمة في هذه التكاليف والنفقات إن شاءت¹ وهذا كله يتفق مع أحكام لشريعة السمحاء.

أما ما يتعلق بمراسم الزواج فتتم في بيت أهل الزوجة لأن الزوجة تقيم على الأقل لمدة سنة على الأقل عند أسرتها باعداد جهازها. ثم يأتي الزوج ليأخذ زوجته إلى بيت الزوجية في حفلة خاصة لمدة أسبوع كامل والعرس يقام عند أهل العروسة .

يفسر الطوارق ضرورة وجود هذه المدة (من سنة إلى خمس سنوات) للتعرف بينهما، كما يلمسان في نفس الوقت مدى المسؤولية العائلية حتى لا يفكران في الانفصال والجنير بالذكر أن نسبة الطلاق عند الطوارق منخفضة وأن أهل العروسين لا يتدخلون في شؤون البيت الجديد تجنباً للذي يعتبرونه عاراً.²

أما في ما يخص السكن فإنه يقوم على قواعد أبوية وأمومية كما تبينه الأمثلة

التالية:

¹ إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها ص 178.

² عبد السلام بوشارب : الهقار أمجاد وأنجاد ص 82.

1/ يقيم الزوجان بعد إنتهاء احتفالات الزواج لمدة سنة واحدة في مخيم والدي الزوجة، فالزوج بوسعه أن يتردد على زوجته أما إقامته فتكون في مخيم والديه يقضي الزوجان هذه السنة في التحضير والإعداد.

2/ يقيم الزوجان بعد السنة الأولى في مخيم والدي الزوج ما دام هما على قيد

الحياة.

3/ بعد وفاة والد الزوج يستطيع الزوجان أن يلتحقا بمخيم أهل الزوجة .

4/ بعد وفاة الزوج تنتقل الأم وأطفالها إلى أهلها.¹

والنتيجة تكون العضوية في القبيلة مقررة حسب الخط الأمومي مع أننا لا نجازف

في القول فندعي أن أبناء القبيلة كلها قائم على الخط الأمومي.

فهذا لا يعني أبدا الانتساب إلى الأم، فقط سوء فهم هذه الإجراءات في الإقامة أو

الزواج مما أدى إلى تأويلات وتفسيرات باطلة لا أساس لها من الصحة والحقيقة.

وبكل هذه الشروط والمسؤوليات يتعذر على الزوج الزواج بامرأة ثانية، وإن كان

التعدد ظاهرة موجودة عند الطوارق ولكنه نادرا جدا.

وما يلاحظ أنهم بالرغم من إطلاعهم على إباحية تعدد الزوجات حسب ما نصت

عليه الشريعة الإسلامية، فإنه من الشروط قبل الزواج هو تجنب تعدد الزوجات هذا ما

هو موجود في أغلب الأحيان عند الأمازيغ.

¹عبدالجليل الطاهر : المجتمع الليبي : ص 135.

ولفهم المجتمع الطارقي يجب الأخذ بعين الاعتبار الزواج الأحادي بالرغم من أن الطوارق يعتبرون مسلمين تجاوزهم شعوب بنمط تعدد الزوجات إلا أنهم يطبقون أحادية الزواج.

هذا ما أذهل الكثير من الرحالة والباحثين في هذا المجتمع بحيث كانوا يظنون العكس من ذلك ، وهذا من خلال آثار الديانة المسيحية والفهم الخاطئ للنظام الاجتماعي عند الطوارق الذي يرتكز حسب مفهومهم على النمط الأموسي ، وفي هذا الموضوع يقول غويته F Gautier : " ان الطوارق يحترمون المرأة ، وهذا السلوك له جذور قديمة ، بحيث يرتبط بالنظام الأموسي".

ويضيف أيضا غويته أن كلمة أب لم يكن لها معنى بالنسبة للمرأة وبالتالي فالأطفال كانوا يجتمعون حول الأم فقط.¹

وتحدثنا كاترين بلفود : " Catherine Belvaude " أن الطوارق يعيشون حياة زوجية أحادية ، والمرأة تتمتع بحرية من نوع خاص ، هذا ما يوحي باستمرارية نمط الأسرة الأمومية.²

بدليل أن الخال ينوب في غياب الأب، بحيث تمثل المرأة في خيمتها الحكم المطلق والمنظم والحارسة للعادات والتقاليد.³

¹ Henri Lhote : Les Touareg Du Hoggar P .36.

² Catherine Belvaude : L'algerie Le Sahara E. Karthaba 1991 P .163

³ Jean Devos: Terre Impitoyable Et Pays De Rêves : P 41.

ويبقى التساؤل فهل أحادية الزواج يعني بالضرورة الانتساب إلى الأم وهل الأمم الغربية التي تمنع تعدد الزوجات يعود للنسب إلى الأمهات؟؟ أي منطق يقبل هذا الطرح؟؟ إذا عرفنا أن المبدأ في إفريقيا على وجه العموم يرتكز على أحادية النسب وفيه تنتقل القرابة بالنسبة للرجال من الأب إلى الابن أما ما يتعلق بالنساء فهي تنتقل من الأم إلى البنت.¹

مهما قيل فيبقى الرجل يحتفظ بزوجة واحدة في وقت واحد هو القاعدة بين الطوارق والطلاق قد يقع ولكن قد يقع ولكن الناس هناك يعتبرونه أبغض الحلال عند الله و على العكس ما زعمه بعض الكتاب أمثال "بلانخرنون".

والنتيجة أن الزواج الأحادي يبقى قاعدة عامة مقبولة لدى الجميع فالزوجة تفضل مغادرة زوجها عوض قبول منافسة لها.²

فحق المرأة في الزواج الأحادي يعني حريتها ومكانتها والتصرف في أملاكها الخاصة، قدرتها على طلب الطلاق، جعل منها المفضلة في إدارة شؤون البيت.³

فحتى الطبل Tobol ينتقل في الأسرة الطارقية من الأم إلى البنات.⁴

فهاهي شريعة حمو رابي؟

¹ Marc Augé : Les Domaines De La Parenté P 13. نفس المرجع السابق.

² Edmond Et Suzanne Bernus : Touaregs E: L'harmattan Paris 1983 P 39

³ H – Foley: Mœurs Et Médecine Des Touareg De L'Hoggar : Librairie Ernest Leroux. 1930 P 51

⁴ Claude Blanguernon Arthaud : Le Hoggar – S.N.E.D. 1976 P 56

على نظام الزوجة الواحدة في الحالات الطبيعية يمكن يمكن التجاوز عنه إذا ثبت عقم الزوجة.

ويقسم إرث الأب أو الأم بين الأولاد بالتساوي و لايفرق بين البنات والصبية.

ليست هذه هي الحضارة بعينها التي لا تختلف عن ثقافة الطوارق الضاربة في

جذورها على ما قبل التاريخ.

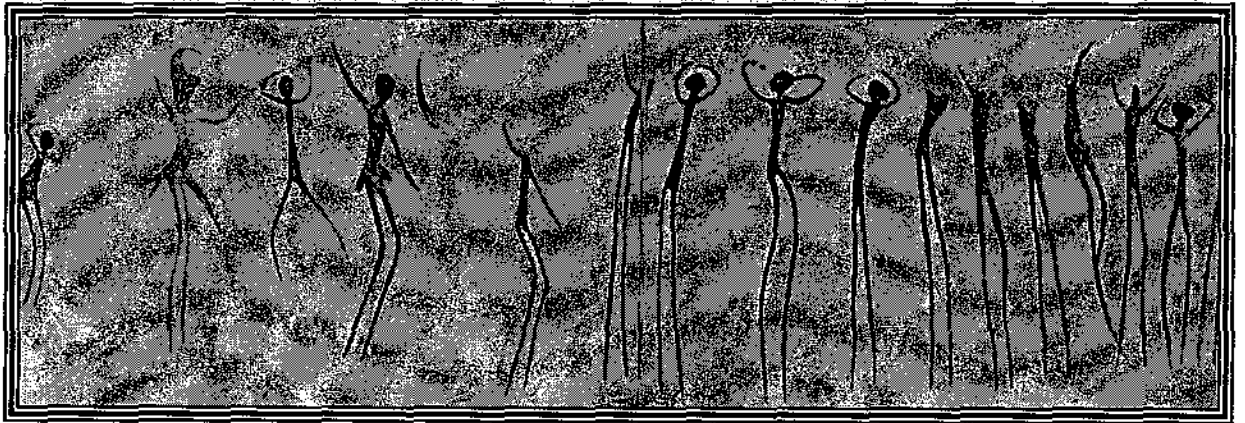
فأحد مظاهر الأناقة والأنوثة الموجودة في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة تفساست

بالبهوقار والتي يبدو فيها واضحا "رقصة الظلال" (أنظر الشكل) والظل قد لفت نظر

الإنسان منذ أقدم العصور ،ولعله شكل لعبة ظريفة مثلما هي الحال مع الأطفال على

اليوم حيث يعمد الصبية إلى الجري وراء ظلالهم أو أنهم يهربون في الاتجاه المعاكس

فتلاحقهم ظلالهم.



أحد مظاهر الأناقة والأنوثة في مشاهد الرسوم الصخرية يمثل رقصة لمنطقة تفساست بالبهوقار

والظلال يختلف حجمها طولاً وعرضاً وقصراً حسب اختلاف ساعات النهار، وكثير

ما يجتمع الصبية في مواجهة مرتفع أو جدار ترسم عليه ظلالهم ويؤيدون رقصاتهم

الطفولية فيكونون العرض والجمهور معا. أليست هذه هي بدايات المسرح حقا؟

الطبقات الاجتماعية عند الطوارق :

يتألف النظام الاجتماعي القبلي عند الطوارق من ثلاث طبقات أمامية تكاد أن تكون

مختلفة ووراثية لا يمكن تغييرها وهي:

1 طبقة النبلاء 2 طبقة الأتباع 3 طبقة العبيد

ومن الممكن تفصيل ذلك إلى مراتب الإجتماعية التالية:

1/ الهكاريون: أو "الهجاريون" ومفردها "اهجار" Ahaggar وهم أعلى الطبقات

الإجتماعية وأسمائها أي الطبقة النبيلة، والهجاريون هم طوارق الشمال .

2/ انسلمين: ومفردها "انسلم" وهي طبقة المرابطين (الدينية) .

3/ الشيخينين: ومفردها "الشيخ" وتعني رجل الدين أيضا .

4/ اريجناتين: ومفردها اريجنان" يشير إلى الطوارق الذين ينتسبون إلى إتحاد بين

نبيل من الطوارق وسيدة من التوابع.

5/ اسكيمارين : مفردها "أسكيمار" طبقة تتألف من فئتين شمالتين توجد بين كـيل

هقار" ترجع أنسابهم إلى القبائل العربية .

6/ أمراء: ومفردها "أمريد" وهم الأقنان أو العبيد.

7/ أكلان : ومفردها " أكلي" وهم العبيد الأرقاء من الزوج ،معظمهم من

السودان.*

8/ أزيغارين: مفردها "أزيغار" أي طبقة المزارعين من الزوج المعروفين عند

العرب باسم "الحراثين" .

9/ كيل جانت : ومفردها "جانت" وهم سكان واحة "جانية" في منطقة (التاسيلي

أجير) مكانتهم الاجتماعية تشبه مكانة العبيد المزارعين.

10/ أنيدن: ومفردها: "أنيد" وهم الحدادون الموجودون في كل فئات الطوارق.

وما يمكن أن تستنتجه أن النظام الطبقي عند الطوارق يكشف لنا عن تنظيم

اجتماعي خاص بالطوارق أنفسهم ولا نجد له مثيلا بين القبائل أنفسهم بين القبائل العربية

التي تسكن في شمال أفريقيا أو في الجزيرة العربية.

فالنبلاء الأشراف هم في قمة الهرم الاجتماعي بسبب نقاوة أنسابهم ،فهم الفرسان

المحاربون وتأتي بعد النبلاء طبقة الأتباع من حيث الاعتبار الاجتماعي حتى ولو كان

بعض الأتباع أكثر ثروة من النبلاء .

وفي قمة الهرم الاجتماعي يقف العبيد بكل أنواعهم والحدادون والفلاحون.

وهذا لا يختلف عن تقسيم أفلاطون للمجتمع.

* وقد تم القضاء على الرق بين الطوارق بصورة رسمية نتيجة لثورة الطوارق سنة 1916-1917 ضد الاستعمار

1/ الطبقة الذهبية

2/ الطبقة الفضية

3/ الطبقة النحاسية

إلا أن هذا التقسيم لم يعد اليوم معمول به إلا صوريا.

الفصل الثالث

الحراسة العقلية

تمهيد :

منذ المرحلة الأولى خطر لي انه لا يمكن فهم شيء من مشاكل الصحراء ووضعها الخاص دون محاولة التعرف عنها عن كتب ودون مخالطة سكانها والمداولة معهم لاستطلاع آرائهم. كنت اشعر بجاذبية لا تقاوم إلى الصحراء.

وهكذا قررت القيام بجولة استطلاعية إلى "تمراست" كان أمني من وراء هذه الرحلة أن استنطق العقول وأربط الحوار مع المثقفين والطبقة المستتيرة من السكان واكتشفت عادات وتقاليد لا أعرفها .

وباختصار أن أجمع انطباعات حية تكمل وثائقي، وهو بذلك أتمكن من تسجيل شهادة شخصية عما يعانیه هؤلاء السكان من آلام ومشاكل وما يخلج في نفوسهم من آمال للخروج من حالتهم التي فرضتها عليهم الطبيعة والتاريخ.

لقد كانت الصحراء في مختلف عهودها أرض الجفاف والحرمان وباستثناء القليل من التجار وشيوخ القبائل وأعوان السلطان كان سكانها يعيشون في شظف وتشف، ولكن حياتهم كانت دائما يسودها النبل تخضع لقواعد الشرف والعفة وتدين بمبدأ الكرم والسخاء وحسن استقبال الضيف.

لكن إذا استمر الإنزلاق بعيدا عن الضمير الإجتماعي وهن كل رقابة من الدين والقانون والعرف فإن الصحراء لن تلبث أن تصبح مزبلة ومستودعا لقاذورات الحضارة الحديثة، فإن كل ما يوجد في المدن الكبرى من الأوساخ والسموم وأنواع الشنوذ والانحراف، مضافا إليه نشاط التهريب والسوق السوداء.

وسواء نجحت مشروعات التنمية الاقتصادية والجهود التي تبذل لإنقاذ الصحراء من وهدة الفقر والجهل، أم فشلت، فهل لم يفت الأوان لإنقاذ الإنسان في الصحراء من نفسه؟؟

وإذا نحن لم نختر اللاشعور أو الاستلاب فإنه لن يكون بوسعنا أن نعيش بدون ذاكرة أو بذاكرة الغير والتاريخ ذاكرة الشعوب، وعودة الإنسان إلى نفسه قد تؤدي إلى تطهير النفس وتحريرها.

وللوصول إلى هذه الدرجة من الارتقاء النفسي لا بد أولاً أن تترتب مشروعية الشك والتشكيك في نتائج الأبحاث الأنثروبولوجية التي قام بها باحثون أجانب على مجتمعاتنا العربية وخاصة الإسلامية التي ظلت تمثل حقول التجارب المفضلة لديهم لأسباب عديدة.. دون أن يتوفروا على وسائل الاستخدام الفعالة لمناهج البحث التي تتطلبها الدراسة.

فضلاً عن انعدام الموضوعية والتجرد لدى الغالبية من هؤلاء الباحثين الذين يستهدفون دراسة شعوبنا بقصد إثبات أو نفي سمات معينة تخدم أهداف غير علمية تم تحديدها تحت غطاء البحث العلمي المجرد.

1/ تاريخ تمارست بعد الاحتلال الفرنسي:

تعتبر ولاية تمارست من بين أقدم ولايات الوطن فهي موغلة في القدم وقد اختلفت الآراء في أصل كلمة تمنغست فهناك من يرجعها إلى اسم لحشرة صغيرة استوطنت الواد

(وعلى الغالب خنفساء رقطاع) والبعض الآخر يرجعها إلى قبيلة إمنغاستن التي تعيش بالأهقار.

ومنهم من ينسبها إلى ملكة بربرية قديمة استوطنت المنطقة.¹ أي إلى امرأة شأوية أو عربية يرجع نسبها إلى قبيلة توجد حاليا في ليبيا وتحمل اسم "امنغست" كانت تامنراست هي قاعدة بلاد الطوارق وهي محاطة بقرى يسكنها الحراطين والسود الذين كان للطوارق يسخرونهم للخدمة يأفون من مباشرتها بأنفسهم كالحراثة والرعي وما إلى ذلك .

استولى الفرنسيون على ناحية تمنراست ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر ومن جملة من وصفها بعد الاحتلال الفرنسي مباشرة الراهب الأب "دوفوكو" الذي اختارها للإقامة من سنة 1905 إلى أن لقي حذفه بها في ديسمبر 1919 قال دوفوكو: "اخترت الإقامة بتمنراست التي وجدت فيها اثنين وعشرين كانونا" - أي أسرة - .

ثم قال: "موقعها في قلب جبل الهقار، منعزلة عن القرى الأهلة بالسكان، يلوح لي أن هذه اقرية ستبقى بعيدة عن العمران الأوروبي، لا تتخذ فيها قعدة عسكرية ولا محطة للبريد والمواصلات، كما لا تتخذها البعثات مقرا، ولهذه الأسباب اخترت هذا المقر المهجور، وألقيت فيه عصا التسيار"²

¹ Boubou Hama: Recherche Sur L'histoire Des Touaregs Sahariens Et Soudanais P.122.

² مجلة الأصالة مقال ل المهدي البوعبدلي ص 04 (مؤرخ جزائري)

2/ الموقع الجغرافي:

تقع تمنراست في أقصى الجنوب الجزائري يحدها من الشمال غرداية وورقلة ومن الشرق إليزي ومن الغرب ولاية أدرار ومن الجنوب مالي والنيجر.

تبعد عن الجزائر العاصمة ب 2000 كلم على ارتفاع 1400 وتتربع على مساحة 557.906,25 كلم² وعلى شريط حدودي ب 1200 كلم.

تتقسم إلى 7 دوائر و 10 بلديات وقد وصل عدد سكان الولاية 169.752 نسمة حسب إحصاء عام 2001.

على خلاف السنوات (1993-1994) بعدد 118000 بنسبة 0.21 نسمة في الكيلومتر مربع (كلم²).¹

إن كثافة السكان قد تضاعفت في عشرة سنوات (1977-1987) وتضاعفت أربع مرات في عشرين سنة (1977-1997) وبهذه النسبة من الزيادة ستتضاعف أكثر في عام 2010 لتصل على 300.000 نسمة .

أما فيما يخص نسبة البطالة فسجلت الإحصائيات نسبة (33%) أما ما يخص نسبة الأمية فسجلت (42.19%) وبهذا تحتل تمنراست المرتبة الثالثة على مستوى الوطن في

¹ Quide 2001: Dominique Et Michel Frémy Edition Robert Laffont P 936

عدد الأميين بعد ولاية الجلفة (51.09%) و تيسمست (42.54) ، للعلم أن النسبة المئوية على مستوى الوطن تقدر ب(30.08).¹

3/ السياحة بتمنراست:

تتميز تمنراست بجبال الأهقار حيث توجد بها أعلى قمة في الجزائر تهات 3003 م ، كذلك رمال التديكانت والشريط المشترك بين مالي والنيجر ، كما تتميز بمناظر سياحة خلابة وجميلة جدا و ثروات طبيعية مختلفة جعل سكان تمنراست وهم الإموهاغ² أبناء الأهقار يلفتون أنظار العالم.

فمنذ عام 1994 لم نر ولا طائرة تجول أجواء تمنراست فكان علينا انتظار سنة 2000 لتكون سنة بركة علينا يقول احد الطوارق صاحب وكالة سياحية بالمنطقة. فقد حطمت ولاية تمنراست الرقم القياسي في عدد الزوار والسياح فمدير السياحة للولاية و52 وكالة سفر المعتمدة بتمنراست تقول أن سنة 2000 سنة خير وبركة حيث بلغ عدد السواح المصرح بهم ب 3237 سائح.

الألمان يتصدرون القائمة ب 300 سائح ، فمنطقة الهقار سجلت عام 2000 عدد السواح 3237 في مقابل 12000 سنة 1994 و 15000 في عام 1992.³

¹ Rapport De Synthèse Des Actions Proposées Au F.S.D.R.S Par La Commission D'évaluation Et De Suivi De La Wilaya De Tamanrasset – Octobre 2000.

² معلومات من مقر الولاية بمدينة تمنراست.

³ Journal liberté 21 fevrier 2001 p 07

فالبرصة العالمية لبرلين بحيث كان هناك طلب للمنتوج الصحراوي تم تسجيله

وهذا ما أكده السيد غوتي M Ghouti (المدير العام للديوان الوطني للسياحة)¹

وبهذا يكون الديوان الوطني للسياحة o.n.a.t سجل أيضا حوال 10.000 محب

الطاسيلي في السنة.² فالبلد الذي لا يستقبل السواح كالبيت الذي لا يزوره الضيوف.

المعالم التاريخية:

إن وجود المعالم التاريخية بمنطقة الأهقار حديث العهد إذ عرفت المنطقة البناء

والتعمير قبل الاستعمار (قبل سنة 1902) حيث عرفت الأهقار حركة معمارية نشيطة

بفضل تطور العلاقات الاجتماعية والتجارية مع إقليم تديكليت وتوات.

أدى هذا الاستقرار إلى بناء المدن، القرى، القصبات والقصور.

فمثلا :

قصر موسى أق أمستان (تمنراست)

قصر الحاج أحمد البكري (تاظروك)

قصر باجودة (عين صالح)

قصبة تبت وسيلت

قصر العرب بعين صالح

قصر صورو (تاظروك).³

¹ Journal liberté 17 août 2001 p 02

² Journal liberté 22 août 2001 p 03

³ مقال من إعداد : مجاهد قدور وبسعد صبرينة. من ديوان حظيرة المقار الوطنية - قسم دراسة وحماية التراث

المبحث الأول

تسجيلات أعضاء المحادثة آراء الإخباريين:

إن السؤال البديهي الذي يواجه الباحث الأنثروبولوجي عندما يذهب إلى المجتمع

للبحث... مالذي يدرسه؟

إنه يدرس الإنسان من خلال الجماعة التي يعيش بداخلها. "فالباحث الأنثروبولوجي

لايهتم بصورة عامة بالفعل السلوكي للفرد الذي يطلق عليه خصوصية البنية المزاجية

ولكنه يدرس سلوك الأفراد في تأثره بالبيئة الاجتماعية والثقافية."¹

فيعتبر العالم الأنثروبولوجي "برونسوما لينوفسكي" (1884-1942) أول من

وضع اسس وقواعد الدراسة العقلية ومتطلباتها وذلك في كتابه المسهور "بحارة غرب

المحيط الهادي الجسورون" والذي نشره عام 1922²

ومنذ أن نشر أساسيات منهج الدراسة العقلية أصبحت بالنسبة لكل باحث

أنثروبولوجي القواعد الأساسية التي يستخدمها في إجراء الدراسة العقلية فالباحث

الأنثروبولوجي يعيش في مجتمع البحث بين أناس غرباء عنه، وفي مناخ اجتماعي تسوده

أنماط سلوكية قد تبدو شاذة ويقتضي منه أن يتقبل ذلك لكي يفهم ثقافات هذه المجتمعات

أو على الأقل يواجه طرق حياتهم حتى تستطيع ان يتعرف على التفاصيل الدقيقة التي

تسود انماط حياتهم.

¹ محمد حسن غامري: طريقة الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية المكتب الجامعي الحديث محطة الرمل الأسكندرية 1989

ص 03.

² د: محمد حسن غامري: نفس المرجع ص 01.

إن البحث الإجتماعي أولاً وقبل كل شيء طريقة في التفكير وأسلوباً للنظر إلى الوقائع. فالأرقام لا تتحدث عن نفسها وإنما هي أمور معقدة للغاية وغامضة، و في حاجة إلى تفسير وتحليل.

فالباحث الأنثروبولوجي لا ينظر إلى حقائقه باعتبارها ظواهر منفصلة أو منعزلة وإنما ينظر إليها على أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع بعضها البعض.

وهذا ما عبر عنه كون Cohen قائلاً: "إن الحقائق لا يمكن أن تكون مفهومة أو واضحة إلا إذا ربطت بحقائق أخرى وأوضحت على أنها جانب من نسق أكبر" وما نبه إليه أيضاً بافلوف قائلاً: "لا تجتمع الحقائق لمجرد جمعها وإنما حاول أن تتعمق سر حدوثها وعلاقتها المتبادلة".¹

ويرتبط مصطلح "البحث الحقلّي" أساساً بأداة بحث معينة هي "الملاحظة المشاركة" التي تستخدم استخداماً رئيسياً في البحوث الأنثروبولوجية الثقافية والاجتماعية.

فطريقة الملاحظة المشاركة أصبحت تشكل لب المنهج الأنثروبولوجي في الدراسة الحقلية إذ تقتضي من الباحث أن يقيم فترة كافية من الزمان في المجتمع محل الدراسة² ويحتاج الباحث الأنثروبولوجي بجانب قيامه بالملاحظة للمشاركة إلى مصادر أخرى يجمع منها مادته الميدانية ويعتبر أعضاء المجتمع الذي يدرسه الباحث من أهم المصادر

¹ علي عبدالزاق جلبي: تصميم البحث الاجتماعي - الأسس والاستراتيجيات - دار المعرفة الجامعية الأسكندرية

² محمد علي محمد: مقدمة في البحث الاجتماعي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1983 ص 261.

التي يحصل منها المعلومات التي يرتبط بمجال البحث. ويختار الباحث من أعضاء المجتمع أشخاصا يطلق عليهم "الإخباريون" ويشترط في اختيارهم رغبتهم في التعاون معه وتعتبر العلاقة الوثيقة التي يكونها الباحث مع الإخباريين جانب هام في العمل الميداني لأنه من الصعب إجراء بحث عن مجتمع ما دون جمع المادة الميدانية من أعضاء المجتمع ويؤكد "شاجنون" Chagnon على ضرورة أهمية الثقة في الإخباريين فالباحث الأنثروبولوجي عند دراسته لتقافة المجتمع لا يستطيع أن يحكم على مدى صدق المعلومات التي تعطى له.¹

فالعامل ليس بالهين إذ يوضح "بودر ماكر" Poudr Maker أن بعض المجتمعات يصعب فيها تكوين روابط صداقة لأن أعضاء المجتمع يفرضون حصارا قويا على أي شخص غريب يدخل المجتمع.

و لأجل كل هذه الأسباب حرصنا منذ اللحظة الأولى التي دخلنا فيها مجتمع البحث على تكوين علاقات طيبة مع أعضاء مجتمع البحث بعدما تحصلنا على موافقة جهات الاختصاص بإجراء الدراسة.

فاستعنت في دراستي الحقلية بعدد من الأشخاص الذي يشتغلون بمراكز ومناصب أساسية في مختلف البناء الاجتماعي، لكون أن هؤلاء الإخباريين يملكون معرفة تفصيلية بالثقافة والأوضاع السائدة.

¹ محمد حسن غامري نفس المرجع السابق ص 49.

وذلك بإجراء جلسات الملاحظة والمحادثة التي جمعت فيها أكبر قدر ممكن من الحقائق مع تسجيلها وتدوينها وفي بعض الأحيان عندما تواجهني صعوبات ميدانية ألتجأ إلى "منهج الفهم الذاتي" لتفسير المعلومات.

وبالتالي كانت طريقة البحث على النحو الآتي:

1 جمع أكبر قدر ممكن من الحقائق .

2 التسجيل والتدوين.

3 تفسير المعلومات.

وتبقى كل هذه الحقائق لا يمكن أن تكون مفهومة وواضحة إلا إذا ربطت بحقائق أخرى وأوضحت على أنها جانب من نسق أكبر.

وهذا ما حاولنا الوصول إليه بإجراء مقابلات مع أعضاء المحادثة.

إلا أنه تبقى المشكلة المنهجية الرئيسية في وجود فروق بين الواقع الطبيعي والواقع

الاجتماعي.

والعمل ليس بالسهل علينا إلا بمعاناة وتفهم الأوضاع فبعد ان تم اختيار المكان ،

اليوم ، التوقيت والمركز الاجتماعي للمحدثين.

ثم طرح الإشكالية الكبرى للمحادثة:

ما هو سر انتساب الطوارق إلى النظام الأموسي ، وهل هو موجود بالفعل؟

يحدثنا العضو الأول في المحادثة أويرى:

إن التراث الأمازيغي للطوارق لم يدون من طرف أيادي جزائرية ما عدا ما كتبه ابن خلدون أو بعض الرحالة العرب أو الأوروبيون .

وأي أجنبي يزور المنطقة يأتي بخلفية المجتمع الذي كان ينتمي إليه (الخلفية الثقافية) فالنظرة إلى المجتمع يجب أن تكن انطلاقاً من المجتمع الجديد.

أما فيما يخص النسب الأموسي فهو راجع إلى طبيعة البنية الاجتماعية التي سادت القبائل الأمازيغية قبل ظهور الإسلام.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فيما يتعلق مثلاً بإرث العائلة فهو لا يخرج من الأسرة فيبقى لتحتفظ به البنات بمعنى ترثها البنت "فالطبل" المعروف لدى الأمينوكال* لا بد أن تأخذه من جانب أمك ، فنسب المرأة النبيل هو الذي يعطي للرجل قيمة أكثر.

للعلم أن أسس التربية يعود إلى دور الأم فهي التي تعلم الأطفال لغة التيفيناغ بنسبة 85 % على خلاف الرجل المنشغل بالترحال والبحث عن الكلاً وهي ربة البيت وملكته ، ومثله الأعلى لأنها رمز الجمال العفة والشرف فلا يتقبل منها المجتمع الوقوع في الخطأ ، فكلمتها مسموعة ومطبقة.

¹ السيد حمزة محمد : أستاذ اللغة الأمازيغية باكمالية ابن باديس تمارست يوم السبت 2002/03/29 على الساعة

وإذا عالجتنا الموضوع من زاوية أخرى نلاحظ ان رجولة التارقي تكمن في عدم ضرب زوجته أو أخته لأنه من يفعل ذلك فهو ناقص الرجولة إذ يعاقب من طرف العائلة أو القبيلة.

إلى جانب شعور الرجل بما تعانيه المرأة أو الزوجة خاصة من وجع وألم ومعاناة يتبادل هذا الشعور الأنثوي.

إلا أن المرأة الطارقية من كثرة احترامها وقداستها لزوجها لا تخبره عن نقاط ضعفها بدليل عندما يقترب موعد الولادة تنفرد لوحدها لكي لا تزعجه ولا تحسه بألمها عرفانا لاحترامها لها .

وإذا انطلقنا إلى المرأة الطارقية "بجانت" فإنها ما زالت حتى يومنا هذا تعمل في الحقل وهذا بمنطقة "تزرورت" مما يشير إلى مكانتها بجوار الرجل ومساعدته له.

أما ما يقال عن "حفلات الأهل" الذي سبق أن ذكرناها في البحث السابق ما هي إلا امتحان صعب للرجل يجب عليه أن يضع كلامه في ميزان راق بكلمات معبرة عن العفة والشرف ،فكلما كان الكلام عذب وطيب وبأسلوب أنيق كان الرجل أكثر انجذابا نحو المرأة التي تختاره .

ففكرة الرجولة لا تكمن في القوة البدنية أو الخشونة اللفظية فيكون بذلك "أنبايو" شخص غير لطيف ولكي لا يكون الرجل "أنبايو" يجب أن يملك فصاحة اللسان في تلك الجلسات التي لا تختلف عن الجلسات الأدبية لمي زيادة" أين يقال فيها الأحكام والأشعار والأمثال.

وهذا كله يبرز قوة وثقة المرأة أكثر بنفسها أمام الرجل حتى أمام الأجانب فتتقني كل الاحترام والتقدير.

فكل ما كان يقال عن هذه اللقاءات "الآهال" يقال من طرف الرحالة والمغامرون الأجانب الذين انطلقوا من الواقع الغربي وليس من واقع المجتمع الصحراوي. فعموما هذا الانتماء إلى السلف الأموسي ما هو إلا انتماء شكلي فقط وليس قانوني أو شرعي.

فما من أمة إلا مرت به في العصور الأولى من تاريخ البشر.

ظاهرة تعدد الزوجات:

تعتبر ظاهرة تعدد الزوجات نادرة عند الطوارق والزواج الأحادي هو الغالب وذلك لأسباب منها احترام الطارقي لزوجته، نظرا لمكانتها في العائلة وما تؤديه من أدوار بارغم من التنقل والترحال الدائمين له.

بالإضافة إلى صعوبة الحياة وما ينجر عنها من مسؤوليات لدى الزوج إلى جانب أن المرأة الطارقية تتصف بصفة الكبرياء مما يجعلها ترفض منافسة لها.

إلا أننا بالرغم من ذلك نلمس أن ما يسود في العائلة الطارقية بين الزوجين علاقة احترام متبادل وهذا ما يساهم في تلاحم هذه الأسرة وعدم التفكير في الزواج ثانية.

ظاهرة العائلة النووية والعائلة الكبيرة:

فالشيء المعتاد والشائع عند الطوارق هو العيش في أحضان القبيلة أو العشيرة التي ينتمي إليها فالرجل بعد زواجه كثيرا ما يعيش مع أمه وأبيه وإن كان لا يشاركونهم نفس

الخيمة أي أنه يشيد له خيمة بالقرب من والديه وهذا أيضا نظرا لما تتطلب له حياة البداوة والترحال.

فالزوجة تحتاج إلى مساعدة عندما يغيب الزوج فوجود عائلة للزوج بجوارها يحسها بالأمان.

بعض المصطلحات القرابية عند طوارق الهوقار:

تعد القرابة نظاما اجتماعيا فائق الأهمية عند كثير من الشعوب، وتعتبر مصطلحات القرابة هي أساليب التخاطب العارية بين الناس. بل أنه حتى الأعراب الذين تستضيفهم إحدى القبائل يخاطبون كنوع من أنواع المجاملة بأحد مصطلحات القرابة المناسبة.

فيتخاطب الباحث مع الإخباري ويناديه بالمصطلح المتداول في عينة البحث.¹ فإذا استطاع الباحث الأنثروبولوجي أن يتعرف على المصطلحات القرابية لشعب معين ، فإنه يصبح على مقدرة على توقع تصرفات أفرادها كما يستطيع أن يشارك في فهم في أنماطهم السلوكية .

والتدريب على استخدام مصطلحات القرابة وألقاب المناداة يبدأ مع الميلاد. ولعل أول انطباع يتكون لدينا حين نقوم بدراسة نسق القرابة في مجتمع معين يتمثل في اقتناعنا بأن الناس يعرفون مجموعة لا نهاية لها من العلاقات القرابية في نفس الوقت

¹ د : محمد الجوهري : الأنثروبولوجيا: أسس نظرية وتطبيقات عملية - دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ص

الذي نجد فيه أن الناس يختارون من بين تلك الاحتمالات المنطقية لارتباطهم بالآخرين
لرابطة القرابة الذين يتعاملون معهم في حياتهم اليومية على هذا الأساس.¹

ومصطلحات القرابة متعددة لأن للمجتمعات تختلف كثيرا في بنائها الاجتماعي

، ولكنها في مجموعها تنقسم إلى نوعين رئيسيين هما:

1 مصطلحات القرابة التصنيفية أو الطبقية:

وهي التي تصنف المجموعة المحلية إلى طبقات عمر ، وبذلك يصبح هناك طبقة

الأجداد وطبقة الآباء وطبقة الأبناء وطبقة الأحفاد. وكل فرد في طبقة معينة يصبح اخا

أو أبا أو جدا أو ... الخ.

2 مصطلحات القرابة الوصفية:

وهي التي تصف العلاقة الحقيقية للقرابة بحيث يصبح لكل شخص مصطلح معين

كالأب والعم والجد والأم والخال والخالة وابن الخال... الخ.²

ونفهم من هذا أن مصطلحات القرابة تقوم عند المجتمعات المختلفة على الأسس

التالية:

¹ محمد عبده محجول: طرق البحث الأنثروبولوجي النسق القرابي - دار المعرفة الجامعية 1985 ص 81.

² محمد رياض: الإنسان - دراسة في النوع والحضارة - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - ط (2) 1974

مبدأ الأجيال.

الجد والجدة

الوالدان وأخواتهم

جيل الأنا الأخوة والأخوات.

الأبناء وأبناء العمومة والخوالة

الأحفاد

فمثلا نجد أن معظم شعوب أوروبا وأمريكا وأستراليا لا يقيمون وزنا كبيرا لهذه المفاضلة ويعتبرون الأب والأم في درجة قرابة تكاد تكون متعادلة.

وليس أبلغ في الدلالة على هذه المساواة من أنهم يستعملون ألفاظا واحدة للدلالة

على العمومة و الخوالة وأولاد العمومة و الخوالة.¹

فلفظ Uncle يطلق على العم والخال وزوج العممة والخالدة.

ولفظ Aunt يطلق على العممة والخالدة وزوجة العم والخال.

ولفظ Cousin يطلق على ابن أو بنت العم والخال والعممة والخالدة.

وهكذا بصدد الألفاظ الفرنسية Tante -Cousine- Oncle:

أما حين يتحدث الطوارق فالأمر مختلف ومتنوع فهم يقسمون الروابط القرابية إلى

ثلاث فئات:

¹مصطفى الخشاب -دراسات في الاجتماع العائلي. دار النهضة العربية -بيروت -1981 ص56.

1/ الظهر: aruri للدلالة على الأقارب المنحدرين من أسرة الأب أي الفئات

الأبوية.

2/ البطن: tesa للدلالة على الأقارب المنتسبين إلى أسرة الأم أي الفئات

الأمومية.

3/ الجنب: tégeche أي القسم المحصور بين العجز والقسم الأسفل من الصدر

وهم الأشخاص المنحدرين من الأخوات وغيرهن من النساء _ الخط الأمومي وبالتالي

يستخدم الطوارق على أقرباء الأم ب"حما" hama فلا تعني كلمة القبيلة عند الطوارق

على معنى واحدا فقد تسمى بعض القبائل باسم الأم أو الجدة kel kella أي للناس

المنحدرون من نفس المرأة kella بينما تنتسب قبائل أخرى إلى الرجل أو الأخت .

أما فيما يخص الزوج باسم "أمغار" وتعني "الرجل الكبير" احتراماً وتقديراً له.

وبعد أن يرزق ابناً فإنها تدعوه باسم ابنه مثل "أبو محمد" ومن المثال الأخير

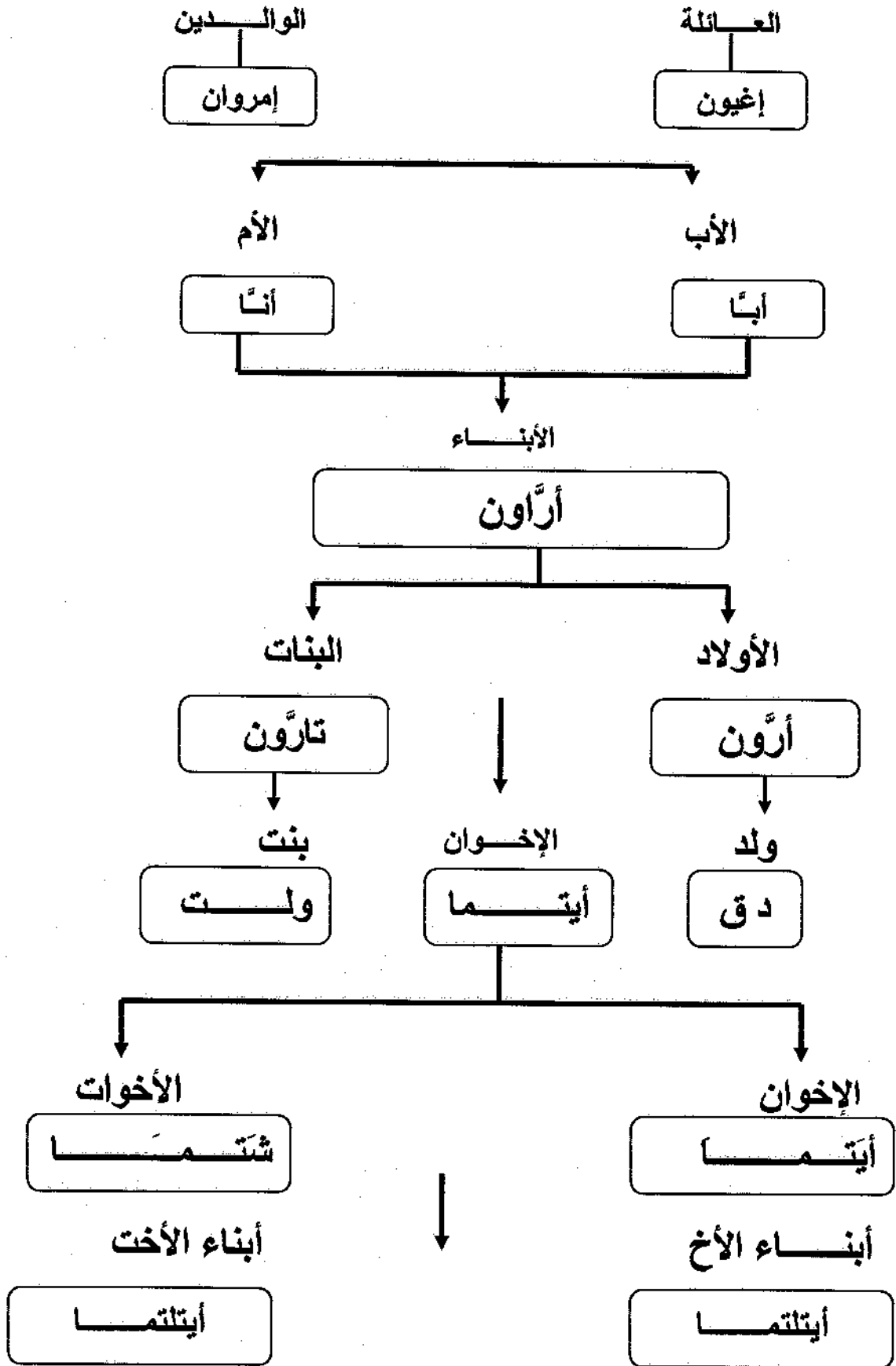
نستنتج أن الابن يعود نسبه إلى أبيه وليس إلى أمه ولا وجود لنظام أموسي بسبب أن ما

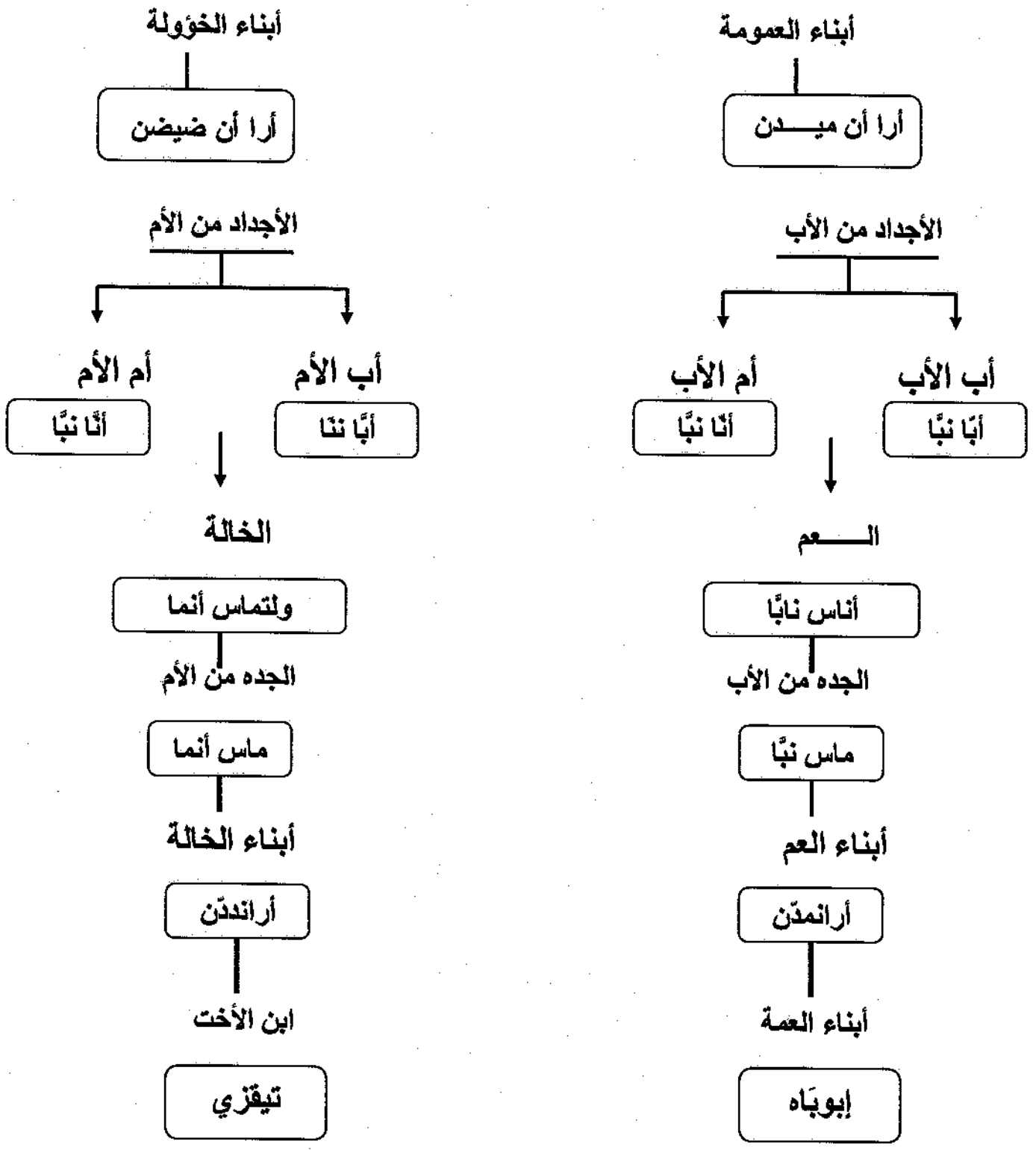
العادة في القبائل المناداة "أبوفلان" هي عادة تقليدية عند القبائل العربية أيضاً، لا زالت

تستعمل في العراق والكويت وبعض أبناء من شبه الجزيرة العربية.

وإليك الآن بعض ألقاب المناداة بلغة التيفناغ عند طوارق الهوقار:¹

¹ الأستاذ حمزة محمد : نفس العضو الأول من المحادثة .





ملاحظة : يسمى الخال "أنيب ما" وكل الأقارب من خط الأم وعليه فإن لغة التيفيناغ غنية جدا وخير دليل على ذلك مصطلحات القرابة التي اكتشفناها خلال دراستنا الميدانية وإذا ما تم التعرف عليها بشكل أكثر دقة وتعمقا سنكشف عن أسرار لغة من أقدم

لغات العالم الشيء الذي لا نجده في اللغات الحية وقد سبق أن اشرنا إلى لفظ " oncle " الذي له نفس الدلالة اللغوية لعدد كبير من الأفراد.

2/ أما العضو الثاني في المحادثة يحدثنا:¹

إن تاريخ "تين هينان" ربة البيت تاريخ مجهول فلم يصلنا من التراث الشفوي إلا الأساطير أما ما تم تدوينه فهو قليل جدا. لذا علينا الإفادة بمعلومات أكثر بما ورد عند بعض الكتاب والمؤلفين.

أما فيما يخص استقبال المرأة الطارئة للضيوف عندما يكون الزوج مهاجرا فهذا من عادات حسن وكرم الضيافة عند الطوارق ،فالأم هي ربة البيت ولها كل المسؤولية والثقة من طرف زوجها إذ يكفل لها كل الحقوق والواجبات وإن دل على شيء إنما دل على علو مركز المرأة وليس لشيء آخر كما يظن بعض الرحالة والكتاب.

أما ظاهرة تعدد الزوجات فهي نادرة فنسبة 90 % هو زواج أحادي ويبقى دائما التقدير للزوجة الواحدة.

¹ السيد أفرواق عبد الله : رئيس المجلس الشعبي البلدي لبلدية أباليسة سوم الأحد 2002/03/30 على الساعة

3/ العضو الثالث في المحادثة يطلعنا على ما يلي:¹

ظاهرة تعدد الزوجات :

تكاد تكون نادرة فإذا تم ذلك فالمرأة الطارقية تطالب بالطلاق فهو ليس عار.

وما يقال عن لقاءات الأهل فهي لقاءات جماعية و ليست ثنائية لتفادي الخلوة بين

الرجل والمرأة ،مما يدل على احترامها وتقديرها.

و إن فكرة الانتساب إلى الأم جاءت من الحضارة الفرعونية وما قبل الإسلام، وما

يقال عن تين هينان" أنها جاءت من هذه الحضارة بدليل أن طريقة الدفن غير الطريقة

الإسلامية. وأن هذه الفكرة روجها المغامرون الأوروبيون الذين زاروا المنطقة في

الخمسينات بحيث لا يوجد انتساب أموسي يثبت ذلك.

وإن الرجل الطارقي المنتمي إلى طبقة النبلاء إذا ما تزوج من طبقة العبيد فإن

أولاده يعتبرون أسياد فيثبت الابن بالانتساب إلى أبيه رغم انحدار الأم من طبقة العبيد.

أما فيما يخص الميراث فالمرأة لها الحق في ذلك حسب الشريعة الإسلامية.

أما آراء "ابن بطوطة" على أن المرأة الطارقية تتمتع بحرية مطلقة فنقول أن ما

يلاحظ عن ابن بطوطة قد جاء من مجتمع جد محافظ فاستغرب في التقفح الموجود في

المنطقة.

¹ الباحث بن بلال محمد : مهتم بالدراسات التاريخية والاجتماعية الخاصة بمنطقة الأهقار ومتخصص بالدراسات

فتبقى الذهنيات ويبقى الفهم يختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى آخر.

والأمر مرتبط بطريقة التفكير والحياة.

وفي محادثة أخرى يكتب الأستاذ الباحث بن بلال محمد مقال في مجلة الشعب¹

المقال التالي:

"مرة أخرى يحاول الصحفيين خلط المفاهيم لإثارة البلبلة في صفوف الرأي العام

الدولي وأن الجزائر إضافة إلى ما عانته من ويلات الإرهاب هي دولة مشتتة هشة يسهل

ابتلاعها." ويأتي هذا الكلام من بعض الصحف العربية للأسف وآخر مقال صب في هذا

الموضوع من جريدة "أفيان" الكويتية للصحفي "يوسف عبد الرحمان" نصها: "قبائل

الطوارق نساؤهم سافرات ورجالهم محجبون".

فيجيب ويقول في مقال يرد فيه: قبل كل شيء أود أن أصحح لهذا الكاتب أن

معنى سافرات لا ينطبق على التارقيات، وكلمة رجالهم محجبون، الرجل لا يلبس

الحجاب إلا من كان يضع على عقله وفكره حجاباً.

...فلباس المرأة التارقية كما هو معروف ومشاهد من القدم (التسغناس) هو شبيه

بلباس المرأة في الهند وباكستان والسودان فكيف يمكن وصف نساء الطوارق بأنهن

سافرات: أما وصفه للرجال بأنهم محجبون فهذه مغالطة كبيرة فهم ملتثمون واللثام الذي

يرتديه الطارقي هو لباس وقائي ضد رياح الصحراء وزوابعها الرملية وحماية الرأس

من حرارة الشمس.

¹ جريدة الشعب الصادرة في 19 سبتمبر 1998 عدد 11721 الموافق لـ 28 جمادى الأولى 1419 هـ

وليس هناك أشد حرصا على الإسلام والتمسك به مثل الطوارق واعتزازهم باللغة فهذا الشيخ "أمود بن مختار" زعيم منطقة الطاسيلي يقول: "لن أضع يدي في يد الكفار لأنني أقسمت بالله ألا أنظر إليهم إلا بالقتال".

ويسجل التاريخ أيضا موقف الأمينوكال ب"اهيتاغل أق محمد بسكة" الذي تمنى على الله ألا يرى وجه المستعمر الفرنسي، فحقق الله له ما تمناه فتوفي قبل دخول المستعمر أرض الهوقار.

نحن نعلم أن الدعاية هي محاولة التأثير في الأفراد والسيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها .

ومن المغالطات الكبرى أيضا والتي جاءت في المقال المذكور قوله: " لا توجد لهم مساجد ثابتة عدا أكواخ من القش وسعف النخيل." ليعلم صاحب المقال الجاهل لتاريخ الجزائر أن عدد المساجد في بلاد الطوارق جنوب الجزائر يزيد عن 200 مسجد، والبعض منها لا يقل أناقة وجمالا عن مساجد المشرق العربي ، يوطرها أزيد من ألف عامل وعاملة، إلى جانب المعهد الإسلامي الذي يسهر على تكوين الإطارات الدينية من أبناء المنطقة وغيرهم ، وحتى من بعض الدول الإفريقية المجاورة.

وهذا إن دل على شيء وإنما يدل على مدى اهتمام الدولة الجزائرية بأبنائها في مناطق أقصى الجنوب وربطها بحضارتهم الإسلامية.

4/العضو الرابع في المحادثة يحدثنا:¹

إن سكان المنطقة يعترفون "بتين هينان" كتاريخ و ليس كنسب أموسي .

فالدين الإسلامي أعطى حقوقا وواجبات للمرأة وفي نفس الوقت هي مقدسة نظر

للحرية التي أعطاها إياها ولكن لا يعني الحرية المفهومة في كتابات الغربيين والرحالة.

فالرجل الطارقي إذا غاب أكثر من 4 سنوات فتستطيع المرأة التارقية أن تتزوج

بغيره.

وإن قيل عن الخيانات الزوجية فهي ظاهرة موجودة في كل المجتمعات والأزمنة

ولكنها متفاوتة الدرجة بين مجتمع وآخر فالوازع الديني يقيد ويمنع من الوقوع في مثل

هذه الممارسات.

لذا يلجأ بعض الرجال إلى الزواج العرفي عن حسن نية. وحتى وإن حصل يكون

بالتراضي والعيش معا.

كما هو الحال بمنطقة "التارث" باليزي فيكون الرجل هو القائد الروحي، فالزوجات

يصبرن من أجل مستقبل العائلة والأولاد .

أما بالنسبة للنسب الأموسي ، فالإبن يأخذ اسم أبيه فلا نقول (ابن فلانة) بل (أق

فلان) أي (ابن فلان).

¹ السيد ترنقة مصطفى : عون حفظ والإصلاح بحظيرة الأهمقار الوطنية بتمراست يوم الاثنين 2002/03/31 على

وما يسجل في هذا الحوار أن فكرة النظام، الأموسي لا أساس له من الصحة وكل

الآراء لا تتناقض فيما بينها.

وأن النظام الأبوسي هو المعمول به.

5/العضو الخامس من المحادثة يطلعنا على¹:

إن ظاهرة الإنتساب إلى الأم ظاهرة قديمة قدم الإنسان إلا أنها تختلف من مجتمع

إلى آخر ومن زمن آخر أيضا أما عند الطوارق فيكتسب التارقي شرف الانتساب فقط

من ناحية أمه فال بيت في الإسلام جاء من جانب أمهم عند القول أن هؤلاء منحدرين

من آل بيت فاطمة رضي الله عنها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ آل عمران: ٦١

فالرجل يثبت شرفه من ناحية أمه فهذا هو حال التارقي إذا كانت أمه من طبقة

النبلاء فله شرف الانتساب إليها ولا يأخذ اسمها نيل الاسم يعود إلى الأب لا إلى الأم.

لأن المكانة الاجتماعية للأم جد عالية عند الطوارق فالنظرة العاطفية للمرأة ' لأنها

الأم، الأخت، الإبنة والزوجة هي نظرة التكافؤ في الوجود، فعلى سبيل المثال الرجل الذي

يقوم بضرب زوجته تحرم عليه كل نساء القبائل الأخرى فهم يطبقون ما قاله رسولنا

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أكرم النساء إلا كريم ومن أهانهن إلا لئيم"

¹ السيد : وايي محمد : مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية تلمسان : يوم الثلاثاء 2002/04/01 على

الساعة التاسعة صباحا.

ففكرة النسب الأموسي على وجود له إطلاقا بدليل أنهم يقولون (أق فلان) وليس (أق فلانة) أي (أق عبدالله) بمعنى (ابن عبدالله مثلا) فهم أكثر الناس حرصا على عدم إختلاط الأنساب.

هذا من جهة وجهة أخرى فالرجل يدعي الشرف من جهة أمه اجاب الفقهاء في المعيار للونشريسي* بجواز ذلك وثبت شرفه من جهة أمه.

"تخيروا لنطاقكم فإن العرق دساس" حديث

أما إسلامهم فهو ليس ظاهري كما تقول كتابات المغامرين الفرنسيين فهم يسمون كل اللغات الأجنبية بمصطلح " تكافرت".

أما ظاهرة التعدد: إنها موجودة ولكن بنسبة ضئيلة بالمقارنة مع الزواج الأحادي ولكن إذا تزوج رجل من طبقة النبلاء فلا يحق له التعدد للحفاظ على الامتداد القبلي والأسري الرفيع.

أما ظاهرة الميراث: فالمرأة الحق قبل أخيها في الميراث سواء كان نخيلا أو أرضا أو عقارا لا لأن المرأة أكثر حظ من الرجل بل بحكم طبيعة العيش عندهم فالمرأة رزقها ثابت دائم لا يتنقل في حين نجد الذكور يسافرون إلى الصحاري الشاسعة وإفريقيا لطلب أرزاقهم فهم لا يعرفون الاستقرار والثبات في رقعة جغرافية معينة فيفضل لأن تتكفل المرأة بذلك وتحافظ على الميراث ويتوارثه الأولاد والأحفاد.

* العودة إلى فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب - الجامع الونشريسي -

أما لقاءات الأهل : فهي لقاءات جماعية وليس بين شخصين فقط إنها مناسبة لينظر الشاب إلى الزوجة قبل الزواج فقد أباح الإسلام النظر إليها لغرض شريف "أنظر إليها فإنه أحرى أن يأدم بينكما" حديث شريف.

6/ العضو السادس من المحادثة يقول¹:

الأوروبيون عندما كتبوا عن الطوارق كان من أجل احتلال المنطقة فحاولوا التقليل من أهمية هؤلاء الناس بنسج مجموعة من الأساطير والخرافات عليهم من بينها "قصة تين هينان" التي يعود إليها انتساب الطوارق كسلف أموسي ، فليس هناك دليل علمي أو تاريخي يثبت ذلك فتبقى حتى الآن مجرد أسطورة تتداولها الجدات لأطفالهن فحكايتها مجهولة.

وكما هو معروف أن الطوارق يميلون إلى عائلة الأم أكثر من عائلة الأب وهي ظاهرة طبيعية نجدها في كل الأسر الجزائرية بحيث نلاحظ أن الطفل مثلا يميل إلى خالته أكثر من ميله إلى عمته ومن جدته من الأم أكثر من جدته من الأب.

وبالتالي فهذا الشعور العاطفي شعورا فطريا نفعائلة الأم أقرب من الطفل فيتولد

شعورا أكثر من عائلة الب.

¹ السيد : صديقي محمود : مختص في العلوم الشرعية والتاريخية بتمنراست . يوم الثلاثاء 2002/04/01 على الساعة

أما بالنسبة للتعدد: فهو أصلاً قليل جداً لأن بكل بساطة الزوجة الأولى لا تقبل الزوجة الثانية إطلاقاً فلتقادي الوقوع في المشاكل العائلية والنزاعات بين الزوجات يفضل التارقي الزواج الأحادي.

ولا سمح الله قد يحدث الطلاق، الرجل هو الذي يعاب عليه وليست المرأة إذ يقال عنه غير قادر في التحكم على زوجته، فرجولته تكمن في الحفاظ على زوجته وليس في طلاقها فهو ابغض الحلال عند الله.

أما بالنسبة للمرأة فهو شرف لها وليس عار عليها فهي تقيم من أجل ذلك حفل لإستعادة حريتها فمثلاً تعين رجل صاحب شهامة لتمويل حفلة بمناسبة انتهاء عدتها.

7/ العضو السابع من المحادثة يحدثنا:¹

* الوصيّة *

التاريخ هو تاريخ الإسلام، والأمة الحقّة ثوابتها الإسلام فوحدة الوطن "الوطنية" هي أساس بناء أمة أو حضارة .

فالمرأة الطارقية تنتمي إلى هذه الحضارة الإسلامية فهي في أعلى درجات المكانة الاجتماعية إذ هي ملكة وسيدة في بيتها، فعزفها على آلة الأمزاد نوع من الموسيقى كانت تشجع الرجال على المقاومة والتصدي على العدو. (الموسيقى الحماسية) فالمرأة الطارقية كانت تلعب دور القيادة الروحية .

¹ الأميوكال الحاج موسى أخوك : كبار أعيان المنطقة بتمنراست ولد سنة 1904. يوم الأربعاء 2002/04/02

وختم لنا "الحاج موسى أخموك" بهذا النثر قائلا:

العيرن تشوف لتحب ب و لتك ره
الأذن تسمع لتحب ب و لتك ره
الرجا بين تذهب ب و ب و لتك ره



صورة رقم 29 الحاج موسى أخموك - كبار اعيان منطقة تمراست
تمياتنا له

8/ العضو الثامن من المحادثة يطلعنا:¹

إن ما يقال عن المرأة الطارقية بأنها تصادق الرجال الضيوف فهذا إجحافا وقذفا ،
فالمتزوجات عند دخول رجال غرباء يذهبن إلى غرفة مجاورة، أما غير متزوجات يبقين
لتقديم الطعام فالآباء يتقن في بناتهم.



صورة رقم 30 الشاعرة الآ بنت سالم الملقبة بالآ بادي
من قبيلة كل غالا تقطن بتمراست

¹ السيدة : "لا لة بنت سالم" الملقبة بلالة بادي شاعرة الأهقار ولدت خلال 1937 من قبيلة "كل غالا" بعين قزام
تقطن بتمراست .

وعند قدوم أجنبي طالبا مساعدة من رب الأسرة فالرجل لا يقدم أي شيء دون استشارة زوجته ففكرة الصداقة هي عربون حسن الضيافة والكرم لا غير، فالاحترام والثقة متبادلة بين الزوجين لدرجة لو أمرها بالخروج عند قدوم الغرباء يثير ذلك الشك والشبهات، هذا ما لم يفهمه الناس ومن يكتب عن الطوارق هم الأوروبيين أو العرب للأسف الشديد.

أما ظاهرة تعدد الزوجات : إن المرأة التارقية لو تزوج عليها فهي تخرج من بيتها ، فالتعدد غير مقبول عندنا أما إذا كان الطفل يأخذ اسم أمه (الانتساب إلى الأم) فهو عار على القبيلة فإذا كان ابن أمه فهو ابن غير شرعي فحين ينطق اسمه يتلفظون بمصطلح " حشاك".

9/ العضو التاسع من المحادثة يخبرنا:¹

ظاهرة الانتساب إلى الأم:

إنها ظاهرة لا أساس لها من الصحة وحتى إن وجدت وجدت فهو انتساب صوري فقط ،فالطفل ينتسب إلى أبيه وليس إلى أمه، فما حدث من اختلاط المفاهيم كان مجرد سوء استعمال وفهم المصطلح.

¹ السيد : حميدو عبدالله : منتج بالإذاعة المحلية ومدير الديوان المحلي للسياحة بولاية تمنراست. يوم الخميس

فلمغة التيفناغ غير اللغات الحية في مصطلحات القرابة وألقاب المناداة مما قد يجعل

الأجنبي يتصور شيء آخر.

وصحيح أن المرأة من طبقة النبلاء لها مكانة مرموقة في المجتمع الطارقي بدليل

أن الحاكم لكي يصبح "أمينوكال" لا بد أن ينتسب من أم تنتمي إلى طبقة النبلاء التي تملك

الطبل، وهذا هو سوء الفهم والخلط في الإدعاء أن الطوارق ينتسبون إلى امهاتهم.

فالمرأة النبيلة لا تتزوج إلا من الرجل النبيل ليس إلا تقديرا لها ورفع من شأنها

ومكانتها الاجتماعية وهذا أمر أيضا شائع عند الأمازيغ فالأشراف مثلا الذين يسمونهم

(المرابطين) لا يتزوجون إلا من نفس الطبقة وحتى لو تبقى المرأة في سن متأخر من

الزواج.

أو في بعض الأحيان الامتناع عن الزواج إذا ما لا يتقدم لها مرابطي.

وينسبون ذلك إلى ما يسمى بالكفاءة الزوجية المذكورة في الشريعة وليس بمفهوم

عرقى أو شيء آخر.

أما تعدد الزوجات: فنقول بمجرد التفكير في امرأة أخرى فإن الزوجة لا ترضى

بذلك بدليل أنها تغادر البيت إلى والديها ولو فكر في ذلك بالفعل لا يسترجع مودتها إلا

بتقديم هدايا ثمينة.

و إذا ما تم طلاق امرأة من طبقة النبلاء فإنها تعلن ذلك بإحياء ليالي فنية.

لأن من واجب الزوج التارقي الإخلاص للزوجة الأولى. وعادة ما تتنازل المرأة

المطلقة بكل ما تملك لزوجها مقابل استرجاع حريتها.

وتبقى مودة الزوجين بعد الطلاق عند الحاجة القصوى فالزوجين المطلقين يساعد

بعضها البعض عند حدوث المرض أو الحاجة.

وتبقى العلاقة بين العائلتين مستمرة رغم وقوع الطلاق.

الدراسة الإستنتاجية و التقييمية لكل هذه المحادثات:

إن فكرة النظام الأموسي لا أساس له من الصحة وأن الانتساب إلى الأب هو

القاعدة المعترف بها شرعا وقانونا . وما قيل عن هذه المغالطات ما هو إلا نسيج العقل

الغربي الذي يدعي مالا يعلمه لعدم صحة المعلومات أو الدعاية.

فيبقى طوارق الهوقار شعب مسلم لا يعرف إلا الإسلام والإخلاص له.

وأن "تين هينان" السلف الأموسي لمملكة الطوارق لا تستند على أدلة علمية ولا

تاريخية ويبقى البحث عن الحقيقة من اختصاص العلماء.

المبحث الثاني

الحالة المدنية بالهقار بين الواقع والقانون

الحالة المدنية بالهقار بين الواقع والقانون:¹

إن الحالة المدنية بأقصى الجنوب تعتبر إشكالية حقيقية لا يمكن لأحد إنكارها، و أنه ثابت للمطلع بأزمة الحالة المدنية بالجنوب وأن من بين العوامل المتسببة فيها هو الإطار البشري .

فإن نشأة نظام الحالة المدنية بالجزائر كانت في العهد الإستعماري وكان ذلك بمقتضى القانون الصادر في 1882/02/23 وكان له مرسوم تطبيقي صدر في 1883/03/13 إلا أن تطبيق هذا النظام عرف تفرقة كبيرة بين مناطق (الشمال-الجنوب-المناطق الداخلية) وأن ذلك كان بهدف مسطر انتهجه المستعمر، أساسه غرض عسكري بحت ولعل التقسيم العسكري المشار إليه أعلاه لمناطق الوطن والذي اعتمده عام 1840 يؤكد تلك الرؤية العسكرية وبالتالي فإن نظام الحالة المدنية في جنوب البلاد ظل يتخبط في مشاكل عدة.

¹ الأستاذ : محمد بن سديرة (رئيس المحكمة)

الأستاذ : سليمان حمودي (وكيل الجمهورية)

دليل ضابط الحالة المدنية مجلس قضاء تلمسان

محكمة تلمسان عام 2002.

وإذا أخذنا على سبيل منطقة الهوقار والتي تعكس نفس مشكلات ومعاناة نظام الحالة المدنية لمناطق جنوب البلاد، فأتساءل الاحتلال لم تشهد المنطقة نظام فعلى للحالة المدنية، بالرغم من أنه ثبت وأن هناك سلسلة من سجلات الحالة المدنية للفترة الممتدة من 1901 إلى 1959 وأن ذلك مرده للأسباب التالية:

1/ أن المستعمر كان ينظر للمنطقة وسكانها وأنها عبارة عن متحف طبيعي وبشري يجب المحافظة عليه كما هو ليجلب الزوار والمغامرين فأخضعه لنظام عسكري وإدارة عسكرية، ولعل ما ذهب إليه المؤلف السويسري (جورج كيرستر) في مؤلفه الصحراء الكبرى حول سياسة المستعمر الفرنسي التي تبناها في منطقة الهقار، يعتبر مرآة عاكسة لما تم ذكره إذ قال: "لقد عالج الفرنسيون مشكلة الطوارق منذ بداية الاحتلال من ناحيتين مختلفتين، فمن جهة حرم الفرنسيون على الطوارق التجارة مما أدى بالكثير منهم إلى الاهتمام إلى فرقة الهجانة كعمل وحيد أمامهم، ومن جهة أخرى ظل الفرنسيون متعلقين بالجانب الأسطوري الرومانتيكي عن الفرسان المثلثين. مما أدى بهم إلى المحافظة على الطوارق كما لو كانوا تحفا أثرية، بحيث تحولت منطقة الهقار إلى متحف طبيعي يثير فضول علماء الأجناس البشرية والأنثروبولوجيين..".*

* لقد أثرنا هذه الملاحظة في المقدمة.

2/ إن التسجيلات الموجودة والمعثور عليها بمحفوظات مجلس قضاء
تمنراست ،كانت قليلة جدا ذلك أنه عثر على 278 عقد فقط وهذا عدد قليل مقارنة
بالمدة الممتدة من 1901 إلى 1959 أي خلال أكثر من خمسين سنة ،والجدير
بالملاحظة أن حتى تلك العقود لو وزعت لإنتهينا للتالي:

عدد عقود الميلاد 147.

عدد عقود الوفاة 112.

عدد عقود الزواج 19.

3/ يعود إلى طبيعة رجال الطوارق أنفسهم الذين يتبعون أسلوبين في حياتهم
: الحل و الترحال وعدم الإيمان بالقيود على حرياتهم وكغيرهم من مواطني
الجزائر وأن القيد في سجلات المواليد معناه التجنيد الإجباري في صفوف الجيش
الفرنسي.

4/ يعود إلى المقاومة العنيفة التي قوبل بها المحتل عند محاولاته لاختراق
الصحراء.

5/ إن الإدارة التي أنشأها المستعمر بالمنطقة ،كانت عسكرية هدفه الأساسي
هو إنشاء جهاز يمكنه من بسط نفوذه، ويتخذة كسياسة للتهدئة والسيطرة على قبائل
الطوارق ،وعامل مسهل لتفكيك النظام الاجتماعي للطوارق ، لا نظام إداري لخدمة
المنطقة.

مع العلم أن جهاز إداري أنشأ بالمنطقة عام 1920 وعلى العموم فإن المستعمر كان يتبع أسلوب التفرقة بين المواطنين وبين المناطق المختلفة للوطن (فرق تسد) لا يهيمه مصلحة الوطن بل تهمة كيفية بسط نفوذه وكيفيات تخريب النظام الاجتماعي للأمة الجزائرية.

ومن ذلك المنطلق فكان على السلطة عقب الاستقلال التفكير الجاد والسريع للعمل على تأسيس نظام للحالة المدنية بأيدي جزائرية ،ونصوص تشريعية وتنظيمية جزائرية. همها الوحيد خدمة هذا الوطن والمحافظة على سيادته.

تعدد الزوجات

تطبيق المادة 8 من قانون الأسرة¹

المبدأ الأساسي:

جاء في مقررات الدورة التاسعة للجنة المركزية ما يلي: تطراً على المجتمع الإنساني ضرورات تلجأ إلى التعدد كالحروب والكوارث الطبيعية والأمراض والعقم وقصد العفة ،والواقع أن ظاهرة التعدد لم تعد مشكلة اجتماعية إذا ثبتت الدراسات القائمة على الإحصاء الدقيق أن نسبة تعدد الزوجات ضعيفة.

وإذا كان المجتمع الإسلامي لا يقر المعاشرة للاشريعة فإن التعدد الذي يقصد به العلاج لما يطرأ من الضرورات المشار إليها أمر جائز وهو أخف

¹وزارة العدل مديرية الشؤون المدنية رقم 84/102/م ش م/ك - الجزائر في 23 ديسمبر 1984

ضررا من المعاشرات اللاشرعية وما تؤدي إليه من إجهاض أو أبناء غير شرعيين يسببون مشكلة في البلاد ،وإذا خرج التعدد عما تمليه الشريعة وما يقتضيه العدل وما تفرضه الضرورات في ظروف معينة فقد أصبح بغیضا لدى الشرع ولدى الناس .

بناء على ذلك فإن كان الأصل هو الأفراد فإن مبدأ التعدد أباحه الشرع ونصت عليه الشريعة على جوازه وقيدته بقيود يراعيها القضاء وتهدف إلى ضمان كرامة الزوجة وحقوقها المشروعة .

المبدأ القانوني :

وتطبيقا للمبدأ السياسي في تقييد تعدد الزوجات جاء المشرع بالنص على مبدأ القانوني لهذا التعدد في المادة 8 من قانون الأسرة التي "تسمح بالزواج بأكثر من زوجة واحدة في حدود الشريعة الإسلامية متى وجد المبرر الشرعي وتوفرت شروط ونية العدل ويتم ذلك بعد علم كل من الزوجة السابقة واللاحقة ولكل واحدة الحق في رفع دعوى قضائية ضد الزوج في حالة الغش والمطالبة بالتطليق في حالة عدم الرضا".

و خلاصة قولنا أنه ما يمكن أن نستنتجه أن الحالة المدنية بأقصى الجسوب

عرفت إشكالية حقيقية لا يمكن إنكارها، ولعل لذلك عدة عوامل أهمها:

العامل التاريخي: الذي يمثل سياسية المستعمر حيال هذه المناطق الذي أضفى عليها في الإدارة الطابع العسكري، وبالتالي لم تحظ بما حظيت به مناطق الشمال عند تأسيس نظام الحالة المدنية.

العامل الجغرافي: ويمكن بصفة أساسية في طبيعة مناطق الجنوب، و شساعة رقعتها وكذا طبيعة التنقل لسكانها، ولسكان المجاورة بكل حرية في حقبات تاريخية سابقة، لعدم اعترافهم بعامل الحدود الجغرافية للبلدان والدول، وهذا العامل مكن من حدوث عدة تسربات للأجانب إلى داخل التراب الوطني، وتمكن بعضهم من التسجيل ضمن سجلات الحالة المدنية لبعض البلديات فتأزمت الوضعية .

العامل الاجتماعي: يكمن في عدم اهتمام سكان هذه البقاع من التسجيل في سجلات الحالة المدنية، مما رتب إرثا كبيرا من المنسين، مازالت تعاني منه هذه المناطق إلى اليوم.

المبحث الثالث

خصوصيات الحالة المدنية بأقصى الجنوب

خصوصيات الحالة المدنية بأقصى الجنوب:¹

1/ الحالة المدنية بتمنراست قبل تأسيسها :

لقد اشرنا في المرحلة الثانية من الدراسة الميدانية أن الحالة المدنية بتمنراست قبل تأسيسها شبه منعدمة ويرجع السبب في ذلك إلى عدة عوامل منها كما سبق الذكر إلى سياسة المستعمر حيال هذه المنطقة الذي أضفى عليها في الإدارة الطابع العسكري بالإضافة إلى العوامل الطبيعية والجغرافية لهذه المنطقة وإلى طبيعة سكانها الذين يفضلون العيش على شكل قبائل منتشرة في الصحراء الواسعة.

فكانت مصلحة الحالة المدنية بالبلدية تحتوي على سجلات غير رسمية فهي غير مرقمة وغير مؤشر عليها وكان يحظى بالتسجيل فيها سوى الفرنسيون وبعض الأشخاص الموالين لفرنسا.

فبقيت الحالة تسير على هذا النظام حتى 14/10/1966 بتاريخ صدور الأمر

307/66 المتضمن تأسيس الحالة المدنية.

¹ الأستاذ بلاح حفيظ: رئيس أمانة الضبط بمحكمة تمنراست الأيام الدراسية حول الحالة المدنية يومي 10 و11

تأسيس الحالة المدنية بتمنراست:

تأسست الحالة المدنية بتمنراست طبقا للأمر 307/66 الصادر بتاريخ: 14

أكتوبر 1966 المتضمن تطبيق الأمر 307/66 .

وقد شرعت اللجنة في مهمتها بتاريخ 1967/09/04 وفي 1971/12/24 تم

التصديق على عمليات تأسيس الحالة المدنية لسكان الواحات الذين ليست لهم ألقاب عائلية.

وقد كانت أعمال اللجنة بتوجيه أسئلة معينة لكل رب أسرة تسأله أولا عن القبيلة

التي ينتمي إليها ثم عن اسمه واسم أبيه وجده. وتطلب منه أن يختار لقبه العائلي من بين

الأسماء الثلاثة ثم تسأله عن سنة وعدد أولاده وسن كل واحد منهم.

وتقوم اللجنة بتدوين هذه المعلومات بسجلات خاصة تم إنشاؤها لهذا الغرض.

3/ نوع السجلات والأخطاء التي ارتكبت أثناء تأسيس الحالة المدنية:

إن السجلات التي أنشئت لهذا الغرض مشابهة تماما للسجلات التي أنشأها

الإستعمار الفرنسي شمال الوطن بمقتضى القانون الصادر في 1882/02/23 إذ لا

تحتوي سوى على المعلومات التالية:

العرش.

الإسم العائلي.

اسم الأب والجد.

العمر.

ولا تحتوي على اسم الأم ولا الجنس (ذكر أم أنثى) (انظر ورقة التعريف).

إن سكان الهقار الأصليين يعيشون عبارة عن قبائل منتشرين عبر أرجاء الصحراء الواسعة في مراكز فلاحية ورعوية متخذين الخيام كماوى لهم وكل قبيلة تعرف باسم خاص بها مثل قبيلة أجوهنتهلي - كيل غلة - بق غالي - ايسكن تاوسيت - كيل ترهنانت - غاليدن - ايرفاننتن...

وكل قبيلة من هذه القبائل معروفة لدى بعضها البعض ولها عادات وتقاليد عريقة ومعروفة بالمنطقة ولها نفس الملامح ونفس اللهجة التارقية إلا أن هناك بعض القبائل حسب رأي رؤساء وأعيان هذه القبائل على الخصوص قبيلة الحاج موسى آق أخموك غير معروفة لديهم وكذلك شهادة ضباط الحالة المدنية على عدم وجود هذه الألقاب ضمن سجلات الحالة المدنية أثناء تأسيسها وبالتالي فهم يعتبرونها خارجية وغير جزائرية الأصل تسربت من هنا وهناك من شمال البلدان المجاورة جمهورية النيجر ومالي وأرادت أن تندس ضمن المجتمع الجزائري ومن بين هذه القبائل قبيلة "لتواج" المعروفة بالتوجي، الهمال، عقبة كونته، أولاد البكاي بن سبع... الخ.

وقد دخلت هذه القبائل عبر الحدود الجزائرية بعين قزام.

4/ قيد الزواج - الزواج العادي - الزواج المختلط.

إنه من بين العادات الشائعة في منطقة تمراست الزواج العرفي بالخصوص لدى قبائل الطوراق إذ يقتصرون في زواجهم على الجماعة وقراءة الفاتحة فقط دون اللجوء

إلى ضابط الحالة المدنية أو الموثق لإبرام عقود زواجهم في حينها وهذا يرجع إلى عدة اعتبارات وعدة أسباب أهمها:

أ- عدم حيازة الزوجين على عقود ميلادهم.

ب- الزواج بالقاصرات.

ت- الزواج بالأجنبيات

ث- بعد المسافات وصعوبة المسالك للاتصال بالإدارات المعنية لإبرام

عقود زواجهم.

وعندما يصبحون في حاجة ماسة لهذه الوثيقة (سواء من أجل قبض المنح العائلية

أو تسجيل أبنائهم بالحالة المدنية) يلجأون إلى العدالة لطلب قيد أو إثبات زواجهم العرفي.

استنتاج:

ولاية تمناست تتام فوق قنبلة موقوتة فإن لم يتم الإسراع في تفكيكها ستفجر لا

محالة لذلك فإنني أناشد السلطات العليا للبلاد العمل على البث النهائي في هذه المسألة

باتخاذ قرارات حاسمة في هذا الشأن ولهذا وجدنا من الصعب القيام بدراسة إحصائية

حقيقية نظرا لطبيعة الأوضاع/ التي تعيشها وبالتالي فالأمر ليس بالهين كما يعتبره

البعض.

CARTE D'IDENTITÉ

N° 388 du registre-matrice

Département des Oasis

Arrondissement d TAMANRASSET

COMMUNE D TAMANRASSET

Tribu d _____

Fraction des _____

Photographie
facultative

Nom patronymique et prénoms _____

Age en 19 _____

ورقة التعريف

عدد _____ من الدفاتر الامية

عمالة الواحات - دائرة _____

بلدية: _____

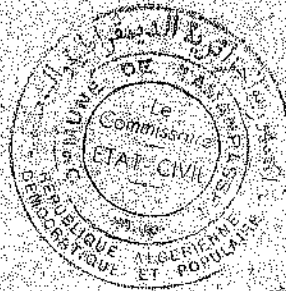
عش: _____

فرقة: _____

الاسم النسبي والاسم الشخصي _____

العمر في عام _____

JMP. A. MAUGUIN - BLIDA



صـراع إفريقيـا ونـداء المسـتقبـل

إننا نعيش اليوم - بلا شك - نهاية الجنون الإيديولوجي القائم على صراع النفي والإثبات . و غدا حوار الحضارات بديلا طبيعيا عن وحدة الثقافة ومركزية الحضارة الأوروبية وغدا بذلك مفهوم الثقافة العالمية في الشكل الذي أراده لها الرجل الأوروبي أكثر سذاجة من أي مفهوم آخر يمجد الفكر الإنساني.

«علينا ألا نخفي أن فكرة الحضارة العالمية فقيرة جدا ومبسطة وأن محتواها الثقافي والشعوري لا يقدم ثقلا نوعيا كبيرا».

فهل في الثقافة الإفريقية ما يدعو إلى حوار حقيقي يفتح على المستقبل في حركته للمتجهة صوب إعادة الاعتبار للإنسان في كل الاتجاهات التي يتشكل منها وجوده الحضاري؟.

يقول روجيه غارودي: «هناك إذن حساسية مفتوحة على دروب أمل أخرى أمام الإنسان . وإن الفن الإفريقي يقترح طبيعة إنسانية معاشة وتمثيلها فنيا في طبيعة إنسانية جائزة للإنسان إنها نفحة روحية حقيقية...»

فلقد حكم الغرب على الشعوب الأخرى بالبدائية، لأنها عاشت حسب حقب تماثل ما كانت عليه أوروبا منذ آلاف السنين.

في حين أن الاقتراب من ثقافات الشعوب الأخرى قد يضعف هذه المغالطة، فالشعوب الإسلامية تتوفر على قدر من المتعالي الذي يجعلها تنظر إلى الثقافة الأوروبية كثقافة قديمة لا حظ لها في المستقبل المنظور فهي تتشابه وثقافة ما قبل الإسلام ثقافة الجاهلية، التي تحولت في الوعي الإسلامي إلى حالة فوق الزمان والمكان من ناحية

المعنى وإن كانت زمكانية من ناحية أنظمة الدلالة وأشكال التعبير ،هي قابلة للتجدد ضمن أنساق مختلفة في أنظمتها ،لكنها ثابتة في بنيتها ،التي هي بنية الكفر والشرك .
فالعقل في ثقافة الأفريقي -خلفا لتقرير رجل الاستعمار أو مفكر الإدارة الاستعمارية -لا يتحدد بمقولات الفكر الأوروبي . والثقافة الإفريقية في كثير من المناطق لم تتضمن لفاتها المحلية عبارات تدل عل ظرف الزمان ، إنهم يتحدثون عن كل زمن بصيغة واحدة .

إنها فلسفة معقدة يصعب على الأوربي وعيها بعيدا عن دائرة التمرکز الذاتي وهي لا تقل عقلانية وإن تم التعبير عنها بصيغ بسيطة ،لا تقل نفعية لأنها مصدر سعادة الإنسان الأفريقي .

إن التعقيد الذي شهدته الحياة الأفريقية في تعاملها مع أقسى مظاهر الطبيعة مرت بالتحدي وأخرى بالتدجين ليس له نظير في أرقى المجتمعات المعاصرة .
سوف يبقى هذا الرجل الأفريقي " منشئ الحضارات الزراعية الأولى " بالرغم ما يقال عنه أنه منشئ الأساطير .

فبالأساطير ،رغم ما تبديه من حقائق خيالية ، فهي تتميز بشراكة رمزية بين مختلف المجتمعات بما فيها تلك المجتمعات المنغلقة التي لم تتجاوز في وجودها وتطلعها دائرة القبيلة . إن ثمة تجاوب بين تلك الأساطير فهل الأسطورة أداة لفهم تلك الشعوب تماما مثلما اعتبر " فرويد " تأويل الأحلام أفضل طريقة لمعرفة اللاشعور ؟ .

خصوصا أن جزء كبير من حضارة الصحراء الكبرى لم ينتقل إلينا والذي انتقل من فترات محدودة جدا نجهل مقدار الطفرة التي أحدثها الإنسان التارقي إزاء أسلافه .

والآن بدأت الأنثروبولوجيا بعد أن دخل الاستعمار مرحلته الأخيرة تكتشف في الأفريقي الفلاح، العامل، والكائن الاجتماعي أو التاريخي.

وباختصار الإنسان بدل الكائن الغريب البدائي فلا وجود لشعوب بدائية، كل الشعوب راشدة. فحضارة الغد هي حضارة الرجل "الأسمر".

وأخيرا ومع كل هذا لا يمكننا إلا أن ننحني تواضعا وإجلالا لهذا الإنسان التارقي الذي استطاع أن يدخل التاريخ من بدايته (ما قبل التاريخ) وينسج حضارة الطاسيلي التي لا تقل علوا عن الحضارات القديمة الأخرى ولربما هو المنشأ الأول لها.

فلا ندعي أننا فعلنا شيئا نهائيا أو كاملا حول هذا الموضوع أكثر من أننا قمنا بإثارة اهتمام الباحثين اللاحقين وتعبيد الطريق أمامهم بوضع بعض المؤشرات المساعدة على مواصلة البحث والسير به في الاتجاه الصحيح السليم، بالإضافة أو التعديل الذي يخدم البحث العلمي ويظهر الحقيقة التي تمثل ضالة العلماء والباحثين على اختلاف الأجيال والعصور.

وأملنا ما نرجوه أن يجد القارئ في هذه الرسالة المتواضعة ما يحفزه على التأمل ويعوده النظر من خلال ما يولد فيه من شوق المعرفة، بتحقيق العقل حتى تحصل ملكة الجودة والصواب في تحديد المسائل، وكيفية طرحها على بساط البحث وتنسيق عناصرها، واستعمال البراهين الصحيحة في إثباتها،

وإذا كانت لكل نهاية بداية، فلا شك أن النهاية الصحيحة والسليمة تتطلب بالضرورة بداية أصح وأسلم وأدق، وذلك ما حاولنا أن نلتزم به قدر المستطاع، وإذا فاتته

أجر الإصابة فعلى الأقل يأمل نيل أجر المحاولة والاجتهاد وتحري الصدق وذلك أضعف

الإيمان.

نسأل الله تعالى أن يبصرنا بأمور الدراسة وأمور من يفهمها، فهو صاحب الفضل

والنعمة ومنه العون والمنة وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

﴿ تم بحمد الله ﴾

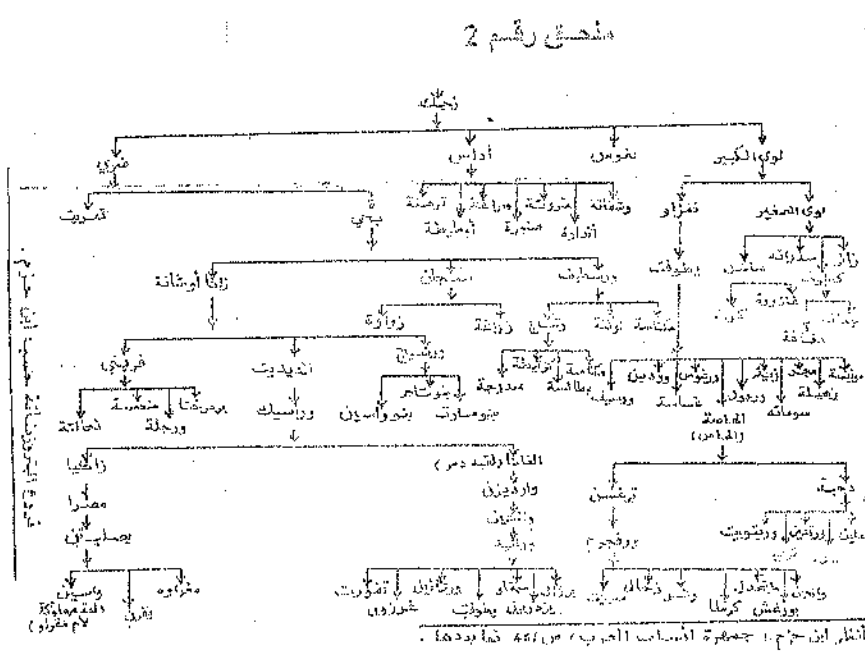
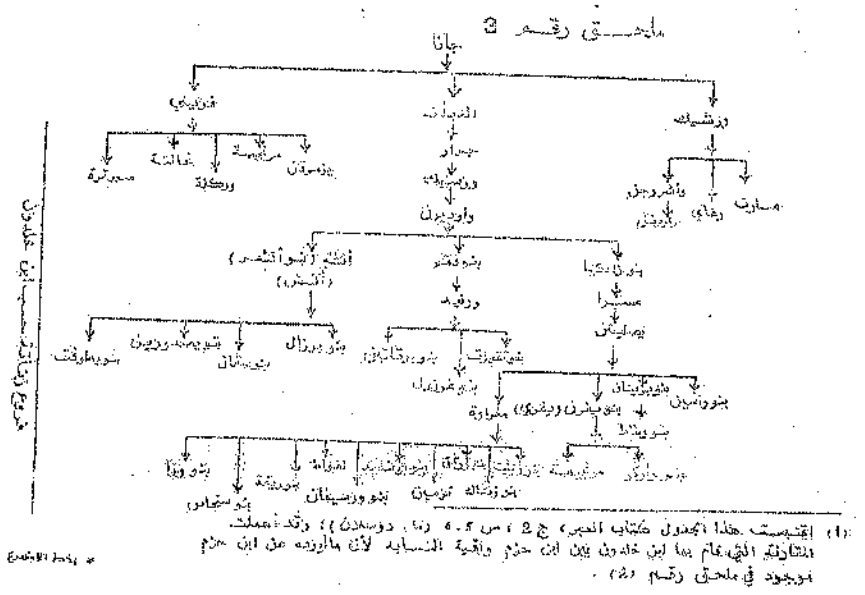
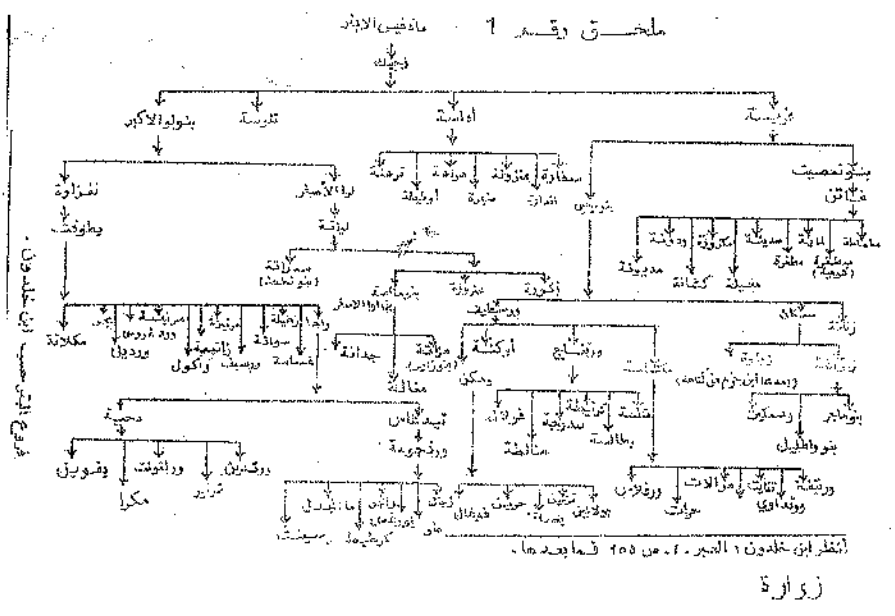
﴿ وهو الموفق لكل خير ﴾

ملحق الجداول

9

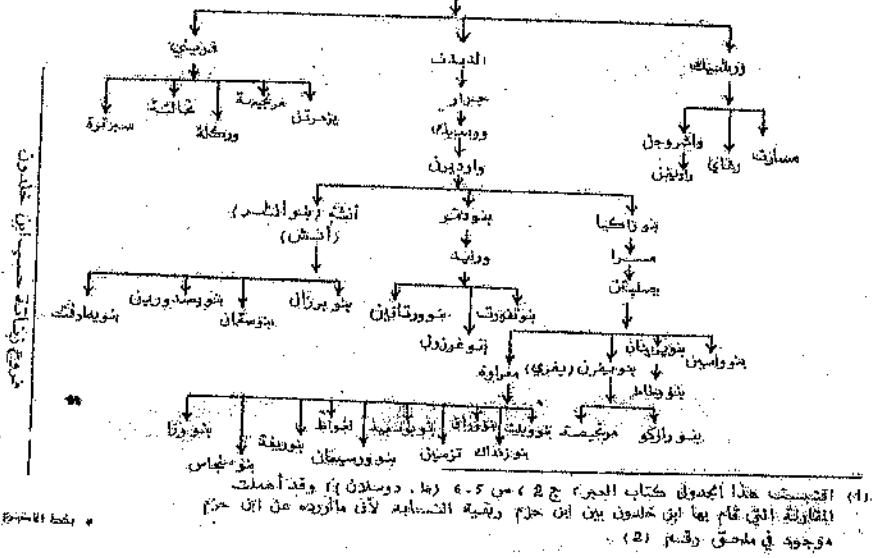
الأشكال

شجرة نسب البربر من سكان الصحراء وشواطئها
 - عند ابن خلدون وابن حزم -

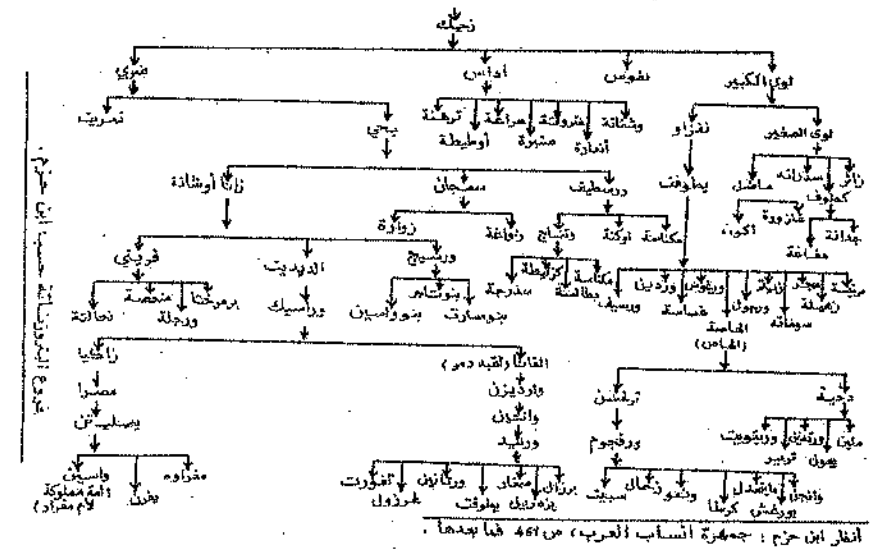


تابع - شجرة نسب البربر من سكان الصحراء وشواطئها
- عند ابن خلدون وابن حزم -

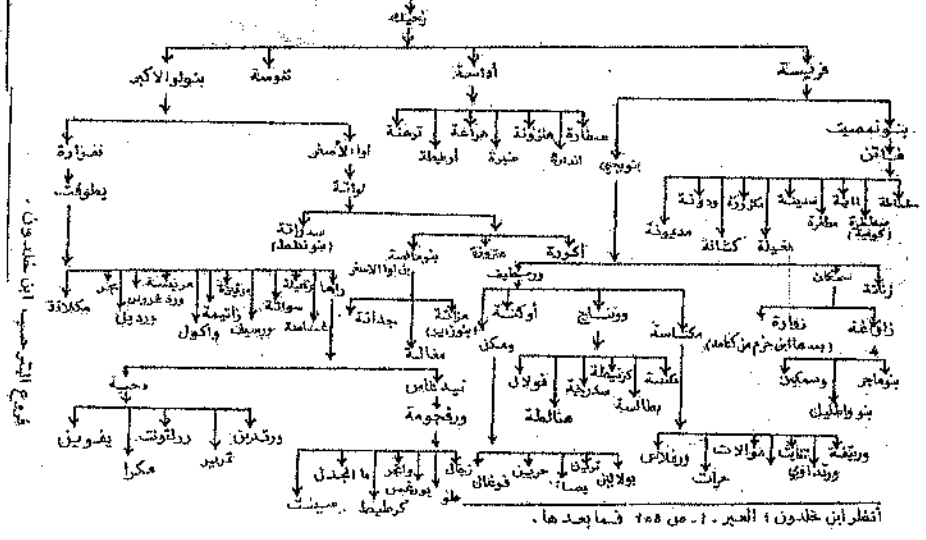
ملحق رقم 3



ملحق رقم 2



ملحق رقم 1



جدول سنوي لسنة ألفين 2000 خاص بمتابعة القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية:

الباقية	بعض القضايا الخرى المتنوعة	الخلع	التطبيق	الطلاق بالإرادة المنفردة	الطلاق بالتراضي	القضايا التي تم فيها الصلح	المفصول فيها	المسجلة	نوع القضايا الجهة القضائية
14	123	123	01	03	25	00	153	167	محكمة تمزاست
00	00	00	00	00	02	00	02	02	فرع تاظروك
00	00	00	00	00	00	00	00	00	فرع تين زواتين
06	30	30	01	17	25	00	75	81	محكمة عين صالح
00	10	10	00	04	02	00	16	16	محكمة عين قزام
20	163	163	02	24	54	00	246	266	المجموع

جدول سنوي لسنة ألفين 2004 خاص بمتابعة القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية:

الباقية	بعض القضايا الخرى المتنوعة	الخلع	التطبيق	الطلاق بالإرادة المنفردة	الطلاق بالتراضي	القضايا التي تم فيها الصلح	المفصول فيها	المسجلة	نوع القضايا الجهة القضائية
31	98	00	04	18	28	02	150	181	محكمة تمزاست
00	00	00	00	00	00	00	00	00	فرع تاظروك
00	00	00	00	00	00	00	00	00	فرع تين زواتين
07	57	00	03	09	22	00	91	98	محكمة عين صالح
00	00	00	01	01	01	00	03	03	محكمة عين قزام
38	155	00	08	28	51	02	244	282	المجموع

المصادر

و

المراجع

المصادر والمراجع

المصادر

- (1) ابن الأثير : «الكامل في التاريخ» المجلد التاسع - دار بيروت للطباعة والنشر - 1966.
- (2) ابن بطوطة : «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» مطبعة مصطفى محمد الجزء الأول 1938 .
- (3) أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري : «تاريخ الرسل والملوك» مكتبة خياط - بيروت لبنان - المجلد الأول - بدون تاريخ - .
- (4) ابن منظور : «لسان العرب» دار الطباعة والنشر - بيروت - 1968 .
- (5) الحسن بن محمد الوزان : «وصف إفريقيا» ترجمة حجي محمد - محمد الأخضر (ط2) الجزء الأول دار الغرب الإسلامي : - بيروت - 1983 .
- (6) عبدالرحمن ابن خلدون : «كتاب العبر» مؤسسة الأعلمي للمطبوعات المجلد السادس 1981.
- (7) علي بن محمد بن راشد المطروشي : «المواهب اللطيفة في الأنساب الشريفة» . دار الأفاق - الإمارات العربية المتحدة (ط1) 1997 .
- (8) محمد مرتضى الزبيدي : «تاج العروس» دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي - 1966 .

المراجع

- (1) ابو القاسم سعد الله : «أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر» . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1978 .
- (2) إحسان محمد الحسن : «العائلة والقرابة والزواج» . دراسة تحليلية في تغير النظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت (ط1) 1981 .
- (3) أحمد السعيد سليمان : «تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة» الجزء الثاني . دار المعارف مصر (ط2) بدون تاريخ .
- (4) اسماعيل العربي : «الصحراء الكبرى وشواطئها» (م . و . ك) الجزائر 1983 .

- (5) بوزياني الدراجي: «القبائل الأمازيغية» ادوارها - مواطنها - أعيانها. دار الطليعة. القبة. الجزائر 1999.
- (6) جورج زيدان: «تاريخ التمدن الإسلامي» الجزء الثالث من المجلد الثاني منشورات دار المكتبة الحياة. بيروت 1967 .
- (7) حافظ الجمالي: «علم النفس الاجتماعي» منشورات نكتبة الحياة.بيروت (ط2) 1967.
- (8) خليل احمد خليل: «مضمون الأسطورة في الفكر العربي» دار الطليعة .بيروت (ط3) 1986.
- (9) رابح بونار: «المغرب العربي» تاريخه وثقافته: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968.
- (10) رالف لنتون: «شجرة لحضارة» الجزء الثالث: رسالة تقديم محمد سويدي. الأنيس - سلسلة العلوم الإنسانية- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- وحدة الرعاية الجزائر - 1990.
- (11) سعاد محمد خضر: «الأدب الجزائري المعاصر» دراسة أدبية نقدية منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1967.
- (12) سعد زغلول عبد الحميد: «تاريخ المغرب العربي» الجزء الثالث منشأة المعارف الإسكندرية 1990.
- (13) صلاح مصطفى الفوال: «علم الاجتماع البدوي» دار النهضة العربية.القاهرة (ط1) 1974.
- (14) عاطف وصفي: «الأنثروبولوجيا الاجتماعية» دار النهضة العربية بيروت (ط3) 1981.
- (15) عبد الجليل الطاهر: «المجتمع الليبي» دراسات اجتماعية دار الثقافة .بيروت (ط4) 1980.
- (16) عبد الجليل الطاهر «دراسات اجتماعية وأنثروبولوجيا» منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1969.
- (17) عبد الرحمن حاجيات ورشيد بورويبة وآخرون (م.و.ك) الجزائر 1984.

- (18) عبد الرحمن محمد الجيلالي : «تاريخ الجزائر العام». الجزء الأول دار الثقافة بيروت (ط4) 1980
- (19) عبد المالك مرتاض : «الميثولوجية عند العرب» دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة. الدار التونسية للنشر (م.و.ك) الجزائر 1989.
- (20) عبدالسلام بوشارب : «الهقار أمجاد وأنجاد» 1985 نشر المتحف الوطني للمجاهد.
- (21) عثمان سعدي: «عروبة الجزائر عبر التاريخ» (م.و.ك) 1982.
- (22) علي عبدالرزاق جبلي: «تصميم البحث الإجتماعي» الأسس والإستراتيجيات - دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1986.
- (23) عمر مهيبيل: «البنوية في الفكر الفلسفي المعاصر» - ديوان المطبوعات الجامعية بدون تاريخ.
- (24) قباري محمد إسماعيل : «أسس البناء الاجتماعي» دراسة وظيفية تكاملية للنظم الاجتماعية للنظم الاجتماعية منشأة المعارف الإسكندرية 1989.
- (25) مبارك بن محمد الميلي : «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» للشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر. 1976.
- (26) محمد الجوهري : «الأنثروبولوجية» : أسس نظرية وتطبيقات عملية. دار المعرفة الجامعية افسكندرية - بدون تاريخ-
- (27) محمد الطاهر العدواني: «الجزائر في التاريخ» (م.و.ك) الجزائر 1984.
- (28) محمد حسن غامري: «طريقة الدراسة الأنثروبولوجية العامة» (علم الإنسان) ديوان المطبوعات الجامعية - بدون تاريخ-.
- (29) محمد رياض : «الإنسان» دراسة في النوع والحضارة : دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت (ط2) 1974.
- (30) محمد سليمان الطيب: «موسوعة القبائل العربية». (م.و.ك) الجزائر 1986.
- (31) محمد السويدي: «بدو الطوارق بين الثبات والتغيير» (م.و.ك). الجزائر 1986.

- (32) محمد عبده محجوب: «طرق البحث الأنثروبولوجي» - النسق القرابي - دار المعرفة الجامعية 1985.
- (33) محمد علي محمد محمد الحسيني - عايشا شكري ومحمد الجوهري: «دراسات في التغيير الاجتماعي» دار الكتب الجامعية الإسكندرية (ط1) 1974.
- (34) محمد علي محمد: «مقدمة في البحث الاجتماعي» دار النهضة العربية للطباعة و النشر - بيروت 1983.
- (35) مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: «القبائل العربية في المغرب» في عصر الموحدين - وبني مرين) ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر. 1982.
- (36) مصطفى خالدي وعمر فروخ: «التبشير والاستعمار في البلاد العربية» المكتبة العصرية صيدا بيروت (ط5) 1973.
- (37) مصطفى الخشاب: «دراسات في الاجتماع العائلي» دار النهضة العربية - بيروت 1981.
- (38) هشام شرابي: «مقدمات لدراسة المجتمع العربي» الأهلية للنشر والتوزيع بيروت (ط3) 1981.
- (39) يحي بوعزيز: «الموجز في تاريخ الجزائر» المطبوعات الوطنية الجزائرية (ط1) 1965.
- (40) يسرى عبدالرزاق الجوهري: «السلالات البشرية» دار الطلبة العرب - بيروت (ط3) 1969.
- (41) فئة من الإساتذة الجامعيين: «دراسات في المجتمع العربي» مطبعة طربين (ط2) دمشق 1969.

المراجع المترجمة

- (1) ارنولد توينبي: «تاريخ البشرية» الجزء الأول
ترجمة: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت - 1981 .
- (2) جيرار لكار: «الأنثروبولوجيا والاسـتـعمار» ،
ترجمة: جورج كتورة مطابع شركة تكنوبرس الحديثة بيروت (ط1) 1982.
- (3) جينترجون: «داخـل إفريقيا» ،
ترجمة: محمد رفعت وآخرون ،القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية 1957
- (4) جويتيه أندريه: «الصـحراء»
ترجمة: أحمد كمال يونس -القاهرة- لجنة البيان العربي 1957
- (5) جورج ضـو: «تاريخ علم الأثر»
ترجمة: بهيج شعبان - منشورات عويدات بيروت لبنان بدون تاريخ .
- (6) جـاك لومبار: «مدخل إلى الأنثروبولوجيا»
ترجمة: حسن قببسي المركز الثقافي العربي (ط1) 1997.
- (7) روجي غارودي: «البنوية فلسفة موت الإنسان»
ترجمة: جورج طرابيشي: دار الطليعة بيروت (ط2) 1981.
- (8) شارل أندري جوليان: «إفريقيا الشمالية تسير»
ترجمة: المنجي سليم - الطيب المهيري وىخرون الدار التونسية للنشر (ط3)
1976.
- (9) كارل بروكلمان: «تاريخ الشعوب الإسلامية»
ترجمة: نبيه أمين منير البعلبكي - دار الملايين بيروت (ط5) 1968.
- (10) كلود ليفي ستراوس: «الأنثروبولوجيا البنوية»
ترجمة: مصطفى صالح - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق
1977.
- (11) كلود ليفي ستراوس: «الإنسان البنانية»
ترجمة: حسن قببسي المركز الثقافي العربي (ط1) 1995.
- (12) مونكو ومري وات: «البدو»
ترجمة: لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية دار الكتاب اللبناني بيروت (ط1)
1981.

المراجع بالفرنسية

- 1) Boubou Hama: « Recherche Sur L'histoire (1)
Des Touaregs Sahariens Et Soudanais».
Présence Africaine- Paris 1967
- 2) Claude Blanguernon Arthaud : « Le Hoggar » (2)
Arthaud S.N.E.D. Algérie 1976.
- 3) Claude Lévi-Strauss : « Les Structures Elémentaires De
La Parenté» Paris. Mouton .La Hayes 1967
- 4) Catherine Belvaude : « L'algerie Le Sahara E. Karthaba »
1991
- 5) Edmond Suzanne Bernus « Touaregs » L'harmattan
Collection Cairn 1983
- 6) E.F Gautier : « Le Passé De L'afrique Du Nord» Petite
Bibliothèque Payot Paris 1964
- 7) Eugène Doumas : « Mœurs Et Coutumes De L'algerie»
Edition Sindbad Paris 1988
- 8) François Vergnand : Sahara Petite Planète 1960
- 9) Friedrich Engels: « L'origine De La Famille. La
Propriété Privée Et De L'état». Editions Sociales – Paris
1974
- 10) Henri Lhote: «A La Dcouverte Des Fresques Du Tassili
»:B Arthaud Paris 1973
- 11) Henri Lhote : « Les Touareg Du Hoggar» Armande Colin
Paris 1984
- 12) Henri Lhote: «Espace Et Temps » Armand Colin Paris
1984
- 13) Hamid Mochtar De Telemcen : «Connaissance Des
Tribus Dans L'histoire Touareg»: Tome 1 Imprimé Au
Caire 1947
- 14) H – Foley: « Mœurs Et Médecine Des Touareg De
L'hoggar» : Librairie Ernest Leroux. 1930
- 15) Ida Magli Et Genivra Conti Odarisio «Matriarcat Et
Pouvoir Des Femmes » Presses Des Imprimerie Delmas
1983
- 16) Jean Devos: Sahara : «Terre Impitoyable Et Pays De
Rêve H M Paris 1957
- 17) Malika Hachid : « Les Pierres Ecrite De L'atlas
Saharien» :El Hadjra El Mektouba .Enag/Alger 1992
- 18) Malika Hachid : Les Premiers Berbers Entre
M2diterrane Tassili Et Nil .Ina/Yas Edisud 2000

- 19) **Marc Augé:« Les Domaines De La Parenté» Filiation Alliance/Résidence. Dossier Africains- E: Francoit Maspero. Paris 1975**
- 20) **Paul Balta : «Algerie» Edition Nathan Paris France1988**
- 21) **Pierre Benoît :« L'Atlantide» :Présenté Par Tahar Djaout- Edition E.N.A g 1988 P 1988.**

الموسوعات والمعاجم باللغتين

- (1) الشيخ احمد رضا : «معجم متن اللغة» دار مكتبة الحياة بيروت المجلد الأول 1960.
- (2) دينكن ميتشل: «معجم علم الاجتماع» ترجمة: إحسان محمد الحسن دار الطليعة بيروت (ط2) 1986.
- (3) ر: بورون و ف. بزريكو: «المعجم النقدي لعلم الاجتماع» ترجمة: سليم حداد - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (ط1) 1986.
- (4) عبد الرحمن بدوي: «ملحق موسوعة الفلسفة» المركز التربوي للبحوث والإنماء مكتبة لبنان (ط1) 1966.
- (5) عبده الحلو: «معجم المصطلحات الفلسفية» المركز التربوي للبحوث والإنماء مكتبة لبنان (ط1) 1994.
- (6) قاموس جون ديوي للتربية : ترجمة: محمد علي العريان مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1964.
- (7) ليونارد كوتريل: «الموسوعة الأثرية العالمية» تأليف: 48 عالما أثريا الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977.
- (8) محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنبي: «معجم لغة الفقهاء» دار النفائس بيروت (ط1) 1985.
- (9) وليام لانجر: «موسوعة تاريخ العالم» ترجمة محمد مصطفى زيادة القاهرة مكتبة النهضة المصرية الجزء الثالث 1962.
- (10) Dictionnaire De Sociologie : Larousse –Paris 1973
- (11) Ancylopedie Du Monde Actuel 6lanthropologie Edma Imprimé En France Par Bradard Et Taupin 1977
- (12) Joel Schmitdt : Dictionnaire De La Mythologie Greque Et Romaine : Larousse – France Avril 1996

المجلات، الدوريات والرسائل باللغتين.

1. مجلات الأصالة - عن تاريخ منطقة الهوقار - مطبعة البعث - قسنطينة أوت 1979.
2. المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية: لمحمود الشنيطي العدد 116 مايو 1988 - مركز مطبوعات اليونسكو - .
3. اللجنة العلمية الدولية لتحرير - تاريخ افريقيا العام - اليونسكو 1980.
4. مجلة الشعب : 19 سبتمبر 1998 العدد 11721.
5. Revue Africaine journal des travaux de la société historique algérienne khaus réprint (o.p.u) Alger(vol63)1922
6. Revue Africaine : henri basset: (o.p.u) (vol63) Alger 1922
7. Revue Africaine algér tome (08) 1864
8. Mémoires du centre de recherches anthropologiques préhistoriques et ethnographiques .Etude des restes osseux humains néolithiques et protohistoriques.(c.r.a.p.e) 3 avenue f.roosvelt alger 1970.
9. les touareg de l'ahaggar : musée national des arts et tradition populaires (M.N.A.T.P) éditions lohnic - Alger 1991
10. Houria Mohras : Bijoux et mobilier funéraires de "tin- hinane" abalessa- catalogue du musée nationale du bardo d'Alger
11. F Z Mataoui : le tresor de tin- hinane" abalessa : ministère de la culture et du tourisme collections du musée de bardo Alger 1984
12. M. GOST: Témoignages NOUVEAUX SuR TIN- HINANE REV DE l'occ.musulman et méditerranéen n 13-14
13. espaces maghrebins - pratique et enjeux - enag / edition urax 1989 .
14. Rapport De Synthèse Des Actions Proposées Au F.S.D.R.S Par La Commission D'évaluation Et De Suivi De La Wilaya De Tamanrasset -Octobre 2000
15. Quide 2001: Dominique Et Michel Frémy Edition Robert Laffont
16. Journal liberté 17 août 2000
17. Journal liberté 21 fevrier 2001
18. Journal liberté 22 août 2001
19. <http://www.ahaggar.cyber.sahara.com>
20. <http://www.touarreg.com/tin.htm>

فهرس الموضوعات

المقدمة.....4-1

المدخل.....10-05

الفصل الأول .

الدراسة التاريخية والثقافية للطوارق

المبحث الأول : الجانب التاريخي للطوارق

1/ الصحراء ما قبل التاريخ.....23-12

2/ أصل الكلمة.....40-23

3/ بلاد الطوارق.....53-41

المبحث الثاني : الجانب الثقافي للطوارق

1/ لغة الطوارق.....62-54

2/ سبب اللثام.....68-63

الفصل الثاني .

الدراسة سوسيوأنثروبولوجية

المبحث الأول:

قصة تين هينان بين الأسطورة المتخيلة والحقيقة الواقعة.....104-70

المبحث الثاني:

نظام القرابة والعلاقات الإجتماعية.....135-105

المبحث الثالث:

نسق القرابة الأمومي عند طوارق الهقار.....158-136

الفصل الثالث

الدراسة الحقلية

تمهيد: تاريخ تـمـنـراست بعد الإحتلال الفرنسي.....160-165

المبحث الأول :

تسجيلات أعضاء المحادثة آراء الإخباريين.....166-192

المبحث الثاني:

الحالة المدنية بالهقار بين الواقع والقانون.....193-198

المبحث الثالث:

خصوصيات الحالة المدنية بأقصى الجنوب.....199-201

الخاتمة.....203-207

ملحق الجداول والأشغال.....208-213

المصادر والمراجع.....214-222